موسوعة النظم الإسلامية

الكتاب الأول

المدخل لدراسة النظم الإسلامية

تأليف

الأستاذ الدكتور
أحمد أحمد غلوش
عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق
جامعة الأزهر

الناشر
مؤسسة الرسالة

-١-
المدخل
لدراسة النظم الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع ٩٢٨٦٢ / ٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمات

وتشمل

المقدمة الأولى
في أسباب كتابة هذه الموسوعة

والمقدمة الثانية
في أهمية المدخل لدراسة النظم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة الأولى

أسباب كتابة هذه الموسوعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ؛؛؛؛؛

فإني أحمد الله تعالى على عظيم فضله، وكثير نعمه، وأشكره سبحانه وتعالى على ما حباني به من عوامل عدة، مكنتني من تحقيق ما قدره الله لي، حتى صرت متخصصا في علوم الإسلام، وأحاطني ﷻ بثلة من العلماء شملوني بحبهم، وأعانوني بنصحهم، وتوجيههم حتى أصبحت شيئا مذكورا .

وقدر الله تعالى لي أبوين كريمين حرصا على أن أتعلم في الأزهر الشريف، واهتما بتعليمي رغم بساطتهما، وقلة ذات أيديهما .

وقد هيا الله لي منذ الصغر عوامل التفوق في الجانب المعرفي الديني الذي رغب أبواي فيه.

فمنذ صغري وأنا أحيا في بيئة إسلامية بسيطة، فقد كان والدي يطلب مني أن أقرا أمامه ما أحفظ من القرآن الكريم، ويوصيني بمواصلة القراءة بعد موته، وإهداء ثوابها له في قبره .

وكانت أمي– رحمها الله – توجهني للصلاة في المسجد، وتعلمني من القرآن الكريم ما كانت تحفظه، ...

حرص أبواي على انتسابي للكتَّاب لأتعلم القراءة، والكتابة، ومبادئ الحساب، وأحفظ القرآن الكريم ، ...

ومن كرم الله تعالى لي ولأقراني إخلاص شيخ الكتاب، فلقد كان يحرص

على إجادة قراءتنا للقرآن الكريم، ويعرفنا ببعض القصص القرآني من خلال شرح مبسط لبعض الآيات المشتملة على قصة قصيرة مثل سور المسد، وقريش، والفيل، والضحى، وقد جعلنا ذلك نميل إلى الحفظ والفهم ، ولم يبخل الشيخ علينا ببيان بعض أحكام الفقه كالوضوء، وكيفية الصلاة، ... وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يكل إلينا تنظيف المسجد، والآذان، وحضور الصلوات، حيث كان عمله الرئيسي في المسجد، وكان يبين لنا عظمة الإسلام في حقيقته وشريعته، فتولد في قلوبنا حب الإسلام منذ نشأتنا الأولى .

فلما أتممت حفظ القرآن الكريم في الكتاب انتقلت إلى الدراسة في المعاهد الأزهرية الابتدائية، حيث حبانا الله عَزَّوَجَلَّ بمجموعة من الأساتذة، حديثي التخرج من الكليات الأزهرية، وكانوا شبابا من أوائل الخريجين، يمتلئون حماسا للإسلام، ويتقنون العلوم التي تخصصوا فيها، ويخلصون في الأداء والعمل، وأشهد لهم أمام الله تعالى أنهم لم يضيعوا دقيقة واحدة بلا دراسة، ولم يشغلوا الدرس بغير المقرر فيه ... **كانوا مجموعة من الشباب** المحب لدينه، المخلص في رسالته ، الصادق في أداء رسالة الأزهر الشريف .... واذكر أنهم عملوا على زرع الإسلام في عقولنا علما ومعرفة، وفي قلوبنا حبا وارتباطا، وفي جوارحنا سلوكا وعملا، وكانوا دعاة صادقين لله تعالى، لإيمانهم الجاد برسالة العالم الأزهري في أي عمل يعمل فيه... وكثيرا ما كانوا يقولونا لنا: أنتم على أعظم دين يقوم على العلم والعمل، فاحرصوا على تعلمه والعمل به، ونشره وتعليمه لكل من تتصلون به ، ويؤكدون لنا دائما أن الحق في قوله ﷺ: **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)** (١) .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل – ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، حديث : ٢٦٩٠

وبقيت عظمة الإسلام في روحي وعواطفي، وكلما كبر سني زادت معارفي وكلما زاد علمي زاد إيماني، وتأكدت من حقيقة ثابتة وهي أن الإسلام دين صالح للإنسان في كل زمان ومكان، ودفعني الإيمان بهذه الحقيقة إلى درس المؤيدات لها، والتأمل في الآيات التي تؤكدها، وتتبع الشبهات التي يثيرها البعض لنقضها .

وعشت في رحمة الله ﷻ وجعلني القدر أدرس وأبحث في عظمة الإسلام وأعيش مع نظمه وشريعته، وبخاصة عند تأليفي تفسيرا للدعوة، سميته "**ركائز القدوة في تفسير الدعوة**" وشرحا لأحاديث " اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان"، سميته " **ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**"، بالإضافة إلى دراساتي الموسوعية في المذاهب والأديان، وتاريخ الدعوة، وتوصلت بعد ذلك إلى ضرورة دراسة النظم الإسلامية في عمومها، وشمولها، لاتصالها بدراستي وأبحاثي السابقة .

وهداني الله تعالى لمحاولة إخراج موسوعة علمية تتناول النظم الإسلامية لحاجة الناس إليها .

وشجعني على الكتابة في النظم الإسلامية أن الإنسان في تاريخه الطويل منذ آدم عليه السلام يتحرك في إطار نظم، فقد شرع الله تعالى لآدم عليه السلام نظما عاش بها وبنوه في الأرض، وهداه الله تعالى إليها، يقول الله ﷻ : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (١)، ويقول ﷻ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾(٢)

---

(١) سورة البقرة الآية : ٣٨ .

(٢) سورة طه الآية : ١٢٨ .

وبدأت الإنسانية بالنظم التي هداها الله تعالى إليها بما أوحاه لآدم عليه السلام، إلا أن الأمر لم يكن خاليا من الخصومة، والعداوة ، فقد كان إبليس، وذريته، وأشياعه أعداء لآدم وبنيه في الأرض، وقد أنظره الله تعالى إلى يوم القيامة ، وحذر منه، وقال سبحانه: ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (١)، وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (٢) .

ومن البداية ظهرت الحقيقة ، وعلم الإنسان أن الحق فيما يأتي به وحي الله تعالى، وأن الباطل هو ما يأتي به أعداء الحق في كل وقت ، وامتلأ تاريخ البشرية بقصة تنقل الإنسان بين الإيمان والكفر، وظهرت عناية الله تعالى بالناس من خلال رسالاته ورسله، فقد بعث ﷻ لكل أمة نذيرا يدعوهم إلى دين الله، وتطبيق نظمه وشريعته، ويبعدهم عن النظم التي أبعدتهم عن الحق، وأخذتهم إلى الفساد والضلال .

ومن المؤسف أن فترات الكفر والضلال زادت عن مدة الإيمان، بعدما صار للجن أنصار من الإنس يعملون معهم .

وختم الله ﷻ الرسالات بالإسلام، فجعله دينا كاملا تاما، وربطه بالوحي المنزل، وحفظه بحفظ مصادره التي لم يغب منها شيء قط .

فالقرآن الكريم هو مع الناس اليوم كما سمعه رسول الله ﷺ من جبريل عليه السلام .

والسنة النبوية هي هي، فقد نقلها الرواة كما سمعوها، وتحملوها من رسول الله ﷺ، ودونها المحدثون كما قالها الرواة .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٣٦ .

(٢) سورة فاطر الآية : ٦ .

واجتهد العلماء المسلمون في حفظ الوحي المنزل، فألفوا العلوم، ودونوا الدواوين، واهتموا بالدعوة لتفهيم النصوص المنزلة، واستنباط الأحكام منها، وفق الدلالات اللغوية، واتساقا مع الضوابط الشرعية، والأصول الإيمانية التي حفظها الوحي للناس.

ولم تغب الخصومة في الحياة العملية، فلقد تعاون أعداء الإسلام ضده، فمن الأيام الأولى للإسلام كان الصد عن دين الله، وكان منع الدعاة من الوصول للناس، وكان إدعاء أن عبادة الأصنام أفضل من عبادة الله وحده .

وعاش المسلمون هذا الواقع من اللحظات الأولى ، وعنها يقول الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (١) ، ويقول ﷻ : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ (٢) .

وخيب الله تعالى سعي أعداء الإسلام وهم يعملون على إزالته، والقضاء عليه، كما قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ (٣) ، وقد رأى الناس ذلك بفشل الحروب الصليبية ، وردها على أعقابها منكسرة خائبة .

إلا أن أعداء الإسلام لم يستسلموا لهزيمتهم في الحرب الصليبية، فعملوا

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١١٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٢٣ .

(٣) سورة الصف الآيتين : ٨ ، ٩ .

على استعمار البلاد الإسلامية، وتفريغ الإسلام من حقيقته، وإبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل عديدة، بعضها ظاهر، وبعضها خفي، وكان من وسيلتهم في ذلك أن أبعدوا النظم الإسلامية عن حياة المسلمين العملية، واستبدلوا بها نظما وضعوها بعقولهم، وسموها بأسماء براقة لامعة كالاستعمار، والتبشير، ... وساعدهم في هذا العمل الخبيث نفر من المنافقين ، وضعاف الإيمان من المسلمين، ومن الذين تعلموا في بلاد الغرب، وعملوا على تغريب حياة المسلمين بتطبيق نظم الغرب وقوانينه، واستمروا في ذلك حتى وصل الأمر إلى سيادة القوانين الوضعية، وإلى مسخ سلوك المسلمين ، وإبعادهم عن دينهم، وترك لوازم ما يؤمنون به، وفخرهم بحياة الغربيين التي يحبونها .

و **هكذا**

علا شأن المفسدين في بلاد المسلمين، وانتشرت النظم الباطلة، وأخذ المفسدون يجاهرون بهذا الباطل ويعلنونه للناس بلا رادع من خلق، ولا بحث عن حق، ولا خوف من سلطان .

ينقل الأستاذ الدكتور / محمود الصاوي بعض أقوالهم ، فيقول (١) :

ومن أقوالهم : أن القرآن الكريم لم ينظم أمور السياسة تنظيما مجملا ، أو مفصلا، وإنما أمر بالعدل والإحسان ، وأن النبي ﷺ لم يرس بسنته نظاما معينا للحكم ولا للسياسة، ولم يستخلف على المسلمين أحدا من أصحابه بعهد مكتوب أو غير مكتوب (٢) .

ومن أقوالهم : أن سوء تطبيق الإسلام عبر عصوره التاريخية المتتالية

---

(١) النشاط التشريعي في الإسلام ص ٩ .

(٢) الإسلام السياسي لمحمد سعيد العشماوي ص ٣٢ .

يدعونا إلى الشك في قدرته على التأثير على المسلمين بوجه عام مادام الطابع الغالب على سلوكهم طوال التاريخ هو الابتعاد والانحراف عنه (١) .

ومن أقوالهم : أن القرآن الكريم لكل العصور، ولكل الأزمنة، إلا أنه يخص المعتقدات والعبادات فقط، وليس فيه ما يخص المعاملات، لأنها علاقة إنسانية ، وما دام الإنسان يتطور ، فلابد من تطور هذه المعاملات، وأن قضية الصلاحية لكل زمان ومكان تحتاج إلى إعادة تفسير شامل في ضوء حقيقة أن الميدان البشري غير ثابت (٢) .

وقد وصل الأمر المؤلم إلى أن ألف شيخ أزهري هو الشيخ علي عبد الرزاق كتابه "**الإسلام دين لا دولة**"، ونادى بما ينادي به خصوم الإسلام، وأنصار إبليس اللعين .

وزعم المرجفون من المنافقين أن الاستعماريين وأعوانهم هم الذين أزاحوا النظم الإسلامية عن الحياة العملية، ووضعوا غيرها مكانها، ولا أمل في العودة إليها مرة أخرى، وهم بذلك قتلوا النظم، وأخذوا يبحثون عنها وعن قاتلها، ونسوا أن الحقيقة لا تغيب، وأن للحق أنصارا في كل وقت .

والله متم نوره بلا جدال، ولذلك هيأ بعض العلماء للدفاع عن الإسلام وإظهار الحق في قضية النظم، وقد أثبتوا في أبحاث مطولة وجود النظم في الإسلام، وبينوا صلاحيتها لكل زمان ومكان، ودعوا إلى الأخذ بها وتطبيقها في الحياة الإسلامية ، وإبعاد الزيف والأكاذيب التي أثيرت حولها .

وواصل العلماء جهادهم ، فقارنوا نظم الإسلام بغيرها، وبينوا تميزها،

---

(١)الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة لفؤاد زكريا ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠ بتصرف .

وسبقها في الإصلاح والتقدم .

وصار للنظم الإسلامية اليوم علماء يرفعون شأنها، ويفصلونها للناس، وينادون بتطبيقها ، فهي الإسلام ، وتركها يعني ترك الإسلام نفسه، وبخاصة أن الإسلام دين متكامل يضم أركان العقيدة، ونظم الشريعة ، ومكارم الأخلاق، وليس من الإسلام الإيمان ببعضه، والكفر بالبعض الآخر، ومن يذهب إلى ذلك يكفر بجميعه .

عشت هذه الحقائق عند تفكيري في النظم فرأيت من واجبي الديني أن أخوض المعركة، وأعاون من ينادي بالنظم الإسلامية ، وأكون جنديا في معركة حماية الإسلام وعودته بشريعته ونظمه إلى الحياة من جديد.

ورأيت من البداية تحديد المسار العلمي الذي سأسلكه، وهو اتباع منهج علمي موضوعي، لا أحيد فيه عن الحق، وأتمسك بالصواب، وإن نطق به من يعارضني، وأرفض الباطل وإن نطق به قريب مني.

إني أحب الله تعالى ورسوله ﷺ ، وأحب ديني، وأعلم أن الله تعالى أمر بالصدق والأمانة، وحث على ترك العدوان والظلم، ودعا إلى العدل واتباع البرهان، والنظر المتأني في آيات الوجود للوصول للحق في سائر الأمور بقدر الإمكان .

إن الله هو الحق، ودينه هو الدين الحق، وشريعته هي الشريعة الحق، ولذلك كانت سعادتي حين صرت جنديا في كتيبة الحق، أسير بهديها، وأعيش بنظمها، وأدعو الناس لمنهجها، فهو منهج الله رب العالمين .

إن النظم الإسلامية هي الإسلام ، ففيها نظام الاعتقاد الذي يعرف بالله، ويقدم براهين الإيمان به، وينادي بلوازم هذا الإيمان ، ويوضح كيفية الدعوة

إليه في العالم كله، وفي الدعوة بيان سائر الأنظمة التي تصلح الحياة في كافة جوانبها للفرد ، وللجماعة، وللأمة .

إن النظم الإسلامية تعم سائر الموجودات عند ظهورها، وبعد فنائها، وتعم الإنسان حيا وميتا ، ذكرا أو أنثى ، صغيرا أو كبيرا ، وتشمل الجماعة والأمة ، وتبين أحكام الحرب والسلام، وغير ذلك من سائر النظم .

ومن لوازم الإيمان بالله التصديق بالنظم التي شرعها سبحانه وتعالى، والتمسك بها، والدعوة إليها .

إني أومن بأن النظم تعني الإسلام كله، حتى أنه يمكن القول إن النظم شاملة لكل شأن وحال للإنسان ، فما من أمر أو حال إلا وله نظام مشروع صغر أو كبر، قل أو جل ... وما من حكم شرعي إلا وهو ينظم للإنسان جانبا من حياته ونشاطه، وينظم الجماعة لتعيش بشرع الله تعالى .

فللإنسان الفرد في شرع الإسلام نظم مثل نظم الأكل ، والشرب، والنوم، واليقظة، والحركة، والسكون ، والزواج ... وهكذا .

وللجماعة في شرع الله نظم الائتناس، والاستئذان، والصحبة، والنصح، والتعاون، والأخوة، والمرحمة، ... وهكذا .

وللأمة في دين الله تعالى نظم الدعوة، والتواصل، والجهاد ، وهكذا .

عشت هذه الحقيقة، وهداني الله تعالى إلى ضرورة التأليف والبحث لوضع موسوعية شاملة للنظم الإسلامية بطريقة علمية منهجية تناسب إنسان العصر الذي يهتم بتحليل الواقع، ومقارنته بما يماثله عند غير المسلمين ، وبيان شموله لكافة جوانب الإصلاح ، والرقي، والعلا .

وليسمح لي العلماء الذين كتبوا في النظم أن ادخل في زمرتهم، وأستفيد بعلمهم، فما أردت إلا ما أرادوه، وما قصدت إلا ما سعوا إليه.

ولنكن جميعا صفا وأحدا نصون الحق، ونعليه، ونتمسك به، وننصره، ونحمي النظم الإسلامية، وندافع عنها، ونبرهن على عظمتها ومنهجيتها في تحقيق الإصلاح، وثبات الدين، وقوة الإسلام والمسلمين .

إن خصوم الإسلام يتبعون خطة خبيثة في محاربة النظم، فيأتون إلى نظام ما ويأخذون منه جزئية صغيرة، ويعزلونها عن مسارها، ويدعون أن فيها قصورا عن المصلحة، وهذا منهج خبيث جعل الأستاذ / عباس العقاد يصدر كتابه "**حقائق الإسلام وأباطيل خصومه**" حيث نادى بدراسة الموضوع من كافة جوانبه، ووضع الجزئية مع أخواتها، وتحليلها ومناقشة كافة الآراء حولها، لإثبات الحق، وإبطال الباطل بلا حيف أو جور، أو قصور .

ومثال ذلك قطع يد السارق وهو الحد الذي شرعه الله ﷻ عقوبة للسرقة، يأتي الخصوم بالعقوبة وحدها، ويرونها قاسية ظالمة، ويتركون النظر إلى الجريمة عن عمد، لأنهم لو نظروا في الجريمة، وقارنوها بالعقوبة لعلموا أن العقوبة مساوية للجريمة ولا ظلم فيها .

ومن هذا وذاك

رأيت ضرورة وضع موسوعة النظم بصورة شاملة وكاملة لتأكيد صلاحية الإسلام ، وبيان سبقه لما عداه، وتوضيح أسباب ختمه لكافة أديان الله تعالى، ورد الدعاوي الباطلة التي يثيرها السفهاء ضد النظم الإسلامية .

وتأملت مليا في تنوع النظم وكثرتها، ورأيت أنها تتفق مع كون الله تعالى، فقد أوجد الله ﷻ الكون منظما، مرتبا، متكاملا، يقول الله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾(١).

---

(١) سورة الأعلى الآيات من ١ : ٣ .

ويقول ﷻ : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ (١) .

ولقد خلق الله ﷻ الإنسان بخصائصه، واستخلفه في الأرض، وشرع له النظم ليحيا بها، ويتعامل بواسطتها مع سائر المخلوقات لتنظيم كل شيء في هذا الوجود، وتحديد موقف الإنسان منها، ودورها معه، واتضح لي أنها موسوعة هامة، وضرورية، وأنها تحتاج لجهد علماء عديدين في سائر التخصصات العلمية .

إن العلم بالنظم الإسلامية يحتاج لجهد المفسرين والمحدثين لاستخراج أصول النظم من الكتاب والسنة، ووضعها في قوالب عملية تناسب طاقات الإنسان، وسعيه ليعيش متلائما مع سائر المخلوقات، ومستفيدا بالموجودات، ومفيدا لغيره من الناس، وعبدا لله رب العالمين .

وتحتاج دراسة النظم إلى علم الأصول والفقه لاستخراج الأحكام الشرعية لسائر الأنظمة التي يعيش بها الإنسان من أدلتها التفصيلية حتى لا يقع في أمر محرم أو مكروه، أو يترك أمرا واجبا، أو مندوبا، أو مباحا .

وتحتاج النظم إلى علم التاريخ لوضع منارات للحاضر والمستقبل مستمدة من تجارب الماضي،وقصص الأنبياء وأحداث التاريخ لبيان الصالح من غيره

وتحتاج النظم إلى علماء مختلف العلوم الإنسانية الحديثة جميعا لصياغة النظم المشروعة في أشكال ملائمة لواقع الناس، وعاداتهم، وتقاليدهم للوصول إليهم في سائر المجتمعات، وتحليل الظواهر والعمليات الاجتماعية لتوجيههم بالحكمة في إطار الثوابت الشرعية .

وتحتاج النظم إلى علماء الفن والجمال، للوقوف على جمال الوجود،

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٢ .

ورؤية التوازن، والتنسيق، والتكامل بين جميع المخلوقات، وكشف ما في الموجودات من نظام فـ﴿ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ (١)، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ (٢) .

تأملت هذه الجهود الكثيرة المطلوبة لإخراج موسوعة شاملة ودقيقة في النظم الإسلامية، تجعل الإسلام سهل الفهم، ميسر التطبيق، محببا لسائر الناس، صالحا لكل زمان ومكان... وشعرت بعد التأمل الواسع مدى الحاجة إلى العلماء ... وكدت أصرف نفسي عن التفكير في الكتابة وحدي في هذا الموضوع مع أهميته ، واشتد ترددي عندما رأيت حاجة الدراسة إلى الجهد، والوقت، والطاقة، إلا أن أهمية الموضوع أبعدت هذا التردد، ودفعتني إلى الكتابة، والاستعانة بمؤلفات العلماء الذين كتبوا فيه، وجمع التآليف المتناثرة في النظم، وتنسيقها، وصياغتها صياغة جديدة، وتحمل العناء والتعب المطلوب للعمل، وسألت الله تعالى أن يعينني في شيخوختي، وضعفي، وأن يقوي همتي في هذه المهمة ...

وقوي العزم عندي أملا في إخراج قدر في الموسوعة يقدره الله لي، ويوفقني فيه، ويعينني عليه كما أعانني في كل مؤلفاتي السابقة، فلقد كنت أهاب الإقدام عليها، إلا أن الله ﷻ قدر لي أن أتمها على نحو ما خرجت به

وإني أستعين بالله تعالى، وأقدم على الكتابة في النظم الإسلامية، وأحاول التعريف بها واحدة واحدة، وتوضيح جوانب الصلاح والإصلاح فيها، وتأكيد ذلك بالنصوص الثابتة ، وآراء العلماء، ورد ما يثار حولها من شبه وأباطيل،

---

(١) سورة الحجر الآية : ١٩ .

(٢) سورة الرعد الآية : ٨ .

وداعيا إلى العودة الجادة إلى الإسلام بتطبيق نظمه التي رضيها الله لنا .

ورأيت أن أقدم لدراسة النظم بوضع مدخل لها، يعرف بها، ويبين أهميتها، ويوضح موضوعها، ويحدد دعائمها، ومصادرها، وخصائصها، وغاياتها .

وبهذا المدخل أتجنب التكرار في أمور يحتاجها كل نظام، لأنها جميعا تتحد في المصادر، والدعائم الأساسية، والخصائص العامة، والغايات المقصودة، ولها جميعا ارتباطها بأصول الدين وفروعه، وغير ذلك من القضايا التي يتناولها هذا المدخل.

وأسأل الله تعالى أن يعينني فيما قصدت، وييسر أمامي الصعب، ويسهل لي العمل .

وأسأله ﷻ أن يمتعني بسمعي، و بصري، وعقلي، وقوتي ، وأن يجعلها الوارثة مني .

وأساله سبحانه أن يفتح لي المغاليق، وأن يهديني للصواب، وأن ينير أمامي الطريق لأصل للحق المستقيم .

وأسأله سبحانه أن يغفر ذنوبي، ويستر عيوبي ، ويقبل حوبتي، ويصرف عني وساوس الشيطان ونزعاته، ويجعلني خيرا مما يظن الناس.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الصعب سهلا، فكن لي، ولا تكن علي، فأنت العزيز الحكيم ، وأنت أرحم الراحمين .

أ . د أحمد أحمد غلوش

التجمع الخامس نرجس /٤ في

أول ذي الحجة ١٤٣٧هـ

سبتمبر ٢٠١٦م

المقدمة الثانية
أهمية المدخل لدراسة النظم الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ؛؛؛؛؛

فيوضح تاريخ العلوم أن كل علم بدأ كتلة واحدة تشمل أصوله، وفروعه، وأقسامه جميعا، فظهر كيانا واحدا متماسكا ، وكان على كل دارس لعلم من العلوم أن يدرس الفروع كلها في علم واحد، فكان اللغوي مثلا يدرس النحو والصرف، والأدب والبلاغة في علم واحد وكان دارس الفقه يدرس الأصول والفروع في علم واحد، وإن اختلفت الآراء، وتنوعت المذاهب، إلا أن انتشار العمران، وتنوع النشاط، واتساع المعارف أدى إلى انقسام العلم الواحد إلى علوم عدة، وانقسم الأصل إلى فروع كثيرة، وتخصصات عديدة ، وأخذ العلماء بهذا التخصص ، وصار لكل نوع من المعرفة رجال يهتمون به ، ويحيطون بكافة جوانبه .

وانقسم التخصص إلى تخصصات فرعية كثيرة مثل انقسام علم التاريخ إلى علم تاريخ العمران، وعلم تاريخ الملوك والدول، وعلم تاريخ السلم والحرب، وعلم تاريخ العلوم، .... وهكذا في سائر العلوم .

وكما تعددت العلوم تعددت المناهج، وتعددت الأساليب المتبعة في كل علم .

ولن يقف التخصص العلمي عند حد معين، وإنما هو آخذ في التوسع الرأسي والأفقي، وإيجاد تخصصات فرعية جديدة نابعة من التخصص العام الأول ..... ومثال ذلك علم الدعوة، فقد بدأ عاما يدرس في إطار علوم

الإسلام الأخرى مثل التفسير والحديث، يقدمه العالم من خلال تفسير آية ، أو شرح حديث نبوي، أو تقديم حكم فقهي، أو رواية حادثة تاريخية، ... وبعد ذلك أخذ في التخصص ، فظهر علم الدعوة شاملا لكل جزئياته، ثم انقسم إلى علم أصول الدعوة، وعلم الخطابة، وعلم تربية الدعاة، وعلم نفس المدعوين ، .... وهكذا .

إن سائر العلوم مستمرة في التنوع الرأسي والأفقي، وهي دائمة التنوع والتعدد بلا توقف ولا نهاية، وصدق من قال عن العلم: **إنه لا يعرف الكلمة الأخيرة** .

وانطلاقا من هذا التنوع احتاج كل علم إلى دراسة فنية تتقدمه، وتعرف به، وتحدد موضوعه، وتوضح كافة المسائل التي تتصل به من ناحية الأصل، والخطة، والأسلوب، والهدف، والمزايا التي يتميز بها الباحث، والمنهج المناسب للبحث والدراسة ، وقد سمى العلماء هذه الدراسة التي يحتاجها كل علم مدخلا للعلم، وبينوا ضرورتها، وشبهوها بطريق يسلكه الساعي للوصول إلى بيت معين ، فإنه لو جهل هذا الطريق، أو جهل الوسائل التي تمكنه من السير فيه فإنه لن يتمكن من الوصول إلى البيت .

إن هذا الطريق ليس هو البيت، ولكنه ضروري للوصول إليه، وهكذا المدخل إلى العلم ، لأنه لابد منه للعلم، وإن لم يكن جزءا منه.

إن مدخل كل علم يُعرِّف بالعلم، ويحدد موضوعه، ويوضح مصادره، ويبين دعائمه، وخصائصه، ويذكر الصفات العلمية التي لابد منها لمن يبحث فيه، وبهذا المدخل يتحدد المجال العلمي للعلم، فلا يتداخل مع غيره، ولا يقوم بالدراسة فيه إلا من يخدمه، ويفصله، ويقدم منهجا للعمل به في موضوعية علمية، وإخلاص تام للبحث .

إن المدخل لدراسة النظم الإسلامية يقدم القضايا التالية : –

أولاً : يعرف المدخل بالنظم بصورة عامة مجملة كما هي في لسان المهتمين بالعلم، وعند علماء التخصص، وهم يبينون معناها وأحوالها، في حالة الإطلاق ، أو في حالة وصفها بمذهب أو دين، أو عند ربطها بفرد أو بهيئة، أو بمؤسسة، أو بتصورها في أوضاع معنوية أو حسية ، أو وهي موجودة مع الإنسان أو مع غيره من المخلوقات .

ثانياً : يبين المدخل تنوع النظم، واختلافها باعتبارات متعددة، ففيها نظم رئيسية ، وأخرى فرعية ... وهناك نظم للفرد ، وأخرى للجماعة، وهناك نظم بدائية بسيطة، وأخرى مركبة معقدة ... الخ ، وهذا يوضح أن النظم تكون عامة عند إطلاقها، وتكون خاصة إذا خصصت بوصف، أو بإضافة، ولذا صار واجبا عند الدراسة أن يحدد الباحث النظام الذي يقصده ويجعله موضوعا لدراسته .

ثالثاً : يبين المدخل الدعائم والأسس التي تقوم عليها النظم، وتظهر في الحياة والأحياء، لأن النظم الإسلامية في جملتها صناعة إلهية خالصة ، أنزلها الله تعالى للإنسان ليؤمن بربه، ويسير على منهجه وفق خطة منسقة متكاملة تعتمد على العبودية القانتة لله تعالى .

رابعاً: يوضح المدخل المصادر التي تؤخذ منها النظم الإسلامية، لأن من الضروري ربط النظام بالمصدر الذي يحدد هويته، ويبين الصفة التي تقيده، ولذلك وجب تحديد المصادر لسائر النظم لوضعها في المجال الذي تستمد منه أحكامها.

وقد تتعدد مصادر النظام، وتتنوع توجهاتها، وهذا أمر جائز إلا أن من الضروري ربط النظام بمصادره الرئيسية لتتضح هويته ... وقد يلجأ الباحث

لتأكيد صلاحية النظم الإسلامية بالرجوع إلى مصادر بعيدة عن النظم، وعن هويتها، وهذا لا شيء فيه ما دام لا يتعارض مع المصادر الأساسية المعتمدة .

خامساً : إن وصف النظم بالإسلامية يضعها في مسار واحد لتحقيق غايات واحدة ، لأن الإسلام يعني المنهج المنزل من قبل الله تعالى، الشامل على أحكام لكل ما في هذا الوجود من كائنات، ولذلك كان من الضروري بيان الغايات الكبرى للنظم الإسلامية في إطار قيام سائر النظم الإسلامية الفرعية في تحقيق الغايات والمقاصد الدينية المحددة لها.

والنظم الإسلامية تتميز بخصائص عديدة، وسمات واضحة تظهرها على حقيقتها ، وتبين دورها، وعمومها، وشمولها، لأنها تعبير عملي عن الإسلام كله، ولذا وجب دراسة الخصائص العامة التي تشترك فيها سائر النظم بصورة ظاهرة أو خفية .

سادساً : بيان الغايات التي تهدف إليها النظم الإسلامية، لأن الإسلام في جملته يعمل للإصلاح الشامل ، وتحقيق الاستقامة والرشاد بين الناس، وتهيئة المسار المستقيم الذي يصل العبد بالله تعالى .

إن النظم الإسلامية تساهم في إيجاد الإنسان المؤمن القوي ، العارف لحقوقه ، والمؤدي لواجباته، والساعي لتحقيق الخير والسعادة لنفسه ، ولغيره في الدنيا والآخرة ....

ولذلك كان من الضروري ارتباط العمل في الإسلام بالنية ليكون العمل مرتبطا بمقاصد الشرع ، ومستقرا على كل صالح ومفيد .

إن الله تعالى أوجد الإنسان في عالم منظم دقيق، فهبوب الرياح، وجريان الماء، وتقلب الفصول، وإيجاد الزرع والشجر، وظهور السهل

والحجر، وماء النهر والبحر تؤكد هذا الجمال الكوني المنظم، ولذا كان على الإنسان أن يعيش في نظام ييسر له التعامل مع مكونات هذا الكون، ورحم الله الإنسان فشرع له النظم الجامعة لخيره في تلاؤم وتوافق مع كل خلق الله تعالى .

إن مقاصد الشريعة هي تحقيق حاجات الإنسان بطريقة متكاملة من خلال تشريع ما تحتاج إليه من ضرورات، وتحسينات، وكماليات .... ولا تتحقق هذه المقاصد في عالم الواقع مع الإنسان بصورة فردية أو جماعية إلا بالالتزام بالعمل الشرعي الناشئ عن نية صادقة، وعمل مخلص، وتوجه تام لإرضاء الله تعالى.

إن المسلم يحتاج للنية في كل أعماله جلت أو دقت ، فمن يشرب ماء فعليه أن يسمي الله ، ويرفع الإناء بيمينه، ويوزع شرابه من الإناء على ثلاث جرعات يسمي الله فيها ... والمجاهد محتاج للنية، وعليه أن ينوي بجهاده رفع كلمة الله تعالى بين الناس، والمزارع يحرث الأرض، ويلقي البذر، ويسقي الزرع إرضاء لله تعالى، واستعانة بقدرته ليبارك له في زرعه .

إن النظم في الإسلام تجمع النية الحسنة، والعمل الصالح مع رجاء عطاء الله تعالى، ونزول بركته، وبذلك يعيش المسلم مع ربه طلبا، وعطاء، وحمدا، وشكرا .

سابعاً : توضيح المنهج الذي يسلكه الباحث في النظم الإسلامية ، لأنه يحتاج إلى استخراج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال السلف الصالح المتصلة بالموضوع الذي يدرسه، وهذه مرحلة استقراء وجمع ، كما تحتاج النصوص التي جمعها إلى ترتيب العناصر التي تكوَّن النظام وترتيها لتكون موضوعا مفهوما، قابلا للتطبيق .... كما يحتاج الباحث إلى مقارنة

الصورة التي توصل إليها بالنظم المأخوذة من مصادر غير إسلامية لبيان المحاسن، أو المعايب من خلال المقارنة .

ولا مانع أن تمتد المقارنة إلى التطبيقات السابقة للنظم لتتأكد الرؤية النظرية بالواقع العملي ...وحتى يستفيد الباحث من أحداث التاريخ، ويستنبط منها الدروس والعبر التي تفيد في إظهار مزايا النظم .

إن العالم الباحث في النظم الإسلامية يتميز بمعرفة المصادر التي يأخذ منها، ويحيط بالعلوم التي وضعها العلماء المسلمون مثل التفسير والحديث، والفقه، والتوحيد ... لأنها هي الأصول الثابتة لكافة المعارف الإسلامية .

ويحتاج هذا الباحث إلى دراسة العلوم الإنسانية المعاصرة ، لأنها تساعده في دراسة المجتمعات، وحسن التعامل مع الواقع ، والاستفادة من مكونات الرأي العام، وتوجيه العمليات الاجتماعية، وفهم الظواهر البشرية من خلال الإطار الذي وضعه للنظام الذي يدرسه ويقدمه للناس .

لأبد لهذا الباحث أن يعرف الشبهات التي تثار حول أي نظام إسلامي، حتى يتمكن من ردها، وإثبات الحق فيها، كما يحتاج إلى معرفة ما عند الآخرين من نظم ليسهل أمامه تقديم النظام الإسلامي بصورته الصحيحة، وتميزه عن غيره.

ولابد لهذا الباحث من الصدق، والإخلاص، والجرأة، وقوة الإيمان ليواصل مسيرته، ويتغلب على أي عقبة تقابله، وما أكثرها في عالم سيطرت عليه المادية، وعلا فيه صوت الباطل، وصار للجحود أتباع من المسلمين .

ومن الحقائق التي أثبتها التاريخ، ويؤكدها الواقع أن خصوم الإسلام يعملون بكل جهد للإساءة إلى الإسلام بكل ما يمكنهم، وفي أي اتجاه يجدون فيه مدخلا لهم .

نجدهم يثيرون الشبه حول نصوص الإسلام، ومصادره، ويستغلون جهل المسلمين بالحقائق الدينية .

ونجدهم يشوهون رجال الإسلام وعلماءه بأخبار كاذبة .

ونجدهم يبعدون تعاليم الإسلام عن إصلاح الحياة ، ويزعمون عدم صلاحها للناس .

ونجدهم ينشرون الفساد والضياع في كل مجال، ويدعون أنه التقدم.

ونجدهم يحاصرون المسلمين في بلادهم، ويستولون على خيراتهم، ويشغلونهم بالفساد العلمي، والخلقي، ويبعدونهم عن الأعمال النافعة، والاستقامة الخلقية ، ومسارات النهضة والتقدم، وبعد ذلك يتهمون المسلمين بالقصور والتخلف، ويربطون الوضع المتدني للمسلمين بدينهم .

إن خصوم الإسلام استغلوا كافة السبل لإفساد المسلمين، واتهام الإسلام، وتمكنوا من تحقيق بعض ما يريدون بسبب ضعف المسلمين، وجهل العلماء، وتبعية الولاة لهم، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، حتى وصل الحال إلى أن انتشرت الجريمة في كل جانب، وفسدت الأخلاق، وانحرف العاملون، وغابت القيم، وذاعت الخصومات بين المسلمين، وأصبح العثور على رجل أمين، متمسك بالإسلام صعب المنال .

إن الإسلام موجود في عقول الناس، ومعلوم للخاصة والعامة، إلا أن الذي يطبقه، ويلتزم بتعاليمه، ونظمه قليل.

وفي نفس الوقت نجد انبهار الناس بما عند الأمم المتقدمة، وهي غير إسلامية، ورضوا بنظمهم التي اخترعوها، وعاشوا بها ، وتمنوا من هذه التبعية أن ينالوا منزلة عندهم، ونهضة مثل نهضتهم .

وكانت فرصة لأعداء الإسلام، فقدموا للشعوب المغلوبة النظم التي تفسد الأخلاق والسلوك، والمعارف، ومنعوا عنهم نظم العمل والتقدم التي نهضوا بها، فسقطت الأمة، وانحط قدرها، وأصبحت عالة على غير المسلمين .

في وسط هذا الحال الكئيب صار واجبا على كل مسلم يعلم دينه أن يتمسك به، ويعلمه لأهله وذويه، وأن يستمر في الدعوة إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والخلق الكريم، ومواجهة أباطيل المرجفين بالحق الثابت بمصادره ونظمه، وان يجاهد بماله ونفسه لإعلاء كلمة الله تعالى .

ويبقى الأمل في عودة جادة إلى تعاليم الإسلام الثابتة بأصولها، وبجهود علمائها بعد انهيار الأكاذيب المزعومة ، وسقوط القيادات الخائنة ، ومعاداة الفساد والضياع ، والهوان .

وإن كان لي كلمة هنا فإني أقولها للإنسان المسلم:

أقول له: إيمانك بالله تعالى هو وجودك، وعزك بإسلامك هو مجدك، والتزامك بتعاليم الإسلام هو رسالتك في حياتك الدنيا ، فكن على خير يسعدك في الدنيا والآخرة ، وقدر مسئوليتك إزاء الإسلام، وكن أحد أبنائه البررة الذين يتخذون من رسول الله ﷺ أسوة لهم كما قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾(١)

وسوف يأتي هذا المدخل في فصول متتابعة تدور حول العناصر السابقة، على أن يضم كل فصل عنصرا منها .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

أسأل الله تعالى أن يهديني للحق، ويسدد سعيي لنشر الإسلام المنزل من عند الله تعالى على قدر استطاعتي، وأسأله سبحانه أن يفتح القلوب والعقول لإدراك ما أقول، والاستفادة بما هو نافع مفيد .

وهنا أعلن رضاي وسعادتي بكل نقد يوجه إلي لتصحيح المسار ومعالجة أي قصور أقع فيه.

وبهذا تلتقي جهود العلماء في نشر الحقائق، والدعوة إلى الله تعالى ، ودعوة الأمة إلى ربها ، ودينها، والأمل كله في قدرة الله تعالى ، ورحمته ، إنه عزيز حكيم .

والله ولي التوفيق

أ د / أحمد أحمد غلوش .

الفصل الأول

مفهوم النظم الإسلامية
وبيان أهميتها

مفهوم النظم وبيان أهميتها

تحتاج التراكيب اللفظية إلى بيان المعنى المراد منها، ومن مفرداتها، وهذا يستلزم بيان المعنى اللغوي لكل مفرد على حده، لبيان حقيقته اللغوية بمعناها العام ، وهذا هو التصور، كما يستلزم بيان معنى المركب بعد إسناد المفرد لمفرد آخر لإظهار معناهما معا، وتوضيح ما بينهما من نسبة خبرية، وهذا هو التصديق الذي يتم بعد التصور، ويؤدي إلى الحكم الذي يتضمنه التركيب، ولذلك قالوا: " **الحكم على أي شيء فرع عن تصوره** ".

وقد درج المناطقة ببحث تصور المفردات وحدها، وإسنادها لغيرها لاكتشاف النسبة بين المسند والمسند إليه ، وهو الحكم المقصود .

ولهذا سأتناول بيان المعاني اللغوية للمفرد، وللجملة لأصل بعدها إلى توضيح المعنى الاصطلاحي للنظم بصورة عامة، والنظم الإسلامية بصورة خاصة، وهو المقصد الرئيسي من الدراسة، وسأقوم بشرح التعاريف الاصطلاحية لبيان أهم ما يتضمنه كل تعريف من خصائص ومزايا .

وفي هذا الفصل سأعرف بالنظم لغة واصطلاحا، وأوضح المفهوم العام للنظم الإسلامية، وأبين أهميتها، وذلك في مبحثين :

المبحث الأول: بيان المفهوم اللغوي والاصطلاحي للنظم، والنظم الإسلامية .

المبحث الثاني : بيان أهمية النظم الإسلامية .

وذلك فيما يلي :

المبحث الأول
تعريف النظم

سـأبحث – بـإذن الله تعـالى – فـي المبحـث الأول تعريـف الـنظم لغـة واصطلاحا بصورة عامة، والنظم الإسلامية بصورة خاصة .

ـ أولاً ـ
المفهوم اللغوي للنظم

البحث في أمر ما يحتاج إلى تصوره ، ومعرفة حقيقته ليتم البحث في أمر مجرد، معلوم في أفهام الناس .

ودائما يبدأ العلماء بالتعريف اللغوي لأنه أكثر سعة وشمولا من التعريف الاصطلاحي، وبعده يكون التعريف الذي اصطلح عليه علماء التخصص، حيث يختارون أحد المعاني اللغوية التي تناسب العلم الذي يبحثون فيه، ويضعون تعريفا لعلمهم الذي يهتمون به، ولذلك تتعدد المفاهيم الاصطلاحية بتعدد العلوم إلا أنها دائما تؤخذ من أحد المعاني اللغوية، وترجع إليها.

والنظم، والأنظمة ، والأناظم، والأناظيم جمع مفرده نظم (بفتح النون وسكون الظاء)، ونظام(بكسر النون) ، وهو مصدر اشتق من الفعل " نظم " بالتخفيف على وزن " فَعَل" من باب " ضرب" ، وقد تُشدَّد الراء إذا كان مصدره "التنظيم" ، وهو يفيد المبالغة في التنسيق والترتيب .

ومعنى نظم ألف شيئا ، وكونه من أجزاء متعددة بعد أن ضمها إلى بعضها فتكاملت حتى صارت شيئا واحدا مفيدا .

والنظام يوجد في المعاني كما يوجد في المحسوسات وله معان عدة في اللغة

يقول صاحب القاموس المحيط: النظم التأليف، وضم شيء على شيء آخر ، ومنه نظم اللؤلؤ (بالفتح) ينظمه من باب (ضرب يضربه) نظما ،

ونظاما، وتشدد الضاد في " نظَّم" ، وتفيد نفس المعنى مع المبالغة والإكثار في التأليف، والجمع في سياق واحد، يقال نظمه فانتظم ، وتنظم (١) .

وجاء في لسان العرب : النظم التأليف، وفعله نظم ينظم نظاما ونظما ونظمه (بالتشديد) فانتظم وتنظم، ومنه نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك ، والتنظيم مثله ، ومنه نظمت الشعر ، ونظمته إذا صنعت من الكلمات شعرا بعد جمعها وتنسيقها ، وترتيبها على نحو ما .... وكل شيء قرنته بآخر، أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته .... والنظام ما نسقت فيه الشيء من خيط وغيره حتى صار شيئا واحدا .... ونظام كل شيء ملاكه .

والنظام الهدى، والسيرة، والعادة ... ومنه قولهم: ما زال على نظام واحد أي على عادة واحدة، واستقام على النظام أي على الهدى والسيرة الحسنة (٢)

وفي مختار الصحاح : نظم اللؤلؤ جمعه في السلك، وهو من باب "ضرب " ، ومنه نظم الشعر، ونظمه بالتخفيف والتشديد ، وباجتماع الأجزاء وتآلفها يكون النظام والانتظام والاتساق (٣) .

وفي معجم مقاييس اللغة: النون والظاء والميم أصل يدل على تأليف شيء وتكثيفه ومنه قولهم: نظمت الخرز نظما، ونظمت الشعر، والنظام الخيط يجمع الخرز، ويفيد الكثرة تقول : جاءنا نظم من جراد أي كثير من الجراد (٤) .

وفي المعجم الوجيز: نظم الأشياء نظما، ألفها ، وضم بعضها إلى بعض،

---

(١) القاموس المحيط للفيروز أبادي " مادة نظم " ج٤ ص ١٨٤ .

(٢) أعلام الموقعين لابن القيم ج٤ ص ٣١١ .

(٣) مختار الصحاح مادة " نظم " ص ٦٦٧ ط الحلبي.

(٤) معجم مقاييس اللغة مادة " نظم" ج٥ ص ٤٤٣.

تقول انتظم الشيء أي تألف واتسق ، والنظام الترتيب والاتساق (١) .

ولم تخرج سائر كتب اللغة عن هذه المعاني، وكلها تجمع على أن النظام يفيد معان عدة ... أهمها : -

- **التأليف والضم** ، فكل نظام يتألف من أجزاء تألفت وتضامت حتى صارت شيئا واحدا، يقوم بوظيفة واحدة ، أو عدة وظائف ، خيرا كانت أو شرا ، حسنة أو قبيحة .
- **الترتيب والتنسيق** حيث يناسب كل جزء غيره، ويتعاون مع بقية الأجزاء في تحقيق غاية واحدة .
- **كثرة الأجزاء المتآلفة** لتساهم معا في تقديم نظام للناس في أي مجال ينشطون فيه .
- **وإذ لم تتكامل الجزئيات**، ولم تؤد لشيء واحد منسق لا تكون نظاما، ويقال لمن تنتشر الفوضى فيهم: ليس لهم نظام .

واجتماع الجزئيات في نظام ما يكون ماديا كنظام الزراعة، والعمل، ويكون معنويا كنظام التأمل والاستنتاج ....

كما يوجد في سائر مخلوقات الله تعالى في الأرض حيث نظام المعاملات الإنسانية ، ونظام تربية الحيوان، ونظام الاستفادة من النحل .

ويكون في السماء، مثل نظام الكواكب، والنجوم.

ويتم بصورة اختيارية، أو اضطرارية .

إن الله تعالى خلق الوجود كله، ووضعه في نظم ثابتة تسير به إلى ما قدر له ، وتهديه لما قضى الله به .

---

(١) المعجم الوجيز ص١٢٣ .

ـ ثانياً ـ
المفهوم الاصطلاحي للنظم بصورة عامة

حاول العلماء وضع تعريف للنظام في إطار العلم الذي يبحثون فيه ، فعلماء الزراعة مثلا يجدون عملهم مع الزراعة، فيضعون نظما زراعية لعملهم، ويحددون لها تعريفا خاصا بهم، .... ومثلهم علماء الصناعة والسياسة ، ... وهكذا سائر العلماء في سائر التخصصات .

ويقوم علماء الدراسات الإنسانية بوضع الأنظمة المتصلة بالإنسان من ناحية ذاتيته الشخصية ، أو تكوينه التربوي، أو من ناحية حاجاته الدنيوية التي تربطه بسائر الأنظمة الأخرى، ويضعون للجماعة والأمة نظما في الإدارة، والسياسة، والحكم، والقضاء، ومختلف الأنشطة الاجتماعية .

يذهب العلماء إلى وضع مصطلح للنظام بصورة عامة، وأيا كان موضوعه، ويرون أنه " **مجموعة القواعد والأسس التي تجمع الجزيئات التي تكوِّن منهجا وطريقا لأي عمل من أعمال الحياة المادية أو المعنوية، يسير الناس – أفرادا وجماعات– عليها ليصلوا إلى غايات مقصودة** " .

وهذا التعريف العام للنظم يجعل للنظم أسسا وقواعد تجمع جزئيات كثيرة، وتضعها في إطار واحد يصير نظاما يسلكه الناس .

ولم يحدد هذا التعريف مصدر واضع هذه القواعد التي وضعها الناس لأنفسهم ، أو نقلوها عن غيرهم من البشر .

وهو – نظام – لأنه مرتب ومنسق من جزئيات متآلفة تداخلت لتقديم أمر واحد كامل .

وهو – نظام يعم الأمور المادية والمعنوية للجماعة التي يوجد فيها .

والإنسان هو الإنسان من أول آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، وهو هو إلى أن

تنتهي الدنيا ، حيث تكون حركته، ويكون نشاطه في كل أمر وفق نظام وخطة، ولا يستقيم المعاش إلا بالنظام .

ونقصد بالنظم في دراستنا التي نعد لها هذا المدخل النظم المشروعة التي تتم بين الناس ، أو التي يكون الإنسان فيها طرفا ، فليس من دراستنا النظم الطبيعية مثل النظام الكوني، أو النظام العلوي، وما يحدث في الفلك مثل النظام الشمسي، أو النظم البعيدة عن الإنسان ، لأنها نظم حتمية تسير المخلوقات في فلكها بأمر الله تعالى ، يقول الله ﷻ : ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾ (١) ، فحركة الماء، وجريان الهواء، واختلاف الطقس، وفلك الشمس والقمر، ... وأمثالها توجد في نظام قدري خالص لا دخل للإنسان فيه .

وقد اتخذ أصحاب كل مذهب نظاما لأنفسهم ، وربطوا مذهبهم بفلسفتهم فظهرت النظم اليهودية، والنظم النصرانية، والنظم البوذية، والنظم الشيوعية، وهكذا ....

والنظم لا تبقى على عمومها عند الدراسة وإنما تتخصص بخصائص المذهب التي ترتبط به، أو بالمهنة التي تتناوله، أو بالبلد الذي تنتشر فيه، ويتم التخصيص بالوصف أو بالإضافة، فيقال نظام الزراعة، أو نظام أوربا، أو نظام الشيوعية، كما يقال النظام الزراعي، أو النظام الشيوعي، أو النظام الأوربي، وبهذا التخصيص تتحدد الدراسة، وتتضح اتجاهات قضية البحث.

ونحن في دراستنا نقصد نظم الإسلام ، أو النظم الإسلامية ، ولذا حسن أن نعرف بالمراد منها عند العلماء المسلمين .

---

(١) سورة يس الآية : ٤٠ .

ـ ثالثاً ـ

المفهوم الاصطلاحي للنظام الإسلامي

حدد العلماء المسلمون النظم الإسلامية وعرفوها بأنها " **المنهج المستنبط من أصول الإسلام وأحكام الشريعة لضبط حركة الإنسان في أعماله الظاهرة والباطنة، وفي أي شأن يقوم به ، فردا أو جماعة ، ليعيش في الدنيا على خير، ويسعد في الآخرة بالجنة** ".

وهذا التعريف يتضمن النقاط التالية : -

أ- **أنه منهج محدد المعالم لكل قول أو عمل**، واضح في التطبيق، صالح لكل زمان ومكان .

ب- **يستمد هذا المنهج مشروعيته، وكيفيته من أصول الإسلام** ، وشريعة الله تعالى بصورة منظمة تجمع تعاليم الإسلام النظرية ، وتطبيقاتها العملية بعيدا عن أي مناهج غير إسلامية ، أو أفكار وضعية

ت- **إن غاية الإنسان من إتباع المنهج الإسلامي** تحقيق المصلحة، وإرضاء الله تعالى .

ث- **أن هذه التعاليم تتصل بأعمال الإنسان** ، وأفكاره، ومقاصده، ونياته لتكون كلها في طاعة الله تعالى .

ج- **إن النظام الإسلامي يحقق مصلحة الفرد والجماعة**، ويحافظ عليها، ويدعو إلى أن يكون الفرد في خدمة الجماعة، وأن تكون الجماعة في مساعدة الفرد، وبذا يكون الجميع مسلمين قانتين على نظام الإسلام .

وقد حث الله تعالى المسلمين على إتباع نظم الدين كلها، والابتعاد عما عداها من النظم، لأن لكل نظام فلسفته وغايته، فقال تعالى: -

- ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ ﴾ (١)
- ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢)
- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ﴾ (٣) .
- ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ (٤) .
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾(٥) .
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾ (٦)

ويقول النبي ﷺ :

- **(إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي)**(٧).

---

(١) سورة الزمر الآية : ٥٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٣ .

(٣) سورة محمد الآية : ٢ .

(٤) سورة العصر كاملة .

(٥) سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٦) سورة الأنفال الآية : ٢٤ .

(٧)المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب العلم، فأما حديث عبد الله بن نمير - حديث : ٢٨٨ .

- **(أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)** (١) .
- **(على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة)** (٢) .
- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : **(بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم)**(٣)

إن تعدد النظم الإسلامية، وتنوعها تؤكد صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، ولكل إنسان مهما تنوع جنسه ، أو اختلفت مراحل عمره، أو تعددت عواطفه، وأفهامه، وأفكاره .

وقد يسر الله تعالى أحكام الإسلام للناس، ويسر اتخاذ النظم الشاملة لهم، ولكل أعمال الدنيا سواء استمرت على حالها ، أو تغيرت .

ولذلك تميزت نظم الإسلام عن النظم الأخرى بألوهية المنبع، ومشروعية الوسائل، ووضوح الغاية والمقصد .

إن أي نظام لا يؤخذ من تعاليم الإسلام التي نزل الوحي بها لا يكون إسلاميا ، والواجب أن ينسب إلى مصدره ومنبعه ، مثل النظام الشيوعي ،

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم – كتاب العلم حديث عبد الله بن مسعود – حديث : ٢٩٨ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية – حديث : ٣٥١٢ .

(٣) صحيح البخاري – كتاب الأحكام، باب : كيف يبايع الإمام الناس – حديث : ٦٧٩٤ .

أو النظام الداروينى، أو النظام الياباني ...

وأي نظام يقوم على الاستبداد والعدوان، ونشر قيم لا يقرها الإسلام لا يكون إسلاميا، وإن قال صاحبه: إنه إسلامي، لأن الإسلام يحقق العدل والإحسان، ونظمه تقوم على التعاون، والإصلاح، وصيانة العزة والكرامة للإنسان .

وأي نظام يأخذ من الإسلام ومن غيره لا يكون إسلاميا، لأن هذا يؤدي إلى تغيير في المنبع، والمنهج، والغاية .

فإن قيل : كيف يتعامل المسلمون مع مستجدات الحياة، ومستحدثات الزمن ، وفيها الجديد الذي لم يعرف من قبل ؟

أقول : إن الله العليم الحكيم الذي أنزل الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقدر منذ الأزل لكل شيء قدره أنزل تعاليم الإسلام على وجهين : –

الوجه الأول : تعاليم مفصلة محكمة وهي التعاليم الخاصة بالنظم الثابتة التي لا تتغير ، مثل نظام الإيمان، ونظام عبادة الله تعالى، والصلاة، والصوم، والحج، والزواج، ... وهكذا ... وهي نظم لا تتغير أبدا ، ولا تتأثر بتغير الزمان، أو المكان، أو الإنسان، ويقوم بها المسلم في سهولة ويسر .

وبهذا تبقى هذه الثوابت في أحكامها المشروعة، وتستمر على صورتها المنزلة، وتدوم في العقل والجوارح كما شرعها الله تعالى .

إن هذه الثوابت لا تتغير بتغير الإنسان، أو الزمان ، أو المكان، فالله واحد لا شريك له، يعبده المؤمنون وحده، ومع كل إنسان دليل وجوده، وبرهان ألوهيته وقدرته ، وأي مسلم في الأرض يطبق هذه الثوابت كما شرعت في صورة واحدة ، وهيئة واحدة .

الوجـه الثـاني: الـنظم المتغيـرة المتجـددة، مثـل نظـام الجهـاد، ونظـام الشورى، ونظام الدعوة، ونظام العمل، وهي تتغير في تطبيقاتها، وكيفيتها، ويحيل العقل ثبوت صورتها ودوامها، ولذلك وضع الله تعالى القواعد الكلية التي تحدد أصولها ، وتحافظ على هويتها وغايتها بإباحة الاجتهاد مع هذه الأصول عند التطبيق لتناسب الحدث الجديد، وتضعه في المشروعية بعد تغييره، ولذلك تختلف صور هذه المتغيرات، وتتجدد تطبيقاتها انطلاقا من الأصول والقواعد التي تحدد الحكم الشرعي الصحيح لكل أمر متغير، فمع نظام الجهاد نزل قول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (١)، فربط الإعداد بالاستطاعة الممكنة والآلات المخترعة في العصر الذي يكون فيه الجهاد .

ومـع نظـام الشـورى نـزل قولـه تعـالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢)، فـربط أمور المسلمين بالمشاورة، وترك الصورة والهيئة لاجتهاد الفقهاء والعلماء.

ومــع نظــام الــدعوة نـزل قولــه تعـالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (٣) ، حيث أمر الله تعالى أن تكون الدعوة بالحكمة، والحسن في الموعظة والجدل، وتلك كيفيات قولية وعملية عامة تضم صورا عديـدة، علـى الـدعاة أن يجتهـدوا للوصـول إليهـا ليكـون الخطـاب الـدعوي حكيما، وليصل الوعظ والحوار إلى العقول حسنا جميلا.

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٦٠ .

(٢) سورة الشورى الآية : ٣٨ .

(٣) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

ومع نظام العمل نزل قوله ﷻ:﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾(١) ، حيث كان الأمر بحسن العمل بصورة عامة ليشمل كل فن وعمل .

وبهذين الوجهين اشتملت النظم على كل أعمال الإنسان وحاجاته، وهي التي عاش المسلمون بها في عصر النبي ﷺ، وعصور السلف الصالح رضي الله عنهم.

وما من نظام يحتاجه الإنسان احتياجا ضروريا، أو حاجيا، أو تحسينيا إلا وقد أوجد الإسلام أدلة مشروعيته، وقدم فيه هديا واضحا، وتشريعا محكما، وتصورا دقيقا يتناسب مع أحوال الخلق، وإصلاح الدنيا، وتحديد المسار الشرعي الذي يوضح المنهج الإلهي المنزل للناس أجمعين .

إن النظم الإسلامية أتت من عند الله تعالى، وقد جاءت متوافقة مع طبيعة الإنسان وطاقته، فأخذته إليها في تطابق، وانسجام، يقول الله ﷻ: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ ﴾ (٢) ، ويقول ﷻ : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ ﴾(٣) .

إن المسلم يلتزم في حياته بالنظم الإسلامية، لأنها هي الإسلام في الحقيقة، وهذا لا يمنع من الاستفادة ببعض مستجدات العصر في كيفية العمل بالنظام مثل استعمال آلات رفع الصوت في الآذان، وكيفية اختيار أصحاب الشورى، وتنظيم الولايات، وتحديد المسئوليات مع الالتزام بأصول الإسلام، وتعاليمه .

لابد لأي نظام إسلامي من أن يرتكز على أصول الإيمان وأحكام الشريعة.

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة الملك الآية : ١٤.

(٣) سورة ق الآية : ١٦ .

ولابد له من مشروعية سائر جزئياته، لأن المركب من جزئيات يتصف بوصفها، ويستمد منه أحكامها .

ووصف النظم بالإسلامية يحددها بالإطار الذي خصصت له، وبالموضوع الذي صبغها بصبغته، وعلى هذا تستمد النظم الإسلامية من الإسلام ما فيه من تسليم لأمر الله تعالى ، وطاعته، والخضوع له، والانقياد لشريعته، والسلامة من كل إثم أو معصية .

وبذلك تقوم النظم الإسلامية في عالم الواقع مصاحبة للعلم الشرعي ، وملتزمه بالعمل المستقيم، ومصبوغة بصبغة الإسلام ، وأحكامه، وجامعة للعلم والعمل والنص والتطبيق .

فإذا وجدت المعرفة وحدها فهي ثقافة عقلية يعرفها المسلم وغيره ... وإذا وجد العمل والإيمان مع المعرفة فهو الدين، وهو الواجب الذي يكون به كمال الإيمان ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **(كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : ما الإيمان ؟**

قال : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث " .

قال : ما الإسلام ؟

قال : " الإسلام : أن تعبد الله ، ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان " .

قال : ما الإحسان ؟

قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

قال : متى الساعة ؟

قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها:إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان ، في خمس لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا النبي ﷺ :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤ ﴾(١)، **ثم أدبر فقال** ﷺ : " **ردوه " فلم يروا شيئا ، فقال** ﷺ: " **هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم)** (٢) فقد دلت إجابة النبي ﷺ على أن الدين هو ما جاء في الحديث كله، وأن جبريل عليه السلام جاء بأسئلته هذه عن الإسلام، والإيمان، والإحسان ليعلم الناس الدين الذي يحوي هذه الجوانب .

والإسلام هو دين الله المنزل، وهو الحق الذي لا مرية فيه، من تمسك به نجا، ومن التزم شريعته هدي إلى صراط مستقيم .

إن التزام المسلم بالنظم الإسلامية ينسق الحياة، ويقوي الفطرة، ويؤدي إلى التكامل مع سائر المخلوقات التي خلقها الله وفق النظام الذي أراده لها، فقد خلق الله تعالى الكون منظما جميلا، وخلق الإنسان في الكون ليستعمره، ويعيش فيه، وسير سائر مكونات الدنيا نحو غايات واحدة لخدمة الإنسان في تناسق وتناغم، وانتظام، فالماء للري، والهواء للاستنشاق، والأرض للزراعة، والصحراء للمعادن ، ومع الشمس يكون الضوء، ومع القمر يكون النور ، وكل هذه المخلوقات وغيرها تدعو الإنسان إلى ضرورة الاستفادة بها ، والإيمان بالله ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان .

(٣) سورة الأعلى الآيتان : ٢ ، ٣ .

إن الإنسان ينعم بهذا التناسق الكوني، ويحيا به راضيا، ولو تصورنا انقلاب النظام الكوني، كأن ينعدم الماء، أو يقف الهواء، أو تغيب الشمس، أو القمر، .... أو غير ذلك فإن الإنسان لا يعيش، ويموت مع الانقلاب لو كان، .... إلا أن رحمة الله بالغة، وعنايته بالإنسان مستمرة، .... وعلى الإنسان أن يذكر ذلك، ويتذكره .

إن الإنسان مكلف بتنظيم حياته بشرع الله تعالى شكرا لله ﷻ ، وتوافقا مع حركة الوجود، وحتى لا يعجز ويفشل إذا عام في النهر عكس التيار .

ليكن الإنسان العاقل جزءا من هذا الوجود الكبير، وليعبد الله حق العبادة، ليتلاءم مع الوجود، وينعم بخلق الله العظيم، يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ (١) ، ويقول ﷻ : ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٢) .

لقد عاش المسلمون بالإسلام في العصور الأولى، فنشروا العدل، وسادوا العالم، وصاروا الأمل للناس وأصبحوا الأسوة الحسنة لكل المخلصين .

---

(١) سورة الحج الآية : ١٨ .

(٢) سورة الحج الآية : ٧٨

المبحث الثاني
أهمية النظم الإسلامية

بدأ المسلمون مع رسول الله ﷺ في كتابة القرآن الكريم وحده، ولم يكن ضروريا أن تدون النظم في سفر واحد في أول الإسلام، لأن اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم، والسنة النبوية يعد اهتماما بالإسلام كله بما فيه من نظم تشمل العقيدة ، والشريعة، والأخلاق ، كما تشمل سائر النواحي التي يحتاجها الإنسان .

لقد اهتم المسلمون في عصر رسول الله ﷺ وفي عصور السلف بكافة النظم، من خلال اهتمامهم بالإسلام علما وعملا .

وقد بدأ تدوين العلوم بصورة مجملة في عصر رابع الخلفاء الراشدين، واتسع التدوين والتأليف، فظهرت علوم التفسير، وكتب الحديث، وكان تدوين التفسير يتضمن تدوين الحديث، وبراهين التوحيد، وتفصيلات التطبيق النظري للنظم، مثل نظام الصلاة ، والزكاة، والجهاد .

ثم لما تميزت العلوم، واستقل كل علم بموضوعه ظهرت النظم الإسلامية منسقة مرتبة باسم خاص بها، ولذلك تأخر تدوين النظم كسائر العلوم الإسلامية التي ألفها العلماء لبيان المفاهيم المستفادة من القرآن والسنة التي تساعد على استنباط الأحكام الشرعية، وأصول الإسلام كله، مثل أصول الفقه، والقواعد الفقهية، ومدارس الحديث في العواصم الإسلامية مثل مكة والمدينة، والكوفة، ودمشق، ومصر، والبصرة .

ولما قوي الإسلام ، وانتشر في العالم، أخذ أعداؤه في النيل منه، والتصدي له بطرق عدة، وكانت المواجهات بين المسلمين، وأعداء الإسلام

عملية وقولية، وأثبت الإسلام صموده أمام الزيف والعدوان، كما أثبت أصالته في الانتشار والذيوع .

ولم تبق النظم الإسلامية بعيدة عن خصوم الإسلام ، فأخذوا يعملون على تفريغ الإسلام منها في محاولة منهم لجعل الإسلام كالأديان الأخرى التي لا شأن لها بأمور الدنيا .

زعموا – أولاً – أن الإسلام خال من نظم للدنيا، وكل ما فيه بعض القيم الخلقية ، وصور من الرهبانية التي يعيشها المسلمون خلال دقائق قليلة كل يوم، وكل أسبوع .

وأخذ خصوم الإسلام – ثانياً – يبعدون المسلمين عن الإسلام شيئا فشيئا بمزاعم عدة، وشبه واهية، حتى تمكنوا من صرف المسلمين عن نظمهم، واستبدال ما عندهم بها، حتى صار المسلمون تبعا لهم في أغلب صور حياتهم، وتحولت العقيدة إلى طقوس شكلية لا تأثير لها في العمل والسلوك ، وانتشر التعامل بالربا ، وذاع السفور بين الناس، وصار علم جمهور المسلمين بتوافه أمور الحياة أكثر اتساعا من العلم بأركان الإسلام ، وحقائق الدين، وكثرت دور اللهو والهوى، وقصدها جمهور المسلمين أكثر من تعميرهم مساجد الله تعالى .

يقول الأستاذ / أبو الحسن الندوي : من الغريب أن المسلمين في الزمن الأخير صاروا تبعا للأوربيين ، يقلدونهم، ويتخلقون بأخلاقهم، حتى أخذت فلسفة الحياة الأوربية تسري في عروقهم كما تسري الكهرباء في الأسلاك ، تراهم يتهافتون على الشهوات ، ويتنافسون على الجاه والسلطان، ويؤثرون المصلحة الشخصية على الأخلاق والمبادئ، وصارت حياتهم في

أغلبها كأنها حياة من لايؤمن بكتاب، ولا يصدق بشيء، ولا يرجوا معادا، ولا يخشى حسابا (١) .

ومن المحزن انتشار الظلم، والقتل، وضياع الحقوق بين المسلمين ، وتحول العالم الإسلامي إلى أوطان مفككة تخضع لغيرها ، وتحتاج إليهم في طعامها، ودوائها، وملبسها، وكافة المنتجات التي يعيشون بها، ومن العار لكل مسلم أن يعيش بشخصية انفصمت عقيدته عن أعماله وخلقه، فيكثر من الكلام الجميل الذي لا وجود له في السلوك والعمل .

إني أقدم دراسة النظم الإسلامية في إطار الدعوة إلى الله تعالى، لأنها تشمل حاجات الإنسان، وكل نشاطه، وجميع حالاته، فتنظم له الطريقة المثلى لتربيته، وحضانته، وتعليمه، وزواجه إلى أن يلقى ربه، وتنظم الجماعة بنائيا، واقتصاديا، وعلميا، وسياسيا، وتنظم العلاقات العامة والدولية، وهي في الجملة الإسلام كله، وسوف أعرف بها، وأبين فضلها ومزاياها، وأقربها للناس بلغة العصر مناديا بالالتزام بها، والعودة إلى الله ﷻ في هذه الموسوعة التي بدأت فيها – بفضل الله تعالى .

إن دراسة النظم الإسلامية، وربطها بالأصول والتعاليم الإسلامية اليوم من أساسيات الدعوة إلى الله تعالى ، لأنها تحقق ما يلي : –

أولاً : تظهر الإسلام كله، وتقدمه للناس في قوالب فقهية عملية، مصحوبة بأدلتها من الأصول الإسلامية المستمدة من تعاليم الله ﷻ ﴿ لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (٢) .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٧٣ بتصرف ، طبع الاتحاد الإسلامي .

(٢) سورة الفرقان الآية : ٦٢ .

ثانياً : تبين كمال الإسلام ، وتمامه بإظهار ما فيه من كنوز تربوية في سائر جوانب الحياة بعدما تركها المسلمون ، وعزلوها عن حياتهم، الأمر الذي أدى إلى انحطاطهم، وهوانهم.

ثالثاً: نرد على العلمانيين، وخصوم الإسلام الذين يعيثون في ساحة خالية لهم بسبب جهل أبناء الإسلام ، وضعف علمائه، ودخول العامة مهاوى الردي، وغرور الخاصة بما أوتوا من مال وسلطان مع جهل بالقيم والإسلام

رابعاً : نشخص الدواء الناجع للمرض المستشري في الحياة الإسلامية بصورة عامة ، وتذكير المسلمين بمجدهم الذي فرطوا فيه ، لأنهم لما كانوا مسلمين بحق ارتقوا إلى أوج باسق، ودانت لهم الدنيا ، ونشروا دين الله تعالى في العالمين، ... ولما أهملوا إسلامهم ، وأخذوا نظمهم من عقول البشر من الشرق أو من الغرب أصابهم الوهن، والفقر، وصاروا عالة على غيرهم .

إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، ونظمه تلائم الإنسان في كل عصر ومصر، وهي بحيويتها مدونة في مؤلفات العلماء ومن السهل الوصول إليها، وتطبيقها إذا صدقت النوايا، وعاد المسلمون إلى ربهم صادقين .

ومن اليسير تقديم النظم الإسلامية بلغة العصر للناس من زوايا متعددة

يمكن تقديم الإسلام نفسه في هيئة نظم إسلامية، بحيث يتناول كل نظام جزءا من الإسلام مثل نظام العقيدة، ونظام الشريعة، ونظام الأخلاق، وبذلك يقدم الإسلام للناس بصورة منهجية منظمة شاملة .

ويمكن تقديم النظم من زاوية ارتباطها بالإنسان نفسه، مثل نظام صناعة الإنسان، ونظام تكوين الأسرة ، ونظام العلاقات العامة بين الأهل والأقارب، وغيرهم من الناس .

ويمكن تقديم النظم الإسلامية في صور فرعية من خلال أعمال الإنسان ونشاطه، مثل نظام الأكل، ونظام السير، ونظام الوضوء، ونظام تكفين الميت ودفنه، ولا مانع من جمع هذه الأنظمة الفرعية في نظام كلي للإنسان.

ويمكن دراسة النظم الحديثة التي اهتم بها غير المسلمون ، وإدراجها في منظومة الأحكام الفقهية، والشواهد الدينية حتى تكون إسلامية خالصة ، مثل النظام التربوي والاجتماعي، والإداري .

إن أي نظام يفيد الإنسان له في الإسلام فقه وتوجيه ، وتقديمه مفصلا سهل يسير ، والعلماء المخلصون يبينون ذلك ، والله معهم ناصر ومعين .

إن الإسلام نزل من عند الله تعالى تاما كاملا ، وتمكن بنظمه وتعاليمه من إيجاد الفرد الصالح، والجماعة المؤمنة، والأمة المستقيمة، وحدد منهجا للإصلاح الذي لابد منه لأي تقدم منشود .

إن الإيمان لابد أن يتجسد في المؤمنين، والحياة الإيمانية تظهر حين يلتزم المسلمون بالإسلام، ويطبقون نظمه وتعاليمه، ولن تستقيم أمور المعاش إلا بالمنهج الإلهي الذي أصلح الأمة في عصرها الأول.

ومن المعلوم أن نجاح تجربة عملية مرة يؤكد نجاحها بعد ذلك ، ولن يصلح شأن أمة الإسلام إلا بما صلح به أولها .

والمأمول أن يترك المسلمون اللهو، والهوى، والضعف والتبعية، ويعودوا إلى الله تعالى بكل الصدق والإخلاص والطاعة .

وأذكر هنا بأن التطبيق يقوي المعرفة، وكلما كثرت الطاعة علا الإسلام، وعندما يجتمع المسلمون على أمر يقل من شذ عنهم وتسهل الطاعة والعبادة

إن تفرق المسلمين يؤدي إلى الضعف والهوان، وتعدد منابع التوجيه، وتضارب الثقافات في المجتمع الواحد يؤدي إلى صعوبة الطاعة، فالهدم

يزيل البناء ، والإفساد يضر الإصلاح ، والاعوجاج يؤدي إلى السقوط والضياع، ولذلك حسن في مجتمع المؤمنين أن يتحدوا في الطاعة، والمنهج، والغاية والتوجه ليعلو البناء، وينهض المجتمع، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (١) .

لن يكون المسلم مسلما كاملا إلا بالالتزام بكل ما جاء الشرع به، ولا يستوي العمل إلا بالعلم به، وتطبيقه كما جاء به رسول الله ﷺ .

ومن المعلوم أن الإسلام انتشر في أصحاب النبي ﷺ بالتلقين النظري، والتطبيق العملي من خلال نظم الإسلام في كل صغيرة وكبيرة.

ولو استقام المسلمون على منهج الله تعالى لانتشر الإسلام بينهم، وسهل العمل به، وحرص المسلمون على تطبيق شريعته في إخلاص وحماس، وهذا يوضح أهمية العلم بالنظم والعمل بها .

---

(١) سورة النحل الآية : ٩٢ .

الفصل الثاني

تنوع النظم الإسلامية

تنوع النظم الإسلامية

النظم الإسلامية هي الإسلام كله، ظهرت مع المسلمين سلوكا عمليا نابعا من دينهم، وقد بدأ الإسلام بنشر نظام الاعتقاد وفق دعائمه، فدعا إلى النظر والتأمل في الآيات المبثوثة في الكون والحياة، لمعرفة الله ﷻ والإيمان به، وبعد الاعتقاد أتت نظم العبادة حيث الوضوء و الصلاة ... واستمر الأمر هكذا في سائر الأحكام الشرعية، كلما نزل حكم تحول إلى نظام يسلكه المسلم ، ويُسيَّر حياته به .

واستمرت آيات الفترة المكية في تنظيم العقيدة، وتثبيت الإيمان، والدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وتزكية النفس، وزرع القيم في النفوس.

فلما تمت الهجرة، وتكونت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة أخذ الوحي ينزل بالتشريعات المنظمة لحياة الأفراد والجماعات في معيشتهم الخاصة والعامة، وتعليمهم كيفية التعامل مع غير المسلمين، وشرع الجهاد لحماية الدعوة ، .... ووجد المسلمون أنفسهم أمام نظم عديدة تتضمن أحكام الإسلام في سائر الأعمال والقضايا التي تحدث بين المسلمين، وبينهم وبين غيرهم من الأمم الأخرى .

ووجد المسلم نفسه أمام منهج كامل يضم نظما عدة تشمل حالات الفرد والجماعة، والأمة كلها، ووجدت أحكام شرعية عديدة تشمل الحياة والأحياء جميعا، وتحافظ على الضرورات الواجبة للناس .

وكان المسلمون يأخذون إسلامهم من القرآن والسنة بطريقة عملية بلا تخصيصه باسم " النظم" ، ويكفيهم أنه وحي الله، وعليهم الطاعة والاتباع لمنهج الله تعالى .

وعاش المفسرون والعلماء ، والمحدثون ، والفقهاء مع الوحي المنزل، وقدموه مشروحا مفصلا للناس.

وبعد عصور الظلام، وظهور العلم والعلماء في أوربا بدأ صراع بين العالم الإسلامي وغيره، وبدأ الحديث عن النظم، وأدعى خصوم الإسلام خلو الإسلام من النظم، وعندئذ رجع العلماء إلى الدراسات الإسلامية مع المصادر الإسلامية، واستخرجوا منها ما يثبت أن النظم كلها تشريع إسلامي ثابت في المصادر الإسلامية، وفي الأحكام المستفادة منها، ...

ومثال ذلك أن الشريعة الإسلامية أمرت بالنكاح، وحثت على التخير عند الزواج، وربطت النكاح بالمهر، والخطبة ، والولي، والشهود، والإشهاد، وأخذت هذه الأحكام من أدلتها الثابتة ، وجعلت لها أحكاما تفصيلية مدونة في مؤلفات الفقهاء ، ... ولم يخصوها بمسمى " نظام الأسرة "، فلما تكاثر المبطلون، وزعموا خلو الإسلام من النظم اضطر العلماء المسلمون إلى بيان نظم الأسرة في الإسلام كما هو مأخوذ من نصوص الشريعة ، ومن فقه الفقهاء .

ومثال آخر فيما زعمه الخصوم من خلو الإسلام من نظام الاقتصاد، لعدم وجود حديث عن البنوك، والوارد، والصادر، ومثلها المسميات الحديثة في سائر الأنظمة مما جعل العلماء المسلمين يثبتون أن النظام الاقتصادي ثابت في الإسلام، حيث ينظم الإيرادات، والمصارف، وحركة المال بين الناس في الأعمال الإنتاجية، وبيت مال المسلمين .

وظل مسار العلماء هكذا حتى أثبتوا سبق الإسلام بنظمه جميعا منذ نزوله من عند الله تعالى، وصاغوا سائر النظم في قوالب فنية عديدة ليواجهوا خصوم الإسلام الذين زعموا أن الإسلام خال من النظم .

وأنصب اهتمام العلماء على إثبات النظم الإسلامية المقابلة للنظم التي ينادي بها المنافقون والمستغربون، **وفصلوا فقهها وأحكامها، ... ومنها : -**

١-**نظام الحكم والإدارة**، وكيفية تولية الخلفاء ، والوزراء، وموقف العامة والخاصة في اختيار من يلي أمرهم، **وهو ما يعرف بالنظام السياسي**

٢-**نظام إدارة شئون الناس**، ودعوتهم إلى الحق، وتذكيرهم بما يجب عليهم في كل شأن وحال، وتوجيههم إلى التمسك بهويتهم الدينية، ليكونوا مسلمين قانتين، **وهو ما يعرف بنظام الإعلام والدعوة إلى الله تعالى .**

٣-**نظام التربية الفردية**، وفيه تفصيل العناية بالمولود، وبيان كيفية إرضاعه، وحضانته، وتعليمه بما يناسب عمره ونوعه، **وهو ما يعرف بنظام التنشئة والتكوين البشري .**

٤-**نظام تكوين الجماعة الأولى** مرورا بكافة المراحل التي تمر بها، بدءا من مرحلة الاختيار والخطبة ، وانتهاء بمرحلة الفراق أو الموت ، **وهو ما يعرف بنظام الأسرة .**

وهكذا في سائر النظم التي تقوم بتنظيم حياة الفرد والجماعة، والأمة كلها ، وتبين كيفية المعاملات بين المسلمين ، ومع غيرهم .

يحدد الدكتور يسري هاني النظم الإسلامية الرئيسية في الإسلام، ويقسمها إلى نظم تتعلق بالفرد، ونظم تتعلق بالدولة، والأمة .

فمع الفرد نجد عناية النظم به قبل مولده، وبعد مولده، وبعد موته، وكيف أنها تهيئ له التربية الحسنة، والبيئة الصالحة، وتحسن اختيار الزوج والزوجة، وتكوين الأسر ، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ

عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾(١) ، ويقول النبي ﷺ : **(تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك)** (٢) ، فإذا جاء المولود استقبلته الشريعة بأحكامها من حيث الآذان والإقامة في أذنه، واختيار اسمه، وإقامة العقيقة له وتعيش الأحكام الشرعية معه إلى ما بعد الموت .

ومن حيث الأمة تجد النظم الآتية : -

١- **النظام الإيماني** : وفيه تتضح براهين الإيمان بالله تعالى، وأركان الإسلام، وطاعة الرسول ﷺ فيما جاء به حتى لا تعيش الأمة في فراغ روحي، وخواء فكري .

٢- **النظام المنسكي** : حيث تعرف الأفراد ، والجماعات بالعبادات المشروعة والمحددة ، وبكل عمل ، لأن العبادة تشمل كل عمل .

٣- **النظام السياسي** : حيث تشريع الشورى، وصيانة الحرية ، وتحقيق العدل بين الناس .

٤- **النظام الاقتصادي** : حيث تنظم الشريعة حركة المال، وتبين الحلال والحرام، وتحرم الربا، والتطفيف، وأكل مال الناس بالباطل.

٥- **النظام القضائي**: حيث أقرت الشريعة بضرورة العدل بين المتخاصمين، وضمان الحقوق وفق منظومة كبيرة تقوم بهذا الأمر .

٦- **النظام الإداري**: وذلك يكون بإدارة شئون الدولة ، ومؤسساتها، لتحقيق مصالح البلاد والعباد .

---

(١) سورة النور الآية : ٣٢ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين - حديث : ٤٨٠٢ .

٧- **النظام الجهادي:** حيث أمرت بإعداد العدة لمنع العدوان ، وتحقيق الأمن والاستقرار في الأمة .

ويسمي الدكتور / يسري هاني النظم الإسلامية ، ويبين ما يقابلها في النظم الأخرى .... وهي : -

١) النظام السياسي ، وهو " نظام الحكم " .
٢) النظام الاقتصادي ، وهو " نظام المال" .
٣) النظام الاجتماعي ، وهو " نظام الأسرة " .
٤) نظام التعليم ، وهو " نظام العلم " .
٥) النظام الإعلامي ، وهو " نظام الدعوة والتوجيه" .
٦) النظام القضائي ، وهو نظام " العدل " .
٧) النظام الحربي ، وهو " نظام الجهاد " .
٨) النظام الإداري ، وهو نظام العمل " .
٩) نظام الحسبة ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عم المنكر (١) .

إن أخذ هذه النظم من الإسلام ضرورة فقد جاء الوحي المعصوم بها متميزة بالمساواة العادلة، والقيم النبيلة، والمحافظة على الضرورات التي لابد منها للناس في إطار المنهج الخالي من العصبية المقيتة، والثقافات المنحرفة، والتحيز اللامعقول .

إن النظم الإسلامية أنظمة كلية يحتوي كل منها على نظم فرعية عديدة، لأن كل جزء في أي نظام يعد نظاما في حد ذاته ، ولذلك ظهرت مؤلفات عدة في النظم ، مثل ، نظام اختيار الولاة ، ونظام الاقناع العقدي ، ونظام

---

(١) النظام لاجتماعي في الإسلام ص ٢٥ ، وص٤٠ ، ٤١ بتصرف .

اختيار القضاة، ونظام إعداد الدعاة ، ....

كما تناول الفقهاء كافة الأنظمة الفرعية في مؤلفاتهم، وعلى رأس الفقهاء الأئمة الأربعة الذين حددوا أصول مذاهبهم، وربطوا أحكامهم بالمصادر الإسلامية الثابتة، وقسموا مؤلفاتهم إلى كتب ، وأبواب تتناول كافة الأحكام الشرعية لأعمال المكلفين كما جاءت بها المصادر الشرعية، فظهرت نظم في كل باب مثل ما جاء في كتاب الطهارة ، فقد ظهرت نظم التطهر بالوضوء، وبالتيمم، وبالمسح على الخفين، وبالمسح على الجبيرة، والاغتسال، وحاجة المصلي إلى كل هذه النظم الفرعية ، وبهذا نجد أبواب الفقه كلها نظما فرعية للأنظمة الكلية .

وقد حتم التقدم العلمي في العصر الحديث تمايز العلوم، وحاجتها إلى التخصص المنهجي ليتمكن طلاب العلم من الإحاطة بها ، ويتمكن العلماء من إجادتها ، وتقديمها لطلاب العلم ، ويتمكن أولو الأمر من رعاية كل أمر على وجهه الصحيح .

ومن هنا

صار واجبا على العلماء بيان النظم في مؤلفات خاصة، وربطها بمصادرها الإسلامية ، وإظهار الجانب العملي للنظم كما جاء الإسلام به، ولا مانع حينئذ من تفصيل بعض النظم الكلية أو الفرعية أو بعض الجزئيات المتصلة بها ، مثل تربية الولد، وتكريم المرأة ، ووحدة المسلمين ، وتحفيظ القرآن الكريم، وزرع العقيدة، وتكوين القيم عند الفتى والفتاة، ... وهكذا ، ...

وقد دفعني هذا التصور إلى الكتابة في النظم الإسلامية في شكل موسوعي لأتناول الكثير من النظم الإسلامية التي كتب عنها، والتي لم يكتب عنها، على نحو ما ييسر الله ﷻ لي .

وقد رأيت أن أكتب عن صناعة الفرد أولاً في طفولته، ويفاعته، وشبابه، وشيخوخته، ذكرا كان أو أنثى، في حياته وبعد مماته، وسبب ذلك أن الفرد أساس لغيره من الجماعات والتجمعات، وبإحسان تربيته وتكوينه تصلح الأسر، والجماعات، والأمة كلها، وتحدث العلاقات مع الغرباء، ومختلف الناس، ....

وآمل في " **نظام صناعة الإنسان** " أن أعيش معه من نقطة البدء عند زواج أبويه، ولحظة تكونه الأولى، وأسير معه في حمله، وإرضاعه، وتنشئته، وأستمر في المسير حتى يكون إنسانا مؤمنا يعمل لله، ولن اتركه بعد موته لأعرف أثره فيمن بعده .

وبعد هذا يكون " **نظام صناعة الجماعة الأولى**"، وهي الأسرة، وذلك ببيان طرق تكوينها، وحقوق كل فرد فيها، وحكم ما يقع لأفرادها من تقلبات ، وأحداث، وتفصيل الأحكام الشرعية التي يقوم عليها النظام الإسلامي.

وبعد هذا يكون " **نظام تكوين الجماعة المؤمنة** " بدءا من التآخي والحب الذي وجد بعد الهجرة ، وما كان بين المسلمين من تعاون على البر والتقوى، وطاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ، والتزام بالدين الذي آمنوا به ، وحسن التعامل مع غيرهم ، والاستجابة لرسول الله ﷺ إذا دعاهم للنفرة والجهاد .

وبعد هذا تكون دراسة النظم في شكلها الاجتماعي، مثل النظام الإداري، والنظام الاقتصادي، والنظام التعليمي، والسياسي، والقضائي، والجهادي .... وهكذا على نحو ما سبق ذكره .

والشرط الجامع لكل ما سأكتبه عن النظم – بإذن الله تعالى – هو الارتباط بتعاليم الله ﷻ ، فقد جاء بها الوحي المنزل، وبينها رسول الله ﷺ

في سنته الشريفة، وأثبتت نجاعتها في تحقيق الخير، وإصلاح كافة الجوانب، وشهد لها الكثيرون من غير المسلمين .

يقول برنارد شو: إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة، وأرى واجبا أن أؤكد أن محمدا ﷺ هو منقذ الإنسانية، وان رجلا كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته ريثما يتناول الإنسان فنجالا من القهوة (١) .

ويقول جوزيه جارودي : لقد وجدت في الإسلام نظاما اجتماعيا ، واقتصاديا ، وأخلاقيا يصلح لإخراج البشرية من ورطتها الحاضرة (٢) .

إن النظم الإسلامية في العصر الحاضر ضرورة إيمانية، وضرورة حياتية.

أما إنها ضرورة إيمانية فلأنها التطبيق العملي للإسلام، ولا يكمل إيمان المسلم إلا بالاستقامة على ما جاء به الإسلام ، وأي مخالفة لنظم الإسلام مخالفة للدين ، ولذلك كان من الإيمان الالتزام بنظم الإسلام ، والعمل بها، وتقديمها على غيرها من النظم ...

وليس من الإسلام نقضها ، وتقديم غيرها عليها .

وليس من الإسلام الرضى بنظم معارضة لنظم الإسلام ...

ويكفر من ينكر وجود النظم الإسلامية ، ويقدم غيرها عليها، أو يرى أنها غير صالحة في العصر الحديث .

وأما أنها ضرورة حياتية فإنها من عند الله تعالى صانع الحياة ، ومن المعلوم أن الصانع هو الأعلم بصنعته، ولذلك تميزت النظم الإسلامية

---

(١) نقلا عن تربية الأولاد في الإسلام ج١ ص ٧ .

(٢) نقلا من النظام الاجتماعي في الأسرة ص٢٨ .

بتحقيق مصالح الإنسان، والمحافظة على الضرورات اللازمة له، وإرضاء ظاهره وباطنه، فأحلت له كل طيب، وحرمت عليه كل خبيث، وربطت حركة الإنسان بأمر الخالق ، وخاطبت العقل والروح، وشرعت العبادات والذكر والدعاء ليعيش المؤمن مطمئنا في الدنيا ، سعيدا في الآخرة .

ووجود هذه الضرورة مع النظم في الجانب العملي التطبيقي يؤكد ضرورة العلم بها ، ومعرفتها في الجانب النظري، فواجب العلماء والخاصة إبرازها في صورة متخصصة تتناول سائر الجزئيات ، وجميع الأقضية التي تناولها العلماء المعاصرون مع النظم، والتدليل عليها بالأدلة الشرعية الثابتة، واستخراج هذه الأدلة من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية ، ومن تطبيقات السلف الصالح، وأقوال الأئمة والعلماء...

وواجب الجمهور والعامة أن يتعلموا ويعلموا حكم الله تعالى في أي عمل أو نظام يحتاجون إليه، ويقومون به كعلمهم بأحكام الطهارة ، والصلاة، والصوم، .... وغيرها من العبادات المحددة .

وواجب صاحب كل مهنة أو حرفة أن يعرف حكم الله تعالى في عمله ليؤديه على وجهه الشرعي المنشود.

وفي الإسلام أحكام للزراعة، والتجارة، والبيع، والشراء، والرهن، والصناعة، والولاية، والجهاد، .... وهكذا، لأن حكم الإسلام يقوم على المعرفة، والمسلم يحتاج إلى شريعة الله ﷻ، وسبيله إليها هو العلم والمعرفة، وبخاصة في المجال الذي يعمل فيه .

وأعرف ابتداء صعوبة هذه الضرورة عمليا وعلميا اليوم، لأن أغلب المسلمين بعدوا عنها، وأهملوها، ورأى الكثيرون منهم أن التمسك بالنظم الإسلامية تخلف فكري، ورجوع إلى العصور المظلمة .

وأما القليل الذي يتمسك بها من المسلمين فإنه يفتقد روحها، ولا يرى تفاعلها مع باطنه وأعماله كلها ...

كما أن العلماء يشعرون أنهم يحرثون في الماء ، وأنهم ينادون قوما لا يسمعون وتواجههم آراء باطلة، ونظم فاسدة، وولاة يبتعدون عن النظم الإسلامية، ويشجعون غيرها، ويدفعون العلماء إلى الصمت والقصور .

إن وجوب الدعوة إلى الإسلام يهون هذه الصعوبة أمام العلماء الذين يقومون بها، ويتحملون في سبيلها المشاق التي تلحق بهم من أعداء الله الذين استبدوا بالأمر ، وسيطروا على البلاد والعباد ، وبعدوا عن شريعة الله تعالى ، وأهملوا نظم الإسلام .

إن رسالة الدعاة تحتاج إلى فهم الواقع، ومعرفة أمراضه وعلله، ووصف الدواء الصالح لإزالة الداء، والمجتمع الإسلامي اليوم عليل مريض، فقد بعد عن الإسلام، وبدا يأخذ نظم حياته ومعاشه من غير المسلمين ، ويربي صغاره تربية بعيدة عن الإسلام، وشريعته، وأدخل الربا المحرم في معاملاته المالية، وتحولت الأسرة إلى تجمع للصراع والنشوز، وغلبت الأنانية على جميع الناس.

إن الدعوة – اليوم– تحتاج إلى رجال يعلمون الإسلام، ويخلصون في إيصاله للناس على وجهه السليم، ويردون عنه الزيف، والبهتان، ويهتمون بتربية الإنسان ليكون عبدا صالحا لله .

إن الدعوة إلى الله تعالى اليوم أمانة في عنق كل مسلم، ومن الضروري القيام بها على الوجه الصحيح، ويتم ذلك بتربية الدعاة علميا، وعمليا، لأن الدعاة يعلمون الناس الإسلام، ويستشهدون للمدعوين بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، ويستعرضون آراء العلماء في العقيدة، والأحكام، والأخلاق للوصول

إلى الرأي الصحيح في كل هذه المجالات، وهذا الحال يحتاج إلى مستوى عال من العلماء والدعاة، وبخاصة أن جمهور الدعاة خليط من التخصصات العلمية والمثقفين، ورجال الإعلام، وقد يكون فيهم أصحاب عقول وقراءات، وإذا لم يكن الداعية عالما بما يقول فإنه يضر ولا يفيد .

أقول ذلك بعدما كثر الضعف في الدعاة، وظهر منهم الخطأ في جوانب عدة .

وليعلم الدعاة أن أي قضية في الوجود تحتاج إلى من يعلمها، ويحملها، ويتحمس لها، ويعرف الناس بها، ومداومة التذكير بها، لأن الإنسان كثير النسيان، وحاجته لمن يذكره ثابتة مشروعة، ومن المعلوم أن السكوت مع القضايا الهامة يؤدي إلى نسيانها، وعدم العمل بها، فتسقط من حياة الناس، وينساها الجمهور .

والإسلام اعدل قضايا هذا الوجود، وحاجته إلى العلم شديدة، وإلى الرجال أشد، إلا أن الحال لا يبشر بخير، فقد قل العلم، وصار كثير من العلماء والدعاة لا علم لهم، ولا صدق في عملهم بعدما صاروا تجارا بالقيم وأبواقا للجهل والفساد .

وعلى الأزهر ورجاله تقع مسئولية حماية الدين، والتعريف به، ودعوة الناس إليه، ورد الهجمة الشرسة الموجهة إلى الإسلام والمسلمين، وتلك هي مسئولية الأزهر، وواجب على رجاله القيام بها .

إن الإسلام أمانة في أعناق المسلمين، وقد تحملوها أمام الله تعالى، وعليهم أن لا يفرطوا فيها .

الفصل الثالث

الدعائم الأساسية
للنظم الإسلامية

دعائم النظم الإسلامية

دعائم أي أمر هي أسسه التي يقوم عليها، وبدون هذه الأسس لا يتحقق هذا الأمر ، ولا يظهر في عالم الواقع .

وإذا وجدت الدعائم وجد ما يترتب عليها من نظم عملية، وتحسينات جمالية، فالبيت له دعائمه التي يقوم عليها، وكلما قويت الدعائم قوي البناء، وسهل تنظيمه، وتحسينه، وعظمت الاستفادة منه .

ودعائم النظم الإسلامية ثابتة، فقد أراد الله تعالى وجود الخلق، وأراد لهم الحياة على نحو قدره لهم، وخضعت الموجودات لقضاء الله ، وكان فيها ما أراده الله ﷻ على نحو مقصوده، وغاية معلومة، ... وبهذا تلاقى القدر مع الخلق في خطة عملية، وظهرت دعائم النظم في تشريع الله تعالى للإنسان بمنهج مقصود.

والدعائم غير الخصائص، لأن الدعامة هي الأساس الأول لإيجاد كل موجود، والخصائص هي الصفات الملازمة لهذا الموجود بعد إيجاده .

ومثال ذلك الكون كله ، فقد أوجده الله تعالى بعلمه وإرادته، ودعمه بقدرته، واستخلف الإنسان ليقيم شرع الله تعالى فيه، وحدد نظمه وميزها بخصائص عديدة لضبطها، والالتزام بها، وبذلك وجدت دعائم الوجود ، وخصائص النشاط فيه .

والدعائم والخصائص وإن اتحدا في المصدر فبينهما اختلاف في تعلقهما بالموجود .

والدعائم الأساسية للنظم الإسلامية هي وجود الله الواحد الأحد، ووجود الإنسان المؤمن القانت، ووجود منهج للعمل والطاعة... وسأذكرها – بإذن الله تعالى في المباحث التالية : –

المبحث الأول
الدعامة الأولى للنظم الإسلامية
عقيدة التوحيد

أساس كل موجود في هذا الوجود هو الله ﷻ ، فقد كان ولا شيء معه، فـ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) ، وقدر الله تعالى للكون كله أن يوجد على نحو أراده هو ﷻ ، فخلق الأرض في يومين ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢ ﴾ (٢) .

وقضى ﷻ بتعمير الأرض بالمخلوقات العديدة، واستخلف البشر فيها ، فقال للملائكة : ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ ﴾ (٣) ، وحدثت قصة آدم عليه السلام ، فدخل الجنة، وأخرجه الله تعالى منها بعد أن أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها، واستغفر آدم عليه السلام ربه فتاب عليه، وهداه ليعيش في الأرض بمنهج الله تعالى، وامتلأت الأرض ببني آدم، وتوزعوا إلى شعوب وقبائل، وجاءهم رسل من الله تعالى .

لقد خلق الله تعالى هذا الإنسان وكرمه، ويسر له السبيل، ووضع الآدميين

---

(١) سورة الحديد الآية : ٣ .

(٢) سورة فصلت الآيات من ١٠ : ١٢ .

(٣) سورة الحجر الآيتين : ٢٨ ، ٢٩ .

في حال يحتاجون لمنهج وضعه لهم، وفيه تحديد المسئوليات، وقيام كل مخلوق بما خلق له ليتم التكامل والتناسق، وإشباع سائر الحاجات، وأوجب الله تعالى على الآدميين ابتداء أن يعرفوا الله تعالى على حقيقته فله القدرة المعجزة المتصفة بكمال الله وعظمته، ويلتزموا بمنهجه الذي كلفهم به، ويلتزموا بنظمه التي شرعها لهم في حياتهم الخاصة، وحركتهم مع الناس، وعمارتهم للأرض، وفي مختلف أنشطتهم، لأن عقيدة التوحيد تعني العبودية الصادقة، والطاعة المطلقة مع الحب والرجاء ... ودائما يتحدث القرآن الكريم عن الله تعالى مبرزا خلقه لآيات الكون الموجود، ليعرف الإنسان من خلال الخلق إلهه الخالق المدبر، فيستقيم على منهجه، ويعيش بنظمه في كونه المخلوق، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (١) .

ويقول ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ

---

(١) سورة البقرة الآيات من ١٦٣ : ١٦٥ .

خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١) .

وحين نتأمل هذه الآيات نلمح أنها تقرر وحدانية الله تعالى، وتتبع ذلك بعرض المشاهد الكونية الدالة على قدرة الله تعالى، وخضوع الكون له بتسبيح من في السموات ومن في الأرض ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾.

إن الإقرار الصادق التام بهذه الوحدانية إقرار بأن الله هو الإله الواحد ، الخالق لكل موجود، وهو القادر وحده على تصريف كافة جوانب الكون والوجود، فلا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله ، ولا معبود إلا الله ، ولا حاكم إلا الله ، ولا مشرع إلا الله ، ولا منظم لكافة جوانب الحياة والأحياء إلا الله .

وهكذا يؤدي التوحيد إلى توجيه المكلف بكليته إلى الله ﷻ بالشعائر التعبدية، وبكافة أعماله في الدنيا ، ويصير العقل مقتنعا راضيا، وتصير الروح ذاكرة هائمة ، ويصير الجسد خادما للروح والعقل، ويكون معهما في التوجه إلى الله تعالى، وهكذا تكون الطاعة المخلصة لمنهج الله تعالى .

إن توحيد الألوهية يؤدي إلى اليقين بجميع أركان العقيدة كما أخبرنا الله بها في وحيه المنزل على رسوله ﷺ .

وإذا ما سكنت عقيدة التوحيد في القلب فإن ذلك يؤدي إلى الطاعة المطلقة لله ﷻ ، والتمسك الدقيق بكل تعاليمه ، والرضى التام بالعبودية القانتة لله رب العالمين .

إن عقيدة التوحيد هي أساس الإسلام كله، وعليها تقوم أركان العقيدة، وأحكام الشريعة، ومكارم الأخلاق، وبها يكون المسلم مسلما .

---

(١) سورة النور الآيات من ٤١: ٤٥ .

واعتبار عقيدة التوحيد الدعامة الرئيسية للنظم أمر مقرر، لأن الله تعالى شرع النظم، وأنزلها وحيا على رسوله ﷺ ، فبلغها ﷺ للناس، وصار واجبا على كل مسلم أن يعلمها، ويلتزم بها، فهي دين الله تعالى المنزل .

ومن الواجب زرع عقيدة التوحيد في القلوب والعقول، والبرهنة عليها من براهين الخلق والإبداع المبثوثة في الكون والحياة، والثابتة في القرآن الكريم .

ولم يكن عجيبا مع هذه الأهمية أن يستغرق النبي ﷺ طوال المرحلة المكية يدعو إلى عقيدة التوحيد بالقرآن المنزل، وبالذكر المبين، وكلها توضح وحدانية الله تعالى، وتبرهن عليها من خلال توضيح حقيقة الألوهية في ذاتها، ومن خلال آثارها في الكون والحياة، ويخاطب القرآن الكريم الإنسان بأسلوبه المعجز، وبيانه البديع .

وقد أكد ابن رشد أن أفضل طريقة لإثبات عقيدة التوحيد في العقل هي أدلة القرآن الكريم، ونحن إذا استقرأنا كتاب الله العزيز سوف نجد أن أدلته تنحصر في نوعين : (١)

أحدهما : الوقوف على العناية بالإنسان، وجعل الموجودات كلها من أجل تحقيق هذه العناية، فالعالم بجميع ما فيه متسق مع وجود الإنسان، وأن جميع المخلوقات متجهة نحو غاية واحدة ، ويسمي ابن رشد هذا الدليل "**دليل العناية، والغاية** ".

والنوع الثاني : إبداع خلق الكون، وإخراجه من عدم جميلا ، منسقا، متوازنا، وهو ما يسمى " **دليل الخلق، والإبداع، والجمال** " .

---

(١) الدين والفلسفة محمد يوسف موسى ص١٤٧ .

يقـول الله تعـالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ ﴾ (١) .

وبتأمل هذه الآيات نجد موافقة أجزاء العالم لوجود الإنسان، فكلاهما خَلْق صانع واحد، متصف بالعزة والقدرة، وبسائر صفات الكمال والجلال التي تليق به، وهو الله ﷻ ، وذلك أن الله تعالى ابتدأ في الآيات فنبه على أن الأرض خلقت على وجه معروف وواضح، وهو أنها خلقت بصفة يتأتى لنا المقام عليها، وذلك أن المهاد يعني الموافقة في الشكل، والسكون، والوثارة، واللين، وأنها سكنت بالجبال، وأن الليل فيها للراحة، والنهار للعمل، ونزول المطر من السماء فوقها، ووجود الشمس والقمر في توافق تام مع مصلحة الإنسان وحاجاته .

إن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام ، أنزله الله تعالى للناس داعيا إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم، وفيه كافة صفات الله تعالى .

يوضح القرآن الكريم صفات الله تعالى التي يجب على المؤمن التيقن بها تيقنا يتجلى في ضمير المؤمن، فيخلص في طاعته، وهو ثابت مطمئن، يقـول الله تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ (٢)

---

(١) سورة النبأ الآيات من ٦ : ١٦ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٥ .

وبتأمل هذه الآية نجدها توضح أهم صفات الله تعالى في عشر جمل هي : -

الجملة الأولى : قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، و﴿ ٱللَّهُ ﴾ هو اسم الله الأعظم الذي لا يسمى به غيره بعد أن عرف بالألف واللام، **ومعنى** ﴿ ٱللَّهُ ﴾ أي هو الإله المنفرد في الألوهية الذي لا يشاركه فيها سواه، وهذه التسمية تعني استحقاقه للعبادة وحده، فهو الإله صاحب الكمال المطلق، وهو الخالق المتصرف في جميع ما خلق،...فكل الكائنات خاضعة له ، ولا قيمة لعبادة لغير الله تعالى .

ودلت هذه الجملة على الوحدانية المطلقة لله تعالى، بطريق الحصر، لأنها نفت الألوهية مطلقا في ابتداء الجملة ، ﴿ لَآ إِلَٰهَ ﴾ ... واستثنت من هذا النفي إلها واحدا هو الله رب العالمين ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ فهو الواحد ، الأحد، المنزه عن المشابهة، والمماثلة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (١)

والجملة الثانية : قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، وفيهما صفتان لله تعالى هما : ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، **وصفة** ﴿ ٱلْحَىُّ ﴾ تعني ثبوت الحياة الكاملة لله تعالى، ومظهرها العمل والإرادة، والقدرة، والخلق، والتكوين .

و﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ تعني قيام الحي بنفسه بحيث لا يقوم بغيره، فلا يحل في شخص، أو في أي شيء ، ولا يغني عنه غيره ، وهو الله الذي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ (٢) ... وهو القائم على كل شيء

---

(١) سورة الشورى الآية : ١١ .

(٢) سورة الإخلاص الآيتين ٣ ، ٤ .

بالتدبير، والحياطة، والحفظ، وإليه يرجع الأمر كله،.... والخلق في حاجة إليه، وهو الغني الحميد .

والجملة الثالثة : قوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، و" **السنة**" هي الغفوة التي تسبق النوم، وهي حالة بين النوم واليقظة، ... و" **النوم**" حالة تعتري الإنسان يزول إثناءها العقل، والقوة، وسماها القرآن الكريم الموتة الأولى، و"**السنة**" هي مقدمة النوم، ولذلك جاءت أولاً ، ... والمعنى : أن الله تعالى منزه من أن يعتريه سنة ولا نوم، لأن السنة والنوم من أعراض الجسم الحيواني، سواء أكان ناطقا أو غير ناطق، والله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة الحوادث، وليس سبحانه جسما، وليست له أعراض .

وفي التعبير بقوله ﷻ : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ ﴾ دلالة على القوة القاهرة للنوم، وأنها تأخذ الحي أخذا، وتقهره قهرا، وذلك مستحيل الحدوث مع القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير.

وجاءت صفتا ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ بلا عطف بينهما، لما بينهما من ترابط ، وتلازم، ولأنهما اسمان لله الواحد الأحد.

والجملة الرابعة : قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ **تشير الآية إلى** أن الله تعالى مالك الملك، يتصرف في ملكه كما يشاء، فهو الملك، وغيره مملوك له، وهو الملك، وغيره محتاج إليه.

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فملكيته سبحانه وتعالى شاملة لما في السموات وما في الأرض، وما بينهما، وما هو خارج عنهما من سائر المخلوقات الموجودة في الكون كله .

وذكر السموات بالجمع للإشارة إلى ملكية كل دقائقها، وكل نواميسها، وسننها، فهو الذي يغير فيها ويبدل، وهو الذي أوجدها على ذلك النسق البديع المحكم الذي ربط أجزاءها بأواصر قوية .

وكان إفراد الأرض مع جمع السموات للإشارة إلى وحدتها في الجملة بالنسبة لعامل السموات، وإن كانت الأرض طبقات، وللإشارة إلى أن ما في الأرض ليس إلا مظهرا من حركة السماء، ، وأن الأرض شيء صغير بجوار السموات وما فيها .

وتقديم الجار والمجرور ﴿ لَهُۥ ﴾ لإفادة القصر، أي إن السموات والأرض له سبحانه، وليس لأحد سواه، فهو المنفرد بالسلطان فيها، المالك لها .

والجملة الخامسة :**قوله تعالى**:﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾

أي إن غيره لا يشفع ، ولا يعاون غيره في الآخرة إلا بإذن الله تعالى ، وقد أذن الله تعالى بالشفاعة لمحمد ﷺ .

وهذه الجملة واضحة في الدلالة على المراد منها، وكان الكفار يزعمون أن الأصنام تقربهم إلى الله زلفى، فنزلت الآية ترد على هذا الزعم، وتبين أن من يشفع لا يكون إلا بإذن الله تعالى .

والشفيع هو النصير والمعاضد، ويكون في مرتبة عالية فوق صاحب الأمر تؤثر في إرادة صاحب الأمر،... وذلك مستحيل على الله تعالى ، فهو سبحانه الملك القدير، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وهو اللطيف الخبير

والجملة السادسة: قوله تعالى :﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ ﴾

﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ ﴾ أي إن الله تعالى محيط بكل ما هو مخلوق، فهو صانعه، وهو الأعلم به، وعلمه ﷻ يشمل أمر الدنيا ، وأمر

الآخرة ، كما إنه عليم بما وقع، وبما لم يقع ، ومحيط بما يدرك، وما لم يدرك، ويعلم الخير والشر، فعلمه محيط بكل جزئية موجودة أو معدومة في الماضي والحاضر والمستقبل منذ الأزل إلى آخر كل معلوم .

والجملة السابعة : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ أي إن الخلق جميعه ولو اجتمع لا يدركون شيئا من علم الله تعالى ، والمراد بالعلم هنا المعلوم ، أي إن المخلوقات جميعا، ومنها الإنس والجن لا يحيطون بما هو موطن للعلم والإدراك، فمعرفتهم به جزئية قاصرة، أما الإحاطة بمعناها الكامل التام لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى .

﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أي إن الله ﷻ يأذن ببعض العلم لعباده بصورة جزئية وفق إرادته ﷻ ، ولن يقع في ملكه إلا ما يريد .

وعلم الناس لا يكون إلا بالقدر الذي يشاؤه الله تعالى ، ولذلك كان الاستثناء في قوله ﷻ : ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ إذ إنه ما دام قد علم وأحاط بكل شيء فله سبحانه أن يعطي البشر من العلم ببعض الأشياء بالقدر الذي يريده سبحانه، ويقدره، وفي حدود استعداد المخلوق العاجز.

والجملة الثامنة: قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾

و**الكرسي غير العرش**، والسلف يفوضون العلم بحقيقة الكرسي لعلم الله تعالى، ولا يخوضون في تفسيره للمحافظة على جلال الله وقدسيته.

والآية تشير إلى سعة الكرسي حيث السموات والأرض، ... وفي الحديث يقول أبو ذر ﷺ سألت النبي ﷺ عن الكرسي ، فقال ﷺ : **(يا أبا ذر ، ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش**

على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة) (١) .

والجملة التاسعة: قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾ أي إن الله تعالى لا يتعبه، ولا يثقل عليه حفظ السموات والأرضين، وما فيهما، فهو سبحانه وتعالى منزه عن التعب الذي لا يكون إلا في الحوادث المحتاجة للغير .

والجملة العاشرة : قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ والعلي، والعظيم صفتان لله تعالى، شاملتان للصفات المذكورة في الآية، فهو سبحانه عال بذاته وصفاته، لا يشبه المخلوق أبدا، فلقد أحاط بالكون، وسيطر عليه بقدرته، و هو القاهر لكل جبار وظالم، وهو وحده العظيم، الكبير، المتعال .

وهكذا...

تكون عقيدة التوحيد، وتعمقها في ضمير الإنسان هي الدعامة الأولى للنظم الإسلامية، لأن المكلف المتيقن من وحدانية الله تعالى يتمسك بنظم الله ﷻ، ولا يحيد عنها أبدا، لأنها تعاليم إلهه الذي آمن به، وهو لها مستسلم، خاشع، مطيع، متيقن أنها الحق والصواب، وقد ألزم نفسه راضيا بطاعة الله تعالى أملا في الفوز والفلاح .

إن تطبيق النظم الإسلامية تابع للإيمان بالله تعالى ، لأن الإسلام لا يتحقق إلا بالعلم والعمل، ولا قيمة لعلم لا يتبعه العمل، ولا قيمة لعمل مجرد من الإيمان بالله تعالى .

---

(١) صحيح ابن حبان – كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها ، حديث : ٣٦٢

المبحث الثاني
الدعامة الثانية
وجود الإنسان المؤمن

خلق الله الخلق، وأكرم الإنسان واستخلفه في الأرض، وأنزل له المنهج الذي يسير عليه، والنظم التي تحدد له المسار والمصير، واستمر نزول الوحي على رسل الله إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي بلغ الناس دين الله تعالى كاملا تاما .

وعرف الناس نظم الإسلام، وعلموا أنها الإسلام في الحقيقة، فهي منزلة من عند الله تعالى، ولذلك كان التصديق بوحدانية الله ﷻ دعامة أساسية لتطبيق النظم المنزلة .

ومن أجل تحقيق النظم الإسلامية في الحياة كان من الضروري وجود الدعامة الثانية، وهي وجود الإنسان المؤمن الذي يضع نفسه في موضعها الصحيح، فهو عبد خلقه الله تعالى لأمرين :

أحدهما : العبادة المطلقة لله تعالى، يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

والثاني: الاستخلاف في الأرض، وهذا يعني تعمير الأرض، وإدارتها بمنهج الله تعالى، وتطبيق شريعته ، ونظمه.

وبهذين الأمرين يتحدد عمل الإنسان، ويظهر دوره مع النظم الإسلامية وتتضح حاجته إلى دين الله تعالى في نشاطه وسعيه .

فهو مخلوق حادث محدود بالزمان، والمكان، والثقافة،.... وغير ذلك ،

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .

وهذا يعجزه عن إدراك ما وراء هذه الحدود من غيب في الماضي، والحاضر، والمستقبل، ، .... وعليه أن يتمسك بنظم الله تعالى العليم الخبير ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ ﴾ (١) .

وهو محدود الطاقة، والقدرة، ويكفي للدلالة على ذلك أنه يعيش في كون فسيح لا يدرك مداه، وفيه من أنواع الخلق ما لا يستطيع إحصاءها ، ولا يمكنه الاستغناء عنها، فالماء ينزل إليه ثجاجا من السماء لإخراج الحب والنبات، والهواء يهب عليه رخاء من أنحاء عدة ولا يدري عن سببها شيئا، ... بل إنه لا يدري أسرار نفسه مثل عمل العقل، وتكامل العناصر الباطنية، والتواصل الدقيق بين الرئة والقلب، والأوردة، والشرايين، وكيفية تغذية الشعر، والعين، والقدمين، والتفاعل بين العواطف والشعور، وسريان الدم إلى كافة عناصر البدن بمقادير معينة، وسيولة معينة، وحرارة معينة .

وهو ضعيف، محتاج، يشعر بالمخاطر والمجاهيل التي تحيط به من كل جانب، ولولا عناية الله تعالى به ما تمكن من الحياة .

وقد أكرم الله تعالى الإنسان فهيأ له المعاش الطيب، وذلل له الأرض ليعمل، ويتحرك، ويحيأ، ويعيش، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾ (٢) .

ويتأمل هذه الآية نقف على ضعف الإنسان ، وعناية الله به، فقد ذلل له الأرض على ضخامتها، واتساعها، يسير فيها بقدمه، أو على دابته، أو على الفلك فوق الماء أو بالسيارة في الوديان أو بالطائرة إلى أرجاء العالم المختلفة

---

(١) سورة النمل الآية : ٦٥ .

(٢) سورة الملك الآية : ١٥ .

ووصف "**الذلول**" يطلق عادة على الدابة التي سخرها الله تعالى للحرث، والعمل، والركوب، وإخراج اللبن، ... وهذا الوصف مقصود في الأرض فقد جعلها الله تعالى للإنسان ثابتة مستقرة منبسطة ، وهي في الحقيقة كروية ، وتمر مر السحاب .

والله تعالى جعل الأرض ذلولا للناس بأن جعل لها جاذبية تشدهم إليها أثناء حركتها الكبيرة ، كما جعل لها ضغطا جويا يسمح بسهولة الحركة فوقها، ولو زاد هذا الضغط عن ثقله المقدر أو نقص لاضطرب الإنسان ، وانفجرت تجاويفه .

والله جعل الأرض ذلولا بأن أجرى الهواء فيها محتويا على العناصر التي يحتاج إليها الإنسان .

والله جعل الأرض ذلولا بآلاف الموافقات الموجودة اللازمة لقيام الحياة ، ومنها حجم الأرض، وحجم الشمس والقمر، وبعد الأرض عن الشمس، ودرجة حرارة الشمس، وسمك القشرة الأرضية، ومقدار اليابس والماء، ...الخ

وهذه الموافقات مجتمعة هي التي جعلت الأرض ذلولا، ومكنت الإنسان الضعيف أن يسود في الأرض، ويتلقى الوحي، ويعيش بنظم الله تعالى .

هذه الحقائق يجب ألا تغيب عن فهم الإنسان العاقل، ويجب أن تشده إلى السعي والعمل، وتكمله بالاستقامة والطاعة على منهج الله تعالى، وإذا لم يوجد هذا الإنسان في الأرض لا يوجد نظام إسلامي فيها .

وصار من المهم لقيام النظم الإسلامية وجود الإنسان المؤمن في أرض الله تعالى الذي يعرف دوره في الحياة، وكيفية إقامة المعاش، والقيام بجوانب خلافة الله ، وتطبيق نظمه ليتحقق ما يلي : -

أولاً : تحقيق العبودية في كل قول وعمل، وذلك بإطاعة السيد، والالتزام

بمنهجه، وتطبيق نظمه.

ثانياً : اليقين بأن المعبود الحق يستحق أن يطبق منهجه في ملكه وعباده وتصور المخالفة بين تعاليم المعبود، وطاعة العابد غير ممكنة أبدا مادام العابد صادقا في عبادته .

ثالثاً : العابد الصادق مع الله تعالى لا يتصور أبدا نفسه في إطار نظم من وضع البشر، لأنه بها يخرج عن إطار مملكة الله تعالى .

رابعاً: الإنسان المؤمن هو الذي يظهر النظم الإسلامية عمليا في الحياة وهذه مسئوليته التي لابد منها ، ولذا كان هو الدعامة الثانية .

ومن الأهمية القصوى أن يربط الإنسان المؤمن عواطفه، ومشاعره بالله تعالى ليكون عمله موافقا لفطرته، مشتملا على الخشوع، والإجلال، والتعظيم والرجاء، والحب، والخوف، والتذكر الدائم للحقيقة الإلهية، ومعرفة حقيقة العبودية ليقدر ربه حق قدره، ويقيم من نفسه صورة عملية للفكر الإسلامي .

إذا وجد هذا الإنسان في الأرض كان التلقي الدائم من الله تعالى وحده، وبذلك تتحقق النظم ، وتوجد الدعامة التي تظهرها عمليا في الحياة .

يقول الأستاذ / سيد قطب : لقد انتصر محمد ﷺ يوم أن صنع من أصحابه ﷺ صورا حية من الإيمان، تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، ... ويوم أن صاغ من كل منهم قرآنا حيا يدب على الأرض، ... ويوم أن جعل من كل فرد نموذجا مجسما للإسلام يراه الناس، فيرون الإسلام .

إن النصوص وحدها لا تصنع شيئا، وان المصحف وحده لا يعمل إلا بعد أن يكون رجلا، وان المبادئ وحدها لا تعيش إلا بعد أن تكون عملا وسلوكا .

لقد كان الهدف الأول لرسول الله ﷺ أن يصنع أناسا ذا ضمائر، ممتلئة

بحب الله ورسوله، وأن يصنع أمة مؤمنة، تعمل للإسلام وبالإسلام، وتقيم حياة في الأرض تراها العين، وتلمسها الحواس.

لقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ يوم أن صاغ من فكرة الإسلام شخوصا، وحول إيمانهم بالإسلام عملا، وطبع من المصحف عشرات النسخ، ثم مئات وألوفا، ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، إنما طبعها بالنور على صحائف القلوب، وأطلقها تعامل الناس، وتأخذ منهم، وتعطي، وتقول بالفعل والعمل: ها هو الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله تعالى (١).

يقول الله تعالى عن أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم الأسوة والمثال : –

- ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢)
- ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٣) .

إن الإنسان بصورة عامة هو الدعامة الثانية لتحقيق النظم الإسلامية في عالم الواقع ، ولذا كانت الحاجة إلى إيمانه، وإخلاصه، وبدونه تبقى النظم حبيسة في الأسفار، وعقول العلماء .

---

(١) دراسات إسلامية : الأستاذ / سيد قطب، نقلا من تربية الولد ص ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢٣ .

(٣) سورة الفتح الآية : ٢٩ .

المبحث الثالث
الدعامة الثالثة للنظم الإسلامية
وضوح المنهج الإيماني

المنهج هو الطريق البين الموصل لغاية مقصودة، ويكون ماديا ومعنويا، ومنه الطريق الموصل بين بلدتين، والطريق الموصل لمعرفة الإسلام، وتحصيل العلوم، ويكون المنهج بسيطا أو مركبا .

يقول الفيروز أبادي: المنهج الطريق الواضح (١) .

والمنهج الواضح دعامة للنظم الإسلامية، لأن الناس إذا آمنوا بالله تعالى فلابد لهم من طريق يسيرون فيه لتحقيق منهج الله وشريعته.

والإنسان محتاج إلى منهج يعيش به، وخطة يسلكها في أقواله، وأفعاله، وقد أنزل الله تعالى منهجه لآدم عليه السلام ، فقال عز وجل : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (٢) .

وأجمع الكافة على أن أي إنسان يحتاج لمنهج يعيش به، ويقيم عليه حياته وفق الثقافة التي يؤمن بها، ويتبعها.

وللمسلمين منهج الإسلام الذي أنزله الله تعالى ليسير عليه المؤمنون، ويصلحوا به دنياهم وآخرتهم في إطار عدد من النظم التي تحدد الأعمال والمهام لسائر الناس، ليكمل بعضهم بعضا، ويتخذ بعضهم بعضا سخريا .

يقول ابن خلدون: إن الله تعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لا تحيا إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته، وبما ركب فيه من القدرة على

---

(١) القاموس المحيط – مادة " نهج " ج١ ص٢١٠ .

(٢) سورة طه الآية : ١٢٣ .

تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفيه له بمادة حياته منه، ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه، وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فإنه لا يحصله إلا بعلاج كثير من الطحن، والعجن، والطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من نجار وحداد وفخوري ، وهب أنه يأكله حبا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله حبا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه، من الزراعة، والحصاد، والدراس- الذي يخرج الحب من غلاف السنبل- ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة، وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ، ويستحيل أن تفي بذلك كله أو بعضه قدرة الواحد ، فلابد من اجتماع القوى الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة أكثر منهم بأضعاف (١) .

ويضرب ابن خلدون مثلا آخر لضرورة اجتماع بني الإنسان وهو ضرورة اتحادهم، وتعاونهم للدفاع عن أنفسهم ضد الحيوانات المفترسة وغيرها من الأخطار الأخرى ، ثم يقول عقب ذلك :

" فإذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني ليكمل وجودهم، وما أراده الله تعالى من اعتمار العالم بهم، واستخلافه إياهم (٢) .

ويؤكد هذه الحقيقة أيضا الدكتور بدران أبو العينين بدران فيقول : "من المعلوم أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا يعجز عن القيام بجميع مطالبه، فهو دائما في حاجة إلى غيره ، ليكمل حاجاته الضرورية ، ويحصل

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٣٩ ط دار الشعب .

(٢) المصدر السابق ص٣٩ .

على أسباب عيشه .

ولذا يقال: الإنسان مدني بطبعه، أي محتاج إلى غيره، فحياته قائمة على تعاونه مع غيره في نظام متكامل يحتاج كل جزء فيه لغيره من الأجزاء، ويقوم كلٌّ بما يستطيع عمله، وما يقدر على مباشرته (١) .

إن اجتماع البشر في مواجهة ضرورات الحياة أمر لابد منه وإلا فسد نظام الكون، وتلك حقيقة يؤكدها الواقع ، وتقوم عليها الأدلة النقلية والعقلية إذ لا انتظام لمسيرة الحياة إلا بذلك، وإذا كان اجتماع البشر ضرورة فإنهم – حينئذ– **يحتاجون إلى منهج ينظم علاقاتهم فيما بينهم** حتى لا يظلم أحد أحدا، ولا يجور أحد على أحد، خصوصا وأن كثيرا من النفوس تهفو إلى حب الرياسة، والسيطرة على غيرهم، ولا يتورعون عن الظلم في كثير من الأحايين تحقيقا لشهواتهم ورغباتهم، **ومن هنا كانوا محتاجين إلى نظم** راسيات تستقيم بها أمورهم، وتتحدد بها ملامح العلاقة فيما بينهم، درءا للظلم، وتوقيا من الشقاق والخلاف .

ويقول الدكتور / حسن الكاشف : " فلو ترك الناس وشأنهم في مناحي العيش، يستبد كل برأيه، ويتبع شهوته، وميوله العقلية والنفسية من غير أن توضع لهم النظم التي تميز الخبيث من الطيب، وتوقف رغباتهم عند حد الاعتدال، وتنظم العلاقة فيما بينهم ، وتوجههم إلى ناحية الخير لصالح المجموع لتعارضت هذه الميول، وتشعبت عليهم سبل العمل، وعميت عليهم وجهة الخير، فتصبح حياة الفرد حياة مضطربة ناقصة لا هناءة فيها، ولا غاية لها، كما تصبح حياة الجماعة حياة شيطانية متمردة، يموت فيها الحق،

---

(١) الشريعة الإسلامية تاريخها وبعض النظريات العامة ص١٦ .

وينهض الباطل، وتقوم الأنانية مقام المساواة ، فلا عدل في هذه الحياة إلا ما كان فيه نفع ذاتي، ولا خير إلا فيما وافق الهوى.

لهذا اقتضت حكمة الباري ﷻ ألا يترك البشرية غارقة في بحار الضلالة يعمل كل بما يمليه عليه شيطانه، وتسول له نفسه، فأبان للناس أوضح المسالك، وأعدل السبل، فسن لهم من القوانين فيما أنزل من الشرائع ما تتناسب وعقول البشرية في أطوارها المختلفة ... الخ (١) .

ومع حاجة الناس إلى نظم تحدد مسئولية كل واحد منهم تجاه نفسه وغيره، فهو في حاجة إليها لتعرفه بأمور لا يدركها، وتضع له السبل في إطار مجال غيبه الله تعالى عنه، ويكلفه بأعمال تحقق له الخير والصلاح في الدنيا، والفوز في الآخرة برضوان الله تعالى .

إن الإنسان في حاجة دائمة لمن يعينه ببيان الصراط المستقيم الذي يحقق العدل، وينشر الأمل والسلام .

وقد تجلت عناية الله تعالى بالإنسان فأنزل له الأديان، وختمها بالإسلام، وجعلها قاعدة انطلاقه ونشاطه في الحياة، وهداه به إلى أحسن الطرق، وأنجعها، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢) .

ولهذا كانت هداية الناس إلى الطريق القويم أعظم نعمة أعطاها الله ﷻ للإنسان، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٣)،

---

(١) حكمة التشريع وتاريخه ص٦ .

(٢) سورة الفتح الآية : ٢٨ .

(٣) سورة طه الآية : ٥٠ .

ويقول ﷻ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ (١) . **ففي هذه الهداية** يتجلى فضل الله تعالى على الناس حيث نجاهم من الضلال، وأبعد عنهم الفساد، ووضع لهم المنهج الإلهي، وجعله نظما تنطلق من الإسلام، وتتجسد في الأعمال والسلوك، ووضع الله تعالى نظم الإسلام واضحة بينة، يسهل معرفتها وفهمها، والعمل بها حتى لا يكون للإنسان عذر في ترك هذه النظم .

وقد اهتم العلماء والفقهاء ببيان أحكام النظم الإسلامية، ومن السهل على من يريدها أن يأخذها من مؤلفات الفقهاء، وأسفار العلماء .... ولذلك يقول الله تعالى :

- ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤ ﴾ (٢)
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾ (٣) .

وقد تميز العمل بدعامة الهداية والتقوى، يقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ ﴾ (٤)

****

---

(١) سورة طه الآيتين : ٢ ، ٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٦٤ .

(٣) سورة الجمعة الآية : ٢ .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٠٢ .

وعلى هذه الدعائم الثلاثة تتحقق النظم الإسلامية في واقع الحياة بخصائصها، ومزاياها، وحقيقتها، فقد وضعها الله ﷻ للناس خالية من العوج والفساد ، وأنزلها ليستقيم عليها من يؤمن بالله العزيز الحكيم، وفق المنهج المحكم المفصل الواضح، و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٣ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٤ ﴾ (١)

---

(١) سورة الكهف الآيات من ١ : ٣ .

الفصل الرابع

مصادر النظم الإسلامية

مصادر النظم الإسلامية

تتحدد هوية كل عمل، أو توجه، أو فكر بتحديد مصدره، وقد درج الناس منذ أن خلقهم الله تعالى على تحديد مصادر مذاهبهم ، وعقائدهم، وأفكارهم، وأثبتوا هذا المصدر، وجعلوه السبب الذي يصدر عنه الفعل، أو القول والذي إليه ينتسب الفعل أو القول، **فمن قلد غيره** فقد اتخذه مصدرا لفعله، ومن كان متبعا لفكر ما، أو لرأي ما فهو مصدره .

وقد تمايزت النظم عن بعضها تبعا لتغاير مصادرها، ولذا كان من الضروري تحديد مصادر النظم الإسلامية في هذا المدخل، ليتبعها المؤمنون بالله تعالى .

إن النظم الإسلامية أحكام شرعية تفصيلية تنظم للمكلفين عملهم، وحياتهم، وتحدد المسار المشروع، والمسار غير المشروع .

وحيث أن المصادر الإسلامية الأساسية هي نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد اهتم بهما العلماء والفقهاء، واتخذوا منهما الدلالات المثبتة لحجية باقي المصادر، ووضعوا القواعد التي تثبت الحكم الشرعي لسائر جوانب الشريعة الإسلامية، وكافة النظم الإسلامية، ولذلك حسن معرفة الحكم الشرعي، وصلته بالمصادر الدينية قبل التعريف بالمصادر، وكيفية الاستدلال بها في توضيح النظم الإسلامية المرتبطة بمنهج الله تعالى، ... ولهذا سأبدأ – بمشيئة الله تعالى – ببيان الحكم الشرعي لصلته بالعقيدة، والشريعة، والأخلاق، وبعدها يكون التعريف بالمصادر الشرعية للنظم الإسلامية، وذلك في المباحث التالية : –

المبحث الأول
الحكم الشرعي

الحكم الشرعي في جملته ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما : -

القسم الأول
أحكام العقيدة

القسم الأول هو الحكم المتعلق بالعقيدة، وهو ثلاث أنواع :

النوع الأول : وهو النوع الذي لابد في إثباته من الدليل العقلي القطعي قبل الدليل النقلي، كوجود الله تعالى ، وصدق رسوله ﷺ .

ودور القرآن الكريم مع هذا القسم إرشاد العقل إلى النظر والتأمل في آيات الله الموجودة في الإنسان والكون والحياة ، يقول الله تعالى : -

- ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ (١)
- ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾ (٢) .
- ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ ﴾(٣) .
- ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة يونس الآية : ١٠١ .

(٢) سورة الذاريات الآيتين : ٢٠ ، ٢١ .

(٣) سورة ق الآيات من ٦ : ٨ .

(٤) سورة الغاشية الآيات من ١٧ : ٢٠ .

حيث نجد هذه الآيات وأمثالها كثيرة في القرآن الكريم ترشد العقل إلى النظر والتأمل في مخلوقات الله تعالى لمعرفة الخالق، والتيقن من وجوده بهذه الأدلة القاطعة، ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .

وبعد التدبر والنظر والوصول للحق يلتقي العقل مع القرآن الكريم ، ويعيش العقل مهتديا بفطرة الإنسان التي ولد بها، ومؤيدا بهدي القرآن الكريم، وبذلك يصير الحكم شرعيا مع أن أساس مبناه قائم على التعقل والفهم .

وكان من الضروري تقديم النظر العقلي في الإيمان بالله تعالى، وتصديق الرسول ﷺ على الدليل النقلي ، لأن الإنسان قبل الإيمان بهما لا يكون مؤمنا بشيء، ولا يصلح معه دليل نقلي ، وبعد أن يؤمن ويصدق بالله ورسوله يأتيه النص الشرعي الموحى به إلى الرسول ﷺ مؤديا للنظر العقلي فلا يسعه مع ذلك إلا التصديق والتسليم .

ومن الحقائق الدينية أن تعاليم الوحي إذا تطابقت مع نظر العقل تثبت ثبوتا يقينيا بعيدا عن الخيال ، والأوهام .

النوع الثاني: وهو ما يثبت بالدليل النقلي والعقلي معا بصورة متوازنة، كالحكم بإثبات صفات الله تعالى، وصفات رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فهذه الأحكام جاء بها النقل، وصدق بها العقل، لأنها من لوازم الإلوهية والرسالة، ويتساوى الدليلان في إثبات هذه الأحكام، إذ لابد للإله والرسول من صفات تليق بكل منهما ، ولابد من وجود ملائكة تحمل الوحي والكتاب للرسول الموحى إليه، وهذا يثبت بالعقل والنقل معا.

النوع الثالث: وهو ما يثبت بالدليل النقلي وحده ، ويشمل الأحكام التي لا مدخل للعقل في الوصول إليها ، كالإيمان بالبعث، ومشاهد يوم القيامة ، والجنة والنار وما فيهما، ويكفي في هذا النوع التثبت من صدق الخبر وثبوته

وهذه الأنواع لابد معها من البرهان القطعي اليقيني عقلا كان أو نقلا ، فيقين العقل مقرر بدقة النظر، وحسن التأمل، ووضوح الآيات .

ويقين النقل ثابت بتعاضد الأدلة التي تفيد التواتر المفيد في جملته القطع واليقين.

القسم الثاني
الأحكام الشرعية

يشمل القسم الثاني الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين المستفادة من الأدلة التفصيلية، وهذه الأحكام تشمل كل مسائل الفقه التي أوردها الفقهاء والعلماء في مذاهبهم وأحكامهم المتعلقة بأفعال المكلفين (١) .

كما يشمل كل ما يتصل بالنظم على تنوعها، وتوزعها في كل أبواب الفقه .

وقد قسم الفقهاء الأحكام الفرعية باعتبار ما تشتمل عليه من طلب فعل، أو طلب ترك إلى أحكام خمسة هي : الإيجاب ، والندب، والتحريم، والكراهة، والإباحة، لأن خطاب الله تعالى إذا تعلق بشيء فإما أن يكون طلبا جازما ، أو لا يكون ، فإن كان طلبا جازما في طلب الفعل فهو الفرض، مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (٢)، وقوله ﷻ: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ (٣) .

وإن كان الجزم في طلب الترك فهو التحريم، مثل قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ

---

(١)المحصول للإمام فخر الدين الرازي ج١ ص ١١٣ ، ١١٤ ، والمستصفى للغزالي ج١ ص٦٥ ، والإبهاج لابن السبكي ج١ ص٣٢ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٤٣ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٤١ .

إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (١) ، وقولـه ﷻ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ (٢) ، وقولـه تعـالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (٣) ، فهذه الأوامر جازمة في طلب الترك ، وليس معها قرينة تصرفها من التحريم إلى غيره .

وإن كان الطلب غير جازم لأحد طرفي الفعل، فإن كان الطرفان على السوية فهو الإباحة، مثل قوله ﷻ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (٤)، وقوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ﴾(٥) .

وإذا كان أحد الطرفين يترجح فيه جانب الوجود فهو الندب، مثل قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ (٦) ، ولم يكن الأمر في الآية للوجوب لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ (٧) ، فانصرف من الوجوب إلى الندب .

وإن كان أحد الطرفين يترجح فيه جانب العدم فهو المكروه، مثل قول النبي ﷺ: **(فإذا دخل أحدكم المسجد ، فلا يجلس حتى يركع ركعتين)** (٨)، (٨)، فهذا الطلب غير جازم لأن الركعتين ليستا فرضا، فجاز تركهما .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٣٢ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٥١ .

(٤) سورة البقرة الآية : ١٨١ .

(٥) سورة المائدة الآية : ٢ .

(٦) سورة البقرة الآية : ٢٨٢ ..

(٧) سورة البقرة الآية : ٢٨٣ .

(٨) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحية المسجد بركعتين، حديث: ١٢٠٢ .

ولقد خالف الأحناف هذا التقسيم للحكم الشرعي ، وزادوا عليه حكمين هما الواجب، والكراهة التحريمية فجعلوا الواجب مع الفرض، والفرق بينهما أن الفرض يثبت بدليل قطعي، والواجب يثبت بدليل ظني، ومثاله قوله ﷺ : **(لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)** (١) .

كما جعلوا الكراهة التحريمية مع التحريم ، والفرق بينهما أن التحريم يثبت بطريق قطعي، والكراهة التحريمية تثبت بطريق ظني ومثالها قول النبي ﷺ: **(لا يبع الرجل على بيع أخيه)** (٢) .

ومصادر النظم الإسلامية هي مصادر الأحكام الشرعية لدورانهما حول الأحكام المستنبطة من هذه المصادر.

---

(١) صحيح البخاري،كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، حديث رقم: ٧٣٥ .

(٢) سنن ابن ماجه – كتاب التجارات، باب لا يبيع الرجل على بيع أخيه – حديث : ٢١٦٩ .

المبحث الثاني
المصادر الدينية لأحكام النظم الإسلامية

مصادر النظم هي مصادر الشريعة وهي نوعان:

النوع الأول أجمع الأصوليون عليه، وأخذوا به في أحكامهم .

والنوع الثاني قال به البعض دون غيرهم ، ....

وسأعرف بهذه المصادر في مطلبين هما: -

المطلب الأول : المصادر المجمع عليها.

المطلب الثاني : المصادر المختلف فيها .... وذلك فيما يلي : -

المطلب الأول
المصادر المجمع عليها

أجمع الفقهاء والأصوليون على أربعة مصادر للشريعة الإسلامية بكل ما تدل عليه، ولذلك كانت دلالتها على الأحكام دلالة يقينية ....

وسوف أقدم موجزا عنها، مع توضيح صلة كل منها بالأحكام الشرعية، وذلك فيما يلي : -

المصدر الأول
القرآن الكريم

يجدر بالدراسة أن تبدأ بالقرآن الكريم، فهو المصدر الأول للإسلام كله، وذلك فيما يلي :-

-١-
تعريف القرآن الكريم

عرف العلماء القرآن الكريم لغة فقالوا: إن القرآن هو الكتاب العزيز الذي

أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، ويسمى بالكتاب، والقرآن، والفرقان (١) .

وجاء في مختار الصحاح: إن القرآن لفظ مرادف للقراءة، فهو مهموز(٢).

وقال الرازي : قرأ الكتاب قراءة ، وقرآنا جمعه ، وضمه، وسمي القرآن باسمه لأنه يجمع الآيات والسور، ويضمها لبعضها (٣) .

ويقول السيوطي : اختلف في معنى القرآن لغة، فقال جماعة منهم الإمام الشافعي : إنه علم غير مشتق خاص بكلام الله ، فهو غير مهموز، وعليه قراءة ابن كثير (٤) .

وقد تعددت تعاريف القرآن الاصطلاحية تبعا لما يريده العلماء من تعريفه.

فقد عرفه علماء التوحيد فقالوا : القرآن الكريم هو " **كلام الله النفسي القديم المتعلق بالكلمات الحكمية من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس**" .

وقصد علماء التوحيد بهذا التعريف بيان قدم كلام الله تعالى المنزل، لأن المراد بالكلام النفسي وجود المعنى كاملا متمكنا، ومرتبطا بالألفاظ التي لم تبرز للخارج .

أما علماء الأصول، والفقه، والأحكام فهم يعرفون القرآن الكريم بعدة تعريفات ، نستنبط منها حكما جامعا مانعا هو

" **القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، المتحدي به ، المعجز بأقصر سورة منه ، المكتوب في المصحف، المبدوء**

---

(١) لسان العرب ج١ ص ١٢٨ .

(٢) مختار الصحاح مادة قرأ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص ٥٠، ٥١ .

بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس " (١) .

وهذا التعريف يبين أن القرآن الكريم هو بعض كلام الله تعالى المنزل بلفظه ومعناه على رسول الله ﷺ ، فليس هو كلام الله كله ، وليس هو كلام الله المنزل على غير محمد ﷺ من الرسل والملائكة .

ويوضح التعريف أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وبلغه رسول الله ﷺ للناس بطرق متواترة لفظا وقراءة ، وثبت إعجاز القرآن بأن تحدى رسول الله ﷺ العرب أن يأتوا بأقصر سورة منه، ويثيب الله تعالى من يقرؤه ، وهو الذي يتعبد به في الصلاة، وقد طبعه عثمان رضي الله عنه ، وأحاطه بدفتيه .

ويلاحظ من التعريف أنه تضمن عناصر لابد منها في التعريف ، وهي أنه كلام الله المنزل على محمد ﷺ بلغة العرب، والمنقول بالتواتر، والمعجز بأقصر سوره، والمتعبد به ، .... وأما غير ذلك من العناصر فهي لزيادة التعريف ولا يضر حذفها .

كما يلاحظ أن علماء التوحيد يقصدون القرآن الكريم كله ، أما علماء الأصول والأحكام فإنهم يسمون كل آية قرآنا ، كما يسمون مجموع القرآن قرآنا، لأنهم يبحثون عن أدلة الأحكام ، والأحكام توجد في آية واحدة، كما توجد في مجموع الآيات، وتوجد في القرآن كله .

-٢-

ثبوت القرآن الكريم

أجمع العلماء المسلمون جميعا على أن القرآن الكريم ثابت بيقين، وأن العمل بأحكامه واجب، ولا يجوز العدول عن أحكام القرآن الكريم إلى أحكام

---

(١) مناهل الفرقان في علوم القرآن للزرقاني ج١ ص ٨ .

أخرى، وقد بينت الآيات اشتمال القرآن الكريم على سائر الأحكام الشرعية التي ترفع شأن الإنسان، وتحقق له العزة والكرامة، وتصبغ الحياة بصبغة الله تعالى .... يقول الله ﷻ:

- ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (١)
- ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢) .
- ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣)
- ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (٤)
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٥)

ويقول النبي ﷺ : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ، ويضع به آخرين) (٦) .

ويقول ﷺ : (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي) (٧) .

فهذه النصوص وأمثالها كثير تدل بوضوح على أن الله تعالى أنزل

---

(١) سورة الأنعام الآية : ٣٨ .

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٥٥ .

(٣) سورة النحل الآية : ٨٩ .

(٤) سورة الإسراء الآية : ٩ .

(٥) سورة فصلت الآيتين : ٤١ ، ٤٢ .

(٦)صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن - حديث : ١٣٩٥

(٧)المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب العلم، فأما حديث عبد الله بن نمير - حديث : ٢٨٨ .

القرآن الكريم ليكون شرعة ومنهاجا للناس، فهو أساس الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان .

وأمر الله تعالى رسوله ﷺ بإبلاغ الناس الوحي الذي نزل عليه، وحصر الرسالة في هذا البلاغ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ (١) ، وقد حفظ الله تعالى القرآن الكريم، وقدر له وسائل الحفظ العديدة ، فأمر الرسول ﷺ بكتابة ما كان ينزل عليه، وعين للكتابة عددا من الصحابة، وأمر ﷺ بكتابة القرآن الكريم وحده فقال ﷺ : **(لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)** (٢) .... وتلقى الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم من رسول الله ﷺ ، وقد تعهدهم ﷺ بالقراءة والحفظ، والعمل حتى تم حفظ القرآن الكريم مفرقا بقدر ما كان ينزل، ومجموعا بعد نزوله كله، وحفظه عدد وفير من الصحابة، أقلهم بالغون حد التواتر، ونقل القرآن الكريم عنهم متواترا في كل جيل إلى يومنا .

وفي يومنا هذا يحفظ القرآن الكريم ملايين المسلمين، ويدونونه في الأجهزة العديدة، ويذاع في عشرات الإذاعات، وتتكاثر معاهد العلم التي تهتم به، وتنشر ملايين المطبوعات في كل أرجاء العالم للمحافظة على القرآن الكريم، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ (٣) .

إن القرآن الكريم هو هو كما نزل من عند الله تعالى– لفظا وقراءة –

---

(١) سورة المائدة الآية : ٦٧ .

(٢)صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حديث : ٥٤٣٦

(٣) سورة الحجر الآية : ٩ .

والأمل في المسلمين أن يحفظوه، ويتعهدوه بالعمل والتطبيق .

ونصوص القرآن الكريم كلها وصلت إلينا بطريق التواتر المفيد للقطع، أما دلالتها على الأحكام فهي تنقسم إلى قسمين :

قسم دلالته على الحكم قطعية، وهي كل نص لا يحتمل إلا معنى واحدا، مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ (١) ، فلفظ الأربعة ، والثمانين لا يقبل التأويل ، ودلالته قطعية لذلك .

وقسم ظني الدلالة ، وهو كل نص يحتمل أكثر من معنى ، مثل قوله ﷻ : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (٢) ، فالقرء يسمى به الحيض، ويسمى به الطهر، ولذلك كانت دلالته على واحد منهما ظنية تحتاج إلى إجماع الفقهاء والعلماء، أو الاجتهاد لتكون حجة قطعية .

ونلاحظ أن اشتراط التواتر في تحمل القرآن الكريم يعني رد ما نقل بطريق الآحاد مثل ما جاء في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه ، فقد ذهب العلماء إلى أن رسول الله ﷺ كان يلقي ما ينزل عليه من القرآن الكريم على طائفة من المسلمين تقوم الحجة بقولهم ، ونقلوه رضي الله عنهم إلى من بعدهم تواترا ، ولم يخص به ﷺ واحدا من أصحابه .

-٣-

حجية القرآن الكريم

حجة القرآن الكريم ثابتة بذاته ومحتواه، فقد انزله الله تعالى على رسوله محمدا ﷺ تصديقا لرسالته، وتحدى النبي ﷺ به العرب وهم أهل

---

(١) سورة النور الآية : ٤ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢٨ .

الفصاحة، والبلاغة، فلما عجزوا عن الإتيان بأقصر سورة منه ثبت أنه كلام الله تعالى ، وثبت كل ما فيه من أحكام، ونظم، وسيبقى القرآن الكريم معجزا للخلق إلى يوم القيامة .

وللقرآن الكريم أوجه عديدة معجزة .... أهمها : -

أ- **اشتماله على كل الفصاحة والبلاغة في مفرداته ونظمه،** وهذا الوجه بارز في تناسق الحروف والكلمات، وجمال نظم الآيات، وموازنة الألفاظ للمعاني، والبيان الحسن، والبديع الجميل، يقول عنه الوليد بن المغيرة لقومه: **(والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا .**

والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته)(١)

وهذا الإعجاز يعرف بالإعجاز اللغوي ، وهو الذي قام عليه التحدي، فقد تحدى الله ﷻ بالقرآن الكريم العرب، وهم أهل الفصاحة، والبلاغة في أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، أو بمثل عشر سور منه ، أو بمثل أقصر سورة منه فعجزوا ، وثبت أن القرآن الكريم كلام الله تعالى .

ب-**اشتمال القرآن الكريم على أخبار غيبية** يعجز الإنسان عن العلم بها، فلقد أخبر الناس عن غيب الماضي، مثل أخبار الأنبياء، وأقوامهم، وأخبر عن غيب الحاضر في زمنه، كما حدث في ليلة الإسراء، وأخبر عن غيب المستقبل القريب، مثل قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ

---

(١) الاعتقاد للبيهقي - باب القول في إثبات نبوة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، حديث : ٢٥٤ .

أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ ﴾ (١)، وعن غيب المستقبل البعيد ، كما أخبر عن انتشار الإسلام في العالم ، وسقوط إمبراطوريتي الفرس والروم، وفتح القسطنطينية، وغير ذلك، وهو ما يعرف بـ" **الإعجاز التاريخي**" .

ت- **اشتمل القرآن الكريم على بعض القضايا التي توصل إليها العلم الحديث** ، مثل اختلاف بصمات الأصابع في قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾ (٢)، ونقص الأكسجين في طبقات الجو العليا في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥ ﴾ (٣) ، ومثل أخذ القمر نوره من الشمس في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ (٤) ، وهو ما يعرف بـ" **الإعجاز العلمي**" .

ث-**اشتمال القرآن الكريم على أصول الأحكام الشرعية** التي قام عليها الفقه الإسلامي ، وشرعت بها النظم، ووجد الناس فيها أحكاما لكل أعمالهم ، وأحوالهم في وقت نزول القرآن الكريم ، وفي كل الأوقات

---

(١) سورة الروم الآيات من ١ : ٣ .

(٢) سورة القيامة الآيتين : ٣ ، ٤ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٢٥ .

(٤) سورة يونس الآية : ٥ .

إلى يوم القيامة، وهذا ما يعرف بـ "**الإعجاز التشريعي**" .

ج- **بيان الجزاء المترتب على المخالفة الشرعية التي حرمها الله تعالى،** فالقرآن الكريم يحرم قتل النفس بقوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (١) ، ويجعل لمن خالف وقتل نفسا جزاءين ، **أحدهما دنيوي** وهو القصاص، **والثاني أخروي** وهو العذاب الأليم ، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (٢) ،... ، وهكذا لا نجد جرما إلا ونجد معه عقوبة دنيوية ، وعقوبة أخروية ، وإن وجدنا جرما لا يتضمن عقوبة أخروية فإنه يدخل في قوله ﷻ : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (٣) (٤) ، وهذا ما يعرف بـ" **الإعجاز العقابي**" .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٣٣ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٧٨ .

(٣) سورة النساء الآيتين : ١٣ ، ١٤ .

(٤) التشريع الجنائي في الإسلام ج١ ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

ـ ٤ ـ
أهم النظم الموجودة في القرآن الكريم

اشتمل القرآن الكريم على الأحكام النظرية لأفعال المكلفين ، وعلى سائر أحكام النظم الإسلامية ، وبعضها قطعي الدلالة على الحكم، وبعضها ظني الدلالة كما سبق بيانه ، وقد اشتمل القرآن الكريم على أحكام سائر النظم الكلية والجزئية، وأهمها ما يلي : -

١- **نظام الاعتقاد** ، وفيه بيان ما يجب على المكلفين من الإيمان بأركان العقيدة على الوجه الذي بينه القرآن الكريم ، وفصله من أحكام الدين، والإيمان بالملائكة، والكتب، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

٢- **نظام العبادات المحددة المشروعة** بما اشتملت عليه من أحكام تكليفية ونظم فرعية، حتى يقوم المكلف بعبادة ربه على الوجه المحدد شرعا.

٣- **نظم المعاملات المختلفة** ، بما تحتاج إليه من عقود، وتصرفات، وواجبات ، وهذه النظم تشمل المعاملات بين المسلمين ، وبينهم وبين غيرهم مما يحتاجون إليه في الحياة الدنيا .

٤- **نظام الأخلاق** ، حيث يعدد صور الأخلاق الكريمة ، ويوضح قيمتها وضرورتها للحياة الطيبة، وينهى عن الأخلاق المسترذلة .

٥- **نظام الدعوة إلى الله تعالى**، وهذا النظام يبين ضرورة وجود هيئة عامة تشرف على شئون الدعوة بين المسلمين وبين غيرهم ، ويوضح كيفية اختيار الدعاة، وكيفية تكوينهم، وتذليل العقبات أمامهم ، ورعايتهم ليكون أئمة الناس، ويحدد نظام الدعوة المنهج الذي يتبعه

الدعاة، وأن يقيموا دعوتهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدل بالحسن .

٦- **نظام التعليم**، حيث بيان أهميته، وحاجة المسلم إليه، وبيان منزلة المتعلم بالنسبة لغيره، ومنهج التعليم في حياة المسلمين .

٧- **نظام القضاء** ، وهذا يشمل كيفية اختيار القضاة ، ومسئولياتهم ، والصفات الواجبة فيهم، وأهمها الالتزام بأحكام الله تعالى .

٨- **نظم الأحوال الشخصية** ، وهذه تشمل نظام بناء الإنسان على وجه سوي يبدأ من الحمل به إلى وفاته .

كما تشمل نظام الأسرة ، وكيفية قيامها ، وحقوق كل منها .

كما يشمل نظام معالجة النشوز في الأسرة ، وطرق الفراق عند تعذر الإصلاح .

٩- **نظام الأعمال المدنية**، وهو يشمل المعاملات المدنية التي يحتاجها الناس مثل الإجارة، والتجارة، والضمان، والشركة، والوفاء .

١٠- **النظام الجنائي**، وهو يتعلق بالجنايات التي يرتضيها المكلف، وهي تدور بين القصاص، والحدود، والتعازير .

١١- **النظام الاقتصادي**، وهذا يتعلق بإظهار الموارد المالية والمصارف للدولة ، ويبين ما حل وما حرم من التصرفات المالية .

١٢- **النظام الدستوري** ، وهو يتعلق بحقوق الإنسان وواجباته ، وحريته في اختيار النظام السياسي الذي يريده .

١٣- **النظام الدولي**، وهو النظام الذي يبين علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول الأخرى في حالة السلم والحرب، ويتضمن تنظيم الجهاد، والدفاع عن الإسلام والمسلمين .

١٤- **نظام تربية المولود**، والعناية به في مراحل عمره حتى يصير عبدا صالحا، وهذا يعرف **بـ" النظام التربوي** ".

١٥- **نظـام العنايـة بالصـحة**، وتنظيم الطعـام والشـراب، والتـداوي مـن المرض، وهو ما يعرف **بـ** " **النظام الصحي** " .

١٦ – **نظام التعاون والتآخي بين المسلمين**، وهو ما يعرف **بـ" النظام الاجتماعي**" .

إن القرآن الكريم اشتمل على سائر النظم، وفصلها بإحكام ، وجاءت السنة فبينتها، وأزالت أي غموض يلحق بها ، ولذلك وجب تطبيق هذه النظم في الحياة العملية ، ووجب على المسلمين أن لا يقبلوا بغيرها .

يقول العز بن عبد السلام : معظم آي القرآن الكريم لا تخلوا من أحكام مشتملة على أعمال حسنة، وأخلاق جميلة، .... ثم من الآيات ما صرح فيه بالأحكام وهو كثير، ..... ومنها ما تؤخذ منه الأحكام بطريق الاستنباط ، أو بضميمة آية أو آيات أخرى (١)

ـ٥ـ
منهج القرآن الكريم في بيان أحكام النظم الإسلامية

نـزل القـرآن الكـريم بلغـة العـرب الـذين تميـزوا بالفصـاحة، والبلاغـة، وتحداهم الرسول ﷺ به، وثبت عجزهم أمامه من أوجه عدة، منها الفصاحة، في مفرداته ونظمه، وتميزه البلاغي في بيانه، وبديعه، واشتماله على الأحكام الشـرعية التـي توضـح للنـاس الصـراط المسـتقيم فـي العقيـدة والشـريعة، والأخلاق.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٢ ص٤٠ .

وقد استقبل الصحابة ﷺ القرآن الكريم استقبالا يليق به لما رأوا فيه من جمال العبارة، ودقة المعنى، وبيان الأحكام، والولوج إلى العقل والنفس والوجدان بطرق محببة جميلة .

ولذلك نجده يركز على بيان نظام الاعتقاد، ويبين أنه نظام رئيسي في الإسلام، لأنه يدعو إلى معرفة الله الواحد الأحد، الخالق لكل مخلوق، الموجد لكل موجود، ويخاطب العقل السوي، ويقدم له الأدلة الموجودة في نفس الإنسان، ومن حوله، وفي الكون القريب والبعيد، ويدور بهذه الأدلة مع جميع الناس وإن تغايرت بيئاتهم، واهتماماتهم، ...

ونجد القرآن الكريم يعيش مع الناس، ويقدم لهم البراهين المستفادة من البيئة التي يعيشون فيها، والمخلوقات التي يستفيدون منها، فيعرض لهم آيات البر والبحر، والأرض والسماء، والسهل والجبل، والحر والقر، والزرع والشجر، والأنعام والطير، والهوام والحشرات، وكل ما خلقه الله تعالى ، .... ليضع كل إنسان أمام الدليل المناسب له ليؤمن، ويتيقن من وجود الله الواحد الذي لا شريك له، ويسلم بسائر الصفات الواجبة له ﷻ .

وفي قضية العقيدة يتعدد بيان القرآن الكريم ، حيث نجد القسم ، وضرب المثل، وقص القصص، ورواية صور من الجدل لإثباتها بأدلتها ، ورد ما يخالفها حتى قال بعض العلماء: إن عدد آيات الأحكام الفرعية في القرآن الكريم خمسمائة آية(٥٠٠)، والآيات الأخرى نزلت للعقيدة وآياتها ، مع أن مجموع آي القرآن الكريم بلغت ستة آلاف وستمائة وستة عشر آية(١)

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٦٧، وقد ذكر السيوطي أن العلماء أجمعوا على أن سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة ، وأن القرآن الكريم مقسم إلى ثلاثين جزءا =

ولا يمنع أن بعض القصص يشير إلى بعض الأحكام بطريقة ضمنية .

فلما ثبتت العقيدة أخذت آيات القرآن الكريم تنزل بحسنها، وبلاغتها، وفصاحتها، وهي تدعو للأحكام ، فنجدها تصدر الحكم الواجب الذي أمر الله تعالى به في صورة جميلة ليكون مقبولا، وتختار له أحيانا لفظ كتب، وتبين أنه أمر لهم ولغيرهم ممن سبقوهم، وتربط طاعة الأمر ببيان أثره في الدنيا والآخرة .

ومن أجل استقامة الإنسان على الأمر تأتي كلمات القرآن الكريم متضمنة للأمر، وسببه، وكيفية تطبيقه في كلمات قليلة، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ (١)، حيث نجد أن الأمر بإيتاء اليتامى أموالهم في الآية يتضمن بيان أن المال مالهم، ومعه السبب الداعي على وجوب المحافظة عليه وهو أنهم ضعفاء باليتم، فالمال مالهم، وقد يطمع فيه غيرهم، فأتوهم حقهم، ومثال ذلك أيضا ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (٢) ، ففيها الأمر بالعبادة مع المحافظة على حقها من إقامة للصلاة ، وإيتاء للزكاة .

وكثيرا ما يأتي الأمر مصاحبا لما ييسر القيام به ، وذلك بتوضيح الجزاء الكبير المترتب على العمل الإيماني، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ

== وستين حزبا، .... ولكنهم اختلفوا في عدد الآيات ، فبعضهم ذكر أنها ستة ألاف آية (٦٠٠٠) ، ويعد ذكر أنه ستة آلاف وثلاثمائة واثنان وأربعون آية (٦٣٤٢) ، وسبب الاختلاف في عدد الآيات أن رسول الله ﷺ كان يقف على رءوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة .

(١) سورة النساء الآية : ٢ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٤٣ .

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ (١)، فقد جاء الأمر بطاعة الله ورسوله مصاحبا لما يؤدي إليه من مثوبة في الآخرة، ودخول الجنة.

وحينما يكون الأمر بالترك يصحبه كذلك ما يشجع على الترك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾ (٢) ، وقوله ﷻ :﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾ (٣) ، وقوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ ﴾ (٤) ، وقوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨ ﴾(٥)

وبهذا يحيط القرآن الكريم آيات النهي والتحريم بما يجعل المنهي عنه مكروها مقيتا، فالقرآن الكريم يبين الحكم بأسلوب محكم، ووجه حسن بصورة معجزة لا يقرب منها فكر بشر .

إن القرآن الكريم مليء بأوجه البلاغة في أسلوبه، وألوان البيان في مفرداته، والوضوح في نظمه حيث التناسق، والتوازن، ووضوح المعنى، والربط بين الحكم ودليله الضمني أو المصرح به .

---

(١) سورة النساء الآية : ١٣ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٠ .

(٣) سورة النساء الآية : ١٤ .

(٤) سورة الإسراء الآية : ٣٢ .

(٥) سورة الإسراء الآيات من ٣٦ : ٣٨ .

يقول الشيخ الزرقاني : " أسلوب القرآن الكريم الرائع ليس في عرض الأحكام فقط، بل هو رائع في كلماته، وتراكيبه، فأسلوب القرآن الكريم متناسق في كل ما يعرض له من إنشاء ، وأخبار ، وإظهار ، وإضمار، وتكلم وغيبة، وخطاب، ومضي وحضور، واستقبال ، وأسمية وفعلية، وامتنان ووصف، ووعد ووعيد، ..... وغير ذلك ، ولا عجب في هذا فهو الكتاب المنزل من عند رب العزة الذي تكفل بحفظه إلى يوم الدين (١) .

---

(١) مناهل العرفان ج١ ص ١٥٥ وما بعدها بتصرف .

المصدر الثاني
السنة النبوية

السنة في اللغة هي الطريقة والسيرة حسنة كانت أو سيئة (١) .

أما في الاصطلاح فلها تعريفات عدة عند العلماء تبعا لتخصصهم، وأهدافهم من السنة النبوية.

فعلماء الحديث يعرفون السنة **بـ(أنها ما أثر عن النبي ﷺ من قول ، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خُلقية أو خِلقية ، أو سيرة سواء قبل البعثة، أو بعدها)** (٢) .

وهذا التعريف لعلماء الحديث يشمل كل ما يتصل بالنبي ﷺ من سيرة، وشمائل، وأقوال ، وأفعال، وأحوال ، سواء أثبت حكما شرعيا، أو لم يثبت .

وعلماء الأصول يعرفون السنة بأنها **(ما نقل عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير)** (٣) ، **وهم بذلك يوضحون** قواعد الأدلة الموجودة في السنة النبوية ، ويخصون السنة بما يعد دليلا شرعيا من قول ، أو فعل ، أو تقرير .

فالقول: ما قاله النبي ﷺ في مختلف المواقف مما يتعلق بأحكام التشريع مثل قوله ﷺ : **(إنما الأعمال بالنية ، وإنما لامرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن هاجر إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)**(٤) .

---

(١) لسان العرب ج١٣ ص ٢٢٥ مادة " لسن " .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور : مصطفى السباعي ص٦٠ .

(٣) علم أصول الفقه للأستاذ / عبد الوهاب خلاف ص٣٦ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب الحيل، باب في ترك الحيل - حديث : ٦٥٦٩ .

والفعل : ما كان يفعله النبي ﷺ من أعمال العبادات مثل الوضوء والصلاة، وأداء المناسك، وسائر أفعاله التعبدية ، يقول النبي ﷺ موجها إلى اتباع فعله : **(صلوا كما رأيتموني أصلي)** (١) ، ويقول ﷺ : **(خذوا عني مناسككم لعلي لا أراكم بعد عامي هذا)** (٢) .

والتقرير : هو ما وافق النبي ﷺ عليه من أفعال أصحابه ﷺ بقوله الصريح، أو بسكوته عنه، ورضاه به، ومثال التقرير القولي ما رواه خالد بن الوليد ﷺ قال : **(أتي النبي ﷺ بضب مشوي ، فأهوى إليه ليأكل .**
فقيل له : إنه ضب ، فأمسك يده .
فقال خالد : أحرام هو ؟
قال ﷺ : " لا ، ولكنه لا يكون بأرض قومي ، فأجدني أعافه " .
فأكل خالد ورسول الله ﷺ ينظر) (٣) .

فلقد أقر النبي ﷺ بقوله أن أكل لحم الضب حلال .

ومثال التقرير السكوتي ما رواه ابن عمر ﷺ قال:**(قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب : " لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة " فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يرد منا ذلك ، فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم)** (٤) ، فأقر النبي ﷺ بسكوته اجتهاد كل فريق .

---

(١) صحيح ابن حبان - كتاب الصلاة، باب الأذان - حديث : ١٦٧٩ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، جماع أبواب الحج والعمرة، باب الإيضاع في وادي محسر، حديث : ٨٩٤٣

(٣) صحيح البخاري - كتاب الأطعمة، باب الشواء - حديث : ٥٠٩٠ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب الجمعة، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، حديث : ٩١٨ .

ويجعل الفقهاء السنة مسمى لحكم شرعي مع الفرض والإباحة، وغيرهما، ويرون أنها تقابل الفرض والواجب من الأحكام .... وقد تطلق عندهم في مقابل البدعة .

والذي يهمنا في هذا المدخل هو تعريف الأصوليين، لأنهم الذين يبحثون في حجية السنة النبوية ، ويبينون مكانتها، ودورها ، ومنهجيتها في الدلالة على الأحكام الشرعية .

ولذلك سنوجز بعض الأحكام المتعلقة بها عند الأصوليين كما فعلنا مع القرآن الكريم، وأهم هذه الأبحاث ما يلي : -

-١-
حجية السنة النبوية
في إثبات الأحكام

السنة هي المصدر الثاني للتشريع ، وحجيتها في الدلالة على الأحكام ثابتة مقررة بتقرير القرآن الكريم لها ، وقد أثبت القرآن الكريم حجية السنة بعدة أوجه منها : -

١- بين القرآن الكريم – أولاً – مقام رسول الله ﷺ في الناس ، فقال تعالى : -

- ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١)
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾(٢)

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٦٤ .

(٢) سورة الجمعة الآية : ٢ .

والآيات تبين أنه ﷺ بعث للناس ليتلوا عليهم القرآن الكريم ، ويعلمهم الصراط المستقيم، ويبينه لهم بسنته القولية، والعملية، والتقريرية ، وهي التي سمتها الآيات بالحكمة والذكر .

يقول الإمام الشافعي: ذكر الله تعالى الكتاب وهو القرآن الكريم، وذكر الحكمة بعده، فسمعت من أرضى من أهل العلم يقول: الحكمة سنة النبي ﷺ (١) .

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن المراد بالحكمة السنة، وهي ما اطلع عليه رسول الله ﷺ من أسرار دينيه، وأحكام تشريعيه (٢) .

٢- أمر الله تعالى رسوله ﷺ ببيان القرآن الكريم بسنته، فقال تعالى:

- ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٣)
- ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٤) .

وهذه الآيات صريحة في أن رسول الله ﷺ مكلف ببيان معاني القرآن الكريم ، وتفسير ما خفى منه للناس، وهذا التفسير لا يكون إلا بسنته ﷺ القولية، أو العملية، أو التقريرية، وقد قام النبي ﷺ بهذا البيان على أكمل وجه، ولولا هذا البيان النبوي لبقيت أعمال شرعية جاء بها القرآن الكريم غير معلومة وغير واضحة ، مثل الصلاة ، فقد فرضها الله تعالى بنص الكتاب،

---

(١) الرسالة للشافعي ص٤٥ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع ص٦٢ .

(٣) سورة النحل الآية : ٤٤ .

(٤) سورة النحل الآية : ٦٤ .

واوجب القيام بها في أوقاتها إلا أنه لم يتحدث عن صفتها ، وهيأتها، وركعاتها، وأوقاتها، وفروضها، ونفلها .... فجاءت السنة النبوية وفصلت كل ما يتصل بالصلاة بالقول ، والفعل، والتقرير.

مثال البيان القولي ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ دخل المسجد ، فدخل رجل ، فصلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد النبي ﷺ عليه السلام ، فقال: " ارجع فصل فإنك لم تصل " .**

فصلى ، ثم جاء ، فسلم على النبي ﷺ فقال ﷺ : " ارجع فصل ، فإنك لم تصل " ثلاثا .

فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ، فما أحسن غيره ، فعلمني .

قال ﷺ : " إذا قمت إلى الصلاة ، فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها) (١) .

ومثال البيان الفعلي ما رواه مسلم عن أبي الزبير، أنه سمع جابر رضي الله عنه يقول : **(رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول : " لتأخذوا مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)** (٢) .

ومثال البيان التقريري ما حدث يوم قريظة في صلاة العصر (٣) .

والعبادات كلها وسائر المعاملات تحتاج إلى بيان السنة، وأيضا فإن أغلب

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الأذان، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه حديث : ٧٧٢

(٢) صحيح مسلم - كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا - حديث : ٢٣٦١

(٣) انظر ص ١١٨، وفيها بيان دور السنة في أفعال المكلفين، وهنا بيان دورها مع الصلاة خاصة.

أحكام القرآن الكريم نزلت كلية ، ولابد لها من أحاديث السنة لاستخراج أحكام فرعية للأحداث الجديدة مستفيدين بالقواعد العامة الموجودة في القرآن الكريم.

٢-أمر الله تعالى بطاعة رسول الله ﷺ ، فقال تعالى : -

- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾ (١)
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ (٢) .
- ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾ (٣) .
- ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾(٤)
- ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ﴾ (٥)
- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ (٦)

---

(١) سورة النساء الآية : ٦٤ .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٣١ .

(٤) سورة النساء الآية : ٨٠ .

(٥) سورة أل عمران الآية : ٣٢ .

(٦) سورة النساء الآية : ٦٥ .

- ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ (١) .

والآيات عديدة وهي تأمر المسلمين بطاعة رسول الله ﷺ في كل ما جاء به من أحكام، لأنه ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (٢) .

وبهذا ثبتت حجية السنة في دلالتها على الأحكام ، وصارت مع القرآن الكريم طريقا لإثبات حجية المصادر الأخرى .

-٢-

ثبوت السنة ودلالتها على الأحكام

تنقسم السنة من حيث نقلها عن النبي ﷺ إلى قسمين هما : -

القسم الأول : السنة المتواترة ، وهي السنة التي رواها عن رسول الله ﷺ جمع عن جمع يمنع العقل تواطأهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه، ومن هذا القسم السنن العملية في العبادات المشروعة ، فقد نقلها عن رسول الله ﷺ كل من رآه من الصحابة، ونقلها عن الصحابة الجمع الغفير ، إلى أن دونت في المؤلفات ، ووصلت إلينا ، وغيرها من شعائر الدين وقضاياه .

والمتواتر في السنة قطعي الثبوت ، والعمل به واجب سواء كان تواترا باللفظ ، أو بالمعنى، أو بهما معا .

القسم الثاني : السنة الآحادية، وهي ثلاثة أنواع ، هي : -

أ- **الحديث المشهور:** ويسمى الحديث المستفيض، وهو الذي لم يوجد فيه التواتر في طبقة الصحابة ، ووجد فيمن بعدهم من الطبقات،

---

(١) سورة الحشر الآية : ٧ .

(٢) سورة النجم الآيتين : ٣ ، ٤ .

ومثاله حديث (**إنما الأعمال بالنية**) فقد رواه عن رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونقله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع كثير من التابعين يمتنع توافقهم على الكذب ، ورواه عن التابعين جمع مثلهم، وهكذا .

ومعنى عدم التواتر في طبقة الصحابة أن يرويها اثنان، أو ثلاثة من الصحابة لا يبلغون حد التواتر بخلاف الطبقات التالية .

ب- **الحديث العزيز** ، وهو ما يرويه اثنان عن مثلهم في كل طبقة .

ت- **الحديث الغريب** : ما يرويه واحد في أي طبقة في السلسلة .

ويقبل من أحاديث الآحاد الصحيح بنوعيه، والحسن بنوعيه، ويرد منها الحديث الضعيف الذي لم يرتق إلى الحسن لغيره (١) .

-٣-

أوجه بيان السنة للقرآن الكريم

أنزل الله تعالى القرآن الكريم ، وقدر حفظه، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (١) ، والمراد بالذكر في الآية القرآن الكريم ،

---

(١) الحديث الصحيح : هو الحديث المتصل الإسناد ينقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذا ولا معللا، وينقسم إلى صحيح لذاته ، وإلى صحيح لغيره إذا قل الضابط في أحد رواته ، وجبر بغيره .

والحديث الحسن لذاته : وهو الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته، غير انه ليس مغفلا كثير الخطأ فيما يرويه ، ولا هو متهم بالكذب في الحديث ، ولم يثبت عليه فسق ، والحسن لغيره أن يكون الراوي من المشهورين بالصدق والأمانة غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح ، ويقصر عنهم في الحفظ والإتقان (انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص١٠، ٢٧، ٢٨ ، وقواعد في علوم الحديث للتهاوني ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ .

فقد حفظه الله تعالى بأوجه كثيرة فبقي في المسلمين كما نزل من عند الله تعالى بلفظه، وقراءته، ودلالاته اللغوية والتشريعية ، وتأكد الناس من وعد الله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢) .

وأوحى الله تعالى بالسنة إلى النبي ﷺ لتبين القرآن الكريم، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣) ، فقد أوحى الله تعالى بالسنة إلى رسوله ﷺ ليبين القرآن الكريم من عدة أوجه:

أولاً : تؤكد السنة ما جاء في القرآن الكريم ، ومثال ذلك أن القرآن الكريم أمر بأركان الإسلام ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(٤) ، وتؤكد السنة ذلك بقوله ﷺ : **(بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان)** (٥) .

وهذا الوجه كثير في القرآن والسنة ، لأنهما من منبع واحد ، ويؤكد أحدهما الآخر .

---

(١) سورة الحجر الآية : ٩ .

(٢) سورة القيامة الآيات من ١٧ : ١٩ .

(٣) سورة النحل الآية : ٤٤ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٤٣ .

(٥) صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " بني الإسلام " - حديث رقم : ٨ .

ثانياً : تفسر السنة ما جاء مجملا في القرآن الكريم ، وذلك مثل تفصيلاتها الواسعة عن الصلاة، والصوم، والحج، والأحكام العملية للمكلفين، وتظهر بذلك أهمية السنة لتفصيل الأحكام التي أجملها القرآن الكريم .

ثالثاً : توضح السنة النبوية المشكل من القرآن الكريم ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ (١) ، فقد فهم بعض الصحابة من الآية أن المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود حقيقتها، وكانوا يحتفظون عند نومهم بخيط أبيض وآخر أسود ليعلما الفجر حين يتضح لونهما لمن ينظر إليهما، وجاءت السنة وبينت أن هذا الفهم عير مراد ، وأن المراد بالخيطيين بياض النهار ، وسواد الليل .

رابعاً: تخصص السنة عموم القرآن الكريم إذا أريد به التخصيص، ومثاله أنه لما نزل قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ (٢) تألم الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه ، فطمأنهم رسول الله ﷺ ، وبين لهم أن المراد بالظلم في الآية الشرك مستدلا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ (٣) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ (٤) ، فقد جاءت الوصية في الآية عامة في الأولاد، فقال ﷺ : **(لا وصية لوارث)**(٥) فخصص عموم القرآن الكريم .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٨٢ .

(٣) سورة لقمان الآية : ١٣ .

(٤) سورة النساء الآية : ١١ .

(٥) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني – كتاب البيوع، باب الوصايا – حديث : ١٥٧٥

خامساً: تقيد السنة النبوية الأحكام المطلقة التي جاء بها القرآن الكريم، إذا كان المراد بها التقييد ففي قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ (١) ، فبينت الآية أن حد السارق قطع اليدين مطلقا ، فجاءت السنة وقيدت هذا الإطلاق، وبينت أن المراد اليد اليمنى في السرقة الأولى، واليد اليسرى في السرقة الثانية، وأن القطع يكون عند الرسغين .

ومثله أيضا قوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾ (٢) فقد جاءت الوصية في الآية مطلقة المقدار، فقيدها ﷺ بالثلث، ومنع ما زاد عن الثلث، وذلك في قوله ﷺ : **(الثلث والثلث كثير)** (٣) .

سادساً: الإتيان بأحكام لم تأت في القرآن الكريم أصلا ، مثل حكم المسح على الخفين، وزكاة الفطر، فقد جاءت السنة بأحكامهما دون القرآن الكريم .

وقد توسع الفقهاء وعلماء الأصول في مباحث هذه الوجه، للاستفادة بها في الوصول للحكم الشرعي الصحيح .

---

(١) سورة المائدة الآية : ٣٨ .

(٢) سورة النساء الآية : ١١ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث - حديث : ٢٦١١ .

المصدر الثالث
الإجماع

الإجماع في اللغة الاتفاق، يقال أجمعت الجماعة على كذا أي اتفقت ، ويطلق ويراد به التصميم، تقول : أجمعت رأيي على كذا أي صممت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ (١) .

ويعرفه الأصوليون بأنه اتفاق علماء أمة محمد ﷺ في عصر من العصور على أمر أو حكم من أحكام الدين .

وقيل هو : اتفاق المجتهدين من الأمة الإسلامية في عصر من العصور بعد النبي ﷺ على حكم شرعي في أمر من الأمور العملية (٢) .

ومعنى التعريفين متقارب، لأن التعريف الأول يؤكد أن العلماء هم أصحاب الإجماع إلا أن **التعريف الثاني أولى بالاعتبار**، لأنه يحدد العلماء بالمجتهدين الذين يتفقون جميعا مع اختلاف مواطنهم في وقت واحد على حكم الحادثة التي وقعت، ويصرحون بحكمهم بعد النظر في المسألة، ولا فرق في أن يكون المجتهد معروفا أو خاملا .

والعلماء أصحاب الإجماع مجتهدون في إطار الأصول والمبادئ الشرعية، وإجماعهم يعتمد على البراهين الشرعية، والقواعد الدينية الثابتة .

والحديث عن الإجماع بمعناه عند الأصوليين يحتاج إلى المباحث التالية :-

---

(١) سورة يونس الآية : ٧١ .

(٢) أصول الفقه للدكتور خلاف ص٤٥ .

-١-
حجية الإجماع

الإجماع حجة شرعية واجب الاتباع، ثبتت حجيته بالكتاب والسنة .

أما الكتاب فهو قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ (١) وأولوا الأمر هم أولوا الشأن بين الناس ، والشأن عام يشمل الأمر الديني، والأمر الدنيوي .

فإن أريد به الأمر الديني فأولو الأمر هم المجتهدون أهل الحل والعقد، وأصحاب الفتوى ...

وإن أريد به الشأن الدنيوي ، فأولو الأمر هم الملوك، والأمراء، فإذا اجمع أهل الرأي على أمر كان إجماعا يجب طاعتهم فيما اتفقوا عليه، ولذا يجب رد الأمر إلى هؤلاء ، لأنهم الأعرف بشئون الدين ، يقول الله تعالى : ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾(٢)، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ (٣) ، ووجه الاستدلال بهذه الآية أن الذم والوعيد يشمل من يشاقق الرسول، ومن يتبع غير سبيل المؤمنين فهما متلازمان ، وكل منهما يلازم الآخر ، والوعيد يعمهما معا ، وهذا يدل على أن من خرج على إجماع المؤمنين يكون باتباع سبيل غير سبيلهم ، وهذا مذموم .

---

(١) سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٢) سورة النساء الآية : ٨٣ .

(٣) سورة النساء الآية : ١١٥ .

وقد وردت أحاديث تثبت حجية الإجماع .... منها : -

- قوله ﷺ : **(لن يجمع الله أمتي على ضلالة أبدا)** (١) .
- وقوله ﷺ : **(إن الله أجاركم من ثلاث خلال : أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا ، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، وأن لا تجتمعوا على ضلالة)** (٢) .
- وقوله ﷺ:**(لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك)** (٣) .
- وقوله ﷺ : **(إن الله لا يجمع أمتي - أو قال أمة محمد ﷺ - على ضلالة أبدا ، ويد الله على الجماعة)** (٤) .
- وقوله ﷺ : **(عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن)** (٥)

وتعود مشروعية الإجماع إلى أن المجتهدين جميعا يعودون في موافقاتهم إلى دليل شرعي ثابت لديهم، وبذلك كانت أدلة الإجماع قطعية شرعية .

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب العلم ، حديث : ٣٥٨

(٢) سنن أبي داود - كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها - حديث : ٣٧٢٩ .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ : " لا تزال طائفة " - حديث : ٣٦٤٢ .

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم،كتاب العلم، حديث : ٣٦١

(٥) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث : ٢١٤٢

-٢-
أنواع الإجماع

الإجماع نوعان:

النوع الأول : الإجماع الصريح ، وهو تصريح جميع المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر من العصور بالحكم الشرعي الذي اتفقوا عليه، وسمي هذا الإجماع بالصريح لأنه يعتمد على إبداء كل مجتهد رأيه صراحة بالقول أو بالفعل المعبر على رأيه الصريح .

والإجماع الصريح قطعي الدلالة يجب الأخذ بحكمه، ولا تصح مخالفته.

النوع الثاني: الإجماع السكوتي، وهو أن يسكت بعض المجتهدين ولم يبد رأيه بالموافقة أو المخالفة .

وقد ذهب الجمهور إلى أن الإجماع السكوتي ليس بحجة لعدم اعتدادهم بالسكوت .

وذهب الأحناف إلى اعتماد السكوت إذا كان معه ما يدل على أن المجتهد موافق لغيره، وما سكت إلا لعذر ألم به ، ويرون أنه يفيد الحكم الظني (١) .

-٣-
ترتيب الإجماع بين الأدلة الشرعية

يقع ترتيب الإجماع في الأدلة الشرعية في المرتبة الثالثة، بمعنى أنه لا يؤخذ به إلا بعد عدم وجود الحكم في القرآن الكريم (المصدر الأول) وعدم وجوده في السنة النبوية (المصدر الثاني) .

وقد ثبت هذا الترتيب للإجماع بعمل الصحابة بعد رسول الله ﷺ .

---

(١) أصول الفقه الإسلامي للدكتور / عبد الحي عبد العال ص٢٦٨ .

فلقد روي عن ميمون بن مهران ﷺ قال : (**كان أبو بكر ﷺ إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم ، فإن لم يجد في الكتاب ، نظر : هل كانت من النبي ﷺ فيه سنة ؟ فإن علمها قضى بها ، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال : " أتاني كذا وكذا ، فنظرت في كتاب الله ، وفي سنة رسول الله ﷺ ، فلم أجد في ذلك شيئا ، فهل تعلمون أن نبي الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ " .**

فربما قام إليه الرهط فقالوا : " نعم ، قضى فيه بكذا وكذا " ، فيأخذ بقضاء رسول الله ﷺ " .

قال جعفر وحدثني غير ميمون أن أبا بكر ﷺ كان يقول عند ذلك : " الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا ﷺ " ، وإن أعياه ذلك دعا رءوس المسلمين وعلماءهم ، فاستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به " .

قال جعفر : وحدثني ميمون أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يفعل ذلك ، فإن أعيا أن يجد في القرآن والسنة ، نظر : هل كان لأبي بكر ﷺ فيه قضاء ؟ فإن وجد أبا بكر ﷺ قد قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلا دعا رءوس المسلمين وعلماءهم ، فاستشارهم ، فإذا اجتمعوا على الأمر قضى بينهم) (١) .

وعن شريح ، أنه كتب إلى عمر ﷺ يسأله عن كيفية القضاء فكتب إليه عمر ﷺ **(أن اقض بما في كتاب الله ، فإن لم يكن في كتاب الله**

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي – كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي ، حديث رقم : ١٨٩١٠

فبسنة رسول الله ﷺ ، فإن لم يكن في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله ﷺ ، فاقض بما قضى به الصالحون ، فإن لم يكن في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله ﷺ ، ولم يقض به الصالحون ، فإن شئت فتقدم ، وإن شئت فتأخر ، ولا أرى التأخر إلا خيرا لك ، والسلام عليكم) (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : **(أتى علينا زمان لسنا نقضي ولسنا هنالك ، وإن الله قد قدر من الأمر أن قد بلغنا ما ترون ، " فمن عرض له قضاء بعد اليوم ، فليقض فيه بما في كتاب الله عز وجل، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله ، فليقض بما قضى به رسول الله ﷺ ، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله ، ولم يقض به رسول الله ﷺ ، فليقض بما قضى به الصالحون ، ولا يقل إني أخاف ، وإني أرى ، فإن الحرام بين ، والحلال بين، وبين ذلك أمور مشتبهة ، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك)**(٢)

فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما قدموا الكتاب والسنة، وبعدهما يكون الإجماع ، وعلى هذا الترتيب ذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وهم من كبار الصحابة ، ورأيهم هو الصواب .

-٤-
إمكانية الإجماع

ذهب قليل من العلماء إلى استحالة الإجماع في العصور المتأخرة لتباعد الديار، واستحالة معرفة آراء جميع المجتهدين، واختلاف المجتهدين

---

(١) السنن الصغرى - كتاب آداب القضاة، الحكم باتفاق أهل العلم - حديث : ٥٣٢٨

(٢) سنن الدارمي - باب الفتيا وما فيه من الشدة، حديث : ١٧٠

وتأثرهم بالبيئة والسياسة ، والظروف الاجتماعية ، واستحالة التواصل الدائم بين المجتهدين ، وهو ضروري لمعرفة آخر ما يراه المجتهدون .

وذهب هؤلاء إلى أن المجامع الفقهية المتعددة التي أقامها العلماء في عدد من البلدان الإسلامية حيث يضم كل مجمع عددا من المجتهدين ، ويترك عددا آخر ، وهو خاضع في الغالب لسياسة الدولة التي تتبناه، وتنفق عليه، وهذا يدل على استحالة الوصول للإجماع بمفهومه الشرعي .

وذهب جمهور الفقهاء والعلماء إلى إمكانية الإجماع في العصر الحديث ، لأن التواصل اليوم يعرف بجميع المجتهدين من العلماء في العالم كله ، وصار التقاء المجتهدين ممكننا ، فقد سهل السفر، وأمكن للمجتهد أن يرسل رأيه بوسائل عديدة ، ويمكن للعلماء اتخاذ مكان يتمتع بالحرية يجمعهم، أو يجمع آراءهم .

كما أن وجود علماء يفتون فيما تريده السلطة السياسية الحاكمة أمر واضح، ومن الممكن عدم الاعتداد برأيهم، وعدم عدهم من المجتهدين، وإجماع غيرهم هو المعتد به .

المصدر الرابع
القياس

القياس هو المصدر الرابع الذي اعتمده الأصوليين، وعرفوه بأنه " **انتقال العقل من حكم معلوم بعلته في الأصل إلى حكم فرع معلوم لاشتراكهما في العلة** " (١) .

وقد ثبت حجية القياس بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة .

أما القرآن الكريم ففيه يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ (٢) ووجه الاستدلال في الآية قوله تعالى : ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ ، لأن الرد يكون بالنظر والاستدلال ، والاستنباط من الكتاب والسنة ، والاجتهاد في إطار ضوابط القرآن والسنة .

وقد ضرب القرآن الكريم الأمثال، وقص القصص، وأمرنا بالنظر فيها ، والاعتبار بها ، فقال تعالى : ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾ (٣) ، وقال ﷻ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣ ﴾(٤) وهذا الاعتبار يكون بالقياس عند اتحاد العلة في الفرع والأصل .

---

(١) أصول الفقه الإسلامي للدكتور / عبد الحي عبد العال ص٢٧٣ .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٣) سورة الحشر الآية : ٢ .

(٤) سورة العنكبوت الآية : ٤٣ .

وأما السنة فقد ثبت أن رسول الله ﷺ أقر معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن على الاجتهاد ، ولا يكون الاجتهاد إلا بالقياس فقد سأل النبي ﷺ معاذا حين أرسله إلى اليمن (**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟** "

قال : أقضي بكتاب الله .

قال ﷺ : " فإن لم تجد في كتاب الله ؟ " .

قال : فبسنة رسول الله ﷺ .

قال ﷺ : " فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله ؟ " قال : أجتهد رأيي ، ولا آلو .

فضرب رسول الله ﷺ صدره ، وقال : " الحمد لله الذي وفق رسول ، رسول الله لما يرضي رسول الله) (١) .

ومن السنة أيضا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : **(إن أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج ، أفأحج عنها ؟**

قال ﷺ : " نعم ، حجي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟

قالت : نعم .

فقال ﷺ : " اقضوا الله الذي له ، فإن الله أحق بالوفاء) (٢) .

** ** ** **

هذه هي الأنواع الأربعة المجمع عليها في كونها مصادر لسائر أعمال المكلفين التي يسيرون على هديها ، وينظمون بها حياتهم .

---

(١) سنن أبي داود - كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء - حديث : ٣١٣٦

(٢)صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب من شبه أصلا معلوما بأصل مبين - حديث : ٦٩٠٥

المطلب الثاني
المصادر الغير مجمع عليها

أورد الأصوليون والفقهاء عددا من المصادر الشرعية التي اختلفوا فيها، فمنهم من اعتمدها وأخذ بها، ومنهم من تركها ولم يعتمد عليها، ولذلك اعتبر الفقهاء دلالتها على الأحكام الشرعية دلالة ظنية ، ... وأهم هذه المصادر ما يلي : -

-١-
الأصل

ويراد بالأصل ما يكون عليه حال الناس مع أمر ليس له حكم في شرع الله تعالى، ويسميه الأصوليون " أصل الحال" .

وقد اختلف الأصوليين في أصل الحال .

فقال البعض : الأصل فيه الإباحة، لقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (١) ، فقد خص الله تعالى الإنسان بمخلوقاته في الأرض، فكل ما في الأرض مباح للإنسان ما لم يرد دليل يغير هذه الإباحة إلى حكم آخر

وقال آخرون : الأصل فيه التحريم لقول النبي ﷺ : **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)** (٢) .

فالدعوة إلى ترك ما فيه ريب وشك يفيد أن الأصل في الأشياء التحريم ما لم يرد حكم يفيد الوجوب أو الندب، أو الإباحة .

والقول الراجح : هو القول بأن الأصل الإباحة إذا كان الأمر نافعا مفيدا، والتحريم إذا كان ضارا ، وهذا الرأي يجمع بين قوله تعالى :﴿خَلَقَ

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٩ .

(٢) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب البيوع، باب بيع المضطر - حديث : ١٤٦٧

لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (١) ، وقولـه ﷺ : (**لا ضــرر ولا ضــرار**) (٢) ، ويجعل الحديث تخصيصا لعموم الآية .

والنص لا يفيد حكما جديدا، وإنما يعيد المكلف إلى ما كان عليه الأصل.

ـ٢ـ
الاستصحاب

الاستصحاب، وهو الحكم بثبوت أمر في الزمن الثاني بناء على ثبوته في الزمن الأول لعدم وجود ما يدعو وما يصلح للتغيير ، ومثاله ما استدل به الشافعي من أن الخارج من غير السبيلين غير ناقض للوضوء (٣) ، وقد قال به الشافعية، وبعض الأحناف وذهب أغلب الأحناف إلى عدم اعتباره دليلا .

ـ٣ـ
الاستقراء

الاستقراء : وهو تتبع الجزئيات ليحكم بحكمها على أمر كلي يشملها ...

والاستقراء نوعان: تام وناقص،**أما التام** فهو حجة قطعية عند جميع الفقهاء **وأما الناقص** فلم يأخذ به الجمهور، وأخذ به البعض ، ومنهم الفخر الرازي، وذهب الإمام البيضاوي إلى أن الاستقراء الناقص يفيد الحكم الظني(٤) .

ـ٤ـ
المصالح المرسلة

المصالح عبارة عن المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم طبق ترتيب معين .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٩ .

(٢)المستدرك على الصحيحين للحاكم – كتاب البيوع، وأما حديث معمر بن راشد – حديث : ٢٢٨٦

(٣) أصول الفقه للدكتور عبد الحي عبد العال ص٢٩٥ .

(٤) المرجع السابق ص٢٩٦ .

يقول الإمام الغزالي : والأصل في المصالح المرسلة جلب مصلحة ، أو دفع مضرة، وتحقيق مقاصد الدين في حفظ حاجات الناس (١) .

والمصالح المعتبرة في الشرع ترجع إلى أحد أمور خمسة هي : -

أ- **حفظ الدين** : وذلك يكون بتمتين الإيمان بالله ﷻ ، والتذكير بآياته، وإقناع العقل بها، والمحافظة على الإسلام بالدعوة إليه، ومنع الصد عن الدين، وحماية الحرية لأداء مناسك الدين وشعائره .

ب-حفظ النفس، ويكون بحمايتها **من كل تلف حسي**، كحمايتها من القتل والجروح، وتنقص الأطراف، **أو تلف معنوي** كحماية الحرية، وتحقيق الكرامة، والمحافظة على الإنسانية، والقيم الخلقية الفاضلة، وذلك يتم بتشريع العقوبات لرد أي عدوان مثل القصاص، والحدود، والتعازير .

ت-حفظ العقل : وذلك بالأمر بما ينميه كالعلم، والتذكر، والنظر، وتحريم ما يضره مثل المسكرات، ، والكبت والاستبداد .

ث-حفظ النسل، وذلك يكون بتشريع الزواج، والمحافظة على الولد، ورعايته ابتداء من الحمل إلى نهاية العمر ، وبذلك يتحقق للآباء أعظم ما يرجون ، ويستمر النوع الإنساني في الزيادة والاستمرار .

ج-حفظ المال : ويكون بتحليل جهة كسبه بعمل أو بدون عمل، وبيان كيفية إنفاقه ، وتحريم العدوان عليه من صاحبه أو من غيره .

ولابد للمصلحة من دليل شرعي ظاهر أو خفي ، وليس من المصلحة ما يراه المنافقون ، وضعاف الإيمان من تحليل السفور ، وإباحة شرب الخمر، وحل الربا لمخالفتها مقاصد الشرع .. ومقصد الشارع دائما هو جلب المنفعة،

---

(١) أصول الفقه للدكتور : عبد الحي عبد العال ص ٢٩٩ .

ودرء المفسدة في كل أحكامه، وفيما سكت عنه الشارع .

وقد انقسم العلماء في الحكم بالمصلحة إلى ثلاث فرق :

الفرقة الأولى : قالوا بالمصلحة ، وضبطوها بالضوابط الشرعية .

الفرقة الثانية : أخذوا بظاهر النصوص ولم يأخذوا بالمصلحة المرسلة وهم أهل الظاهر .

الفرقة الثالثة : وهي التي تلمست المصالح من النصوص وأخذت منها عللها ومقاصدها، وضبطت المصلحة بعلة القياس، ولذلك اشترطوا أن تكون المصلحة مقررة في الشرع، وداخلة في مقصوده، وأن لا تفوت مصلحة ثابتة

ـ٥ـ

العرف

والعرف هو ما تعارف عليه جمهور الناس في مجتمع ما حتى صار عادة لهم، وشاع فيهم، واستقر في حياتهم وعقولهم، وقبلته طباعهم .

والعرف نوعان هما :

الأول : العرف العام ، وهو العرف الذي يتعارف عليه أهل البلاد جميعا، ويسلمون به مثل قيام الصناعة، والزراعة، وإنشاء الجمعيات الخيرية، وتأسيس الملاجئ، ودور الأيتام .

الثاني: العرف الخاص، وهو العرف الذي يوجد بين جماعة ما، أو إقليم ما، أو بلد ما دون غيرهم .

والعرف الذي يكون دليلا شرعيا، وهو العرف الذي لا يخالف دليلا شرعيا، ولا يفوت مصلحة، ولا يجلب مفسدة مثل التعارف على تأخير بعض المهر، ودفع المال في التعليم ... وكل ما يخالف حكما شرعيا عرف فاسد لا يعمل به .

ـ٦ـ
الاستحسان

الاستحسان معناه اللغوي طلب الجمال والحسن.

وقد اختلف الفقهاء في تعريفه الاصطلاحي

فهو عند الأحناف والحنابلة قياس خفي في مقابلة قياس جلي مثل الحكم بطهارة سؤر الطير قياسا على طهارة سؤر الصقر والباز، وهذا سؤر خفي قاسوه على قياس جلي، لأن سؤر الصقر والباز ثبت طهارته بقياس حكمه على طهارة سؤر الطير المقاس على سؤر البهائم وهو قياس جلي.

وهو عند الشافعية استحسان المجتهد الأمر بعقله وليس له دليل عندهم.

وهو عند المالكية إيثار ترك الدليل ، والترخيص في تركه، لأنه لا يعد دليلا عندهم .

والاستحسان في معناه العام واجب (١) إذا كان يؤدي إلى حسن أفضل من الحسن الأول بدليل قوله سبحانه وتعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ (٢) .وقوله ﷻ : ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ (٣)

وليس بحسن ما يخالف الدليل الشرعي لأنه سوء يجب رده، والأصوليون بصورة عامة يحصرون بحثهم في استثناء جزئية من حكم ثابت بدليله لحسن شرعي يرونه في هذه الجزئية (٤) .

---

(١) إرشاد الفحول للشوكاني ص٢٤١ .

(٢) سورة الزمر الآية : ١٨ .

(٣) سورة الزمر الآية : ٥٥ .

(٤) علم أصول الفقه للدكتور عبد الوهاب خلاف ص٨٢ .

-٧-
سد الذرائع

الذريعة هي الوسيلة التي توصل شيئا إلى شيء آخر ، والسد يعني رفع الوسيلة والانتهاء منها .

وسد الذرائع في الاصطلاح هو كل ما يتخذ وسيلة لشيء آخر بصرف النظر عن كون الوسيلة أو المتوسل إليه متاحة أو محرمة، وهذا معنى شامل للمتفق عليه ، والمختلف فيه، لأن الطريق إلى المباح مباح، والطريق إلى الحرام حرام .

والمراد بسد الذرائع كدليل "**رد الوسائل التي يغلب الظن إنها تؤدي إلى الفساد** "، ومثاله البيع الذي يتخذه البعض وسيلة للربا، كان يبيع السلعة بثمن قليل لا يتناسب مع الثمن المطلوب بقصد الاستتار في البيع، وهو في الحقيقة يقصد الربا .

ويسمى الفقهاء سد الذرائع بالمعنى الخاص، وهو الذي اختلف فيه الفقهاء، فقد رجح أبو حنيفة والشافعي جانب الإذن به ولم يحرما الفعل استتباعا للأصل الذي لا يغير إلا بقيام دليل على وجود الضرر فيه.

أما مالك واحمد فقرروا حرمة الفعل ، وبطلان العقد للاحتياط .

- ٨ -
شرع من قبلنا

يتصل شرع من قبلنا بالشريعة الإسلامية من عدة أوجه :

الوجه الأول : أن ينزل النص بتشريع أمر سبق تشريعه في الأمم السابقة مثل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (١) ، وهذا شرع واجب بالنص عليه في الإسلام .

الوجه الثاني: أن ينزل في الإسلام تحريم ما كان مباحا في الشرائع الأخرى مثل قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (٢) وهذا نص في التحريم لا يتغير .

الوجه الثالث : أن لا يرد في الإسلام حكم لعمل ما ، وله حكمه الوارد في الشرائع السابقة ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٣)

وقد اعتبر الأصوليون هذا الشرع شرع لنا لنزوله في القرآن الكريم منسوبا إلى الأمم السابقة من غير نهي عنه، أو أمر به، وهذا يشير إلى مشروعيته، ومثال ذلك أيضا ما ورد في شأن ناقة صالح عليه السلام ، وهو قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٤)

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٣ .

(٢) سورة الأنعام الآيتين : ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٤٥ .

(٤) سورة القمر الآية : ٢٨ .

وقد اختلف الفقهاء في اعتبار ذلك شرعا لنا:

فقال المالكية : إنه دليل شرعي يلزم العمل به للنص على وقوعه في الأمم الأخرى بلا نهي عنه .

وقال الشافعية والأحناف : إنه لا يعد دليلا .

وللإمام أحمد فيه روايتان، احدهما القول به، والأخرى عدم القول به (١).

-٩-

قول الصحابي

يرى جمهور المحدثين أن الصحابي هو من لقى النبي ﷺ مؤمنا به ولو للحظة واحدة، ولو كان أعمى، ومات على الإسلام.

وهؤلاء يرون أن الصحبة تتم باتصال نور النبوة بمن يلتقي به ﷺ بلا وقت أو رؤية .

وذهب بعض العلماء إلى اشتراط أن يقيم المسلم مع رسول الله ﷺ مدة ليكون صحابيا، ليسمع، ويرى ، ويعلم، ... إلا أن الرأي الأول هو الأولى .

والمراد بقول الصحابي عند الأصوليين مذهبه في المسألة التي تكون محل الاجتهاد، ولم يرد فيه نص ولا إجماع .

وقد اتفق العلماء على حجية قول الصحابي لعدالته، وضبطه، وشهادة رسول الله ﷺ في قوله ﷺ : **(خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)** (٢) ، ومن المحتمل أن الصحابي نقل مذهبه عن رسول الله ﷺ .

وذهب بعض العلماء إلى عدم الأخذ برأي الصحابي.

---

(١) أصول الفقه للدكتور عبد الحي عبد العال ص٣١٦ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الشهادات ، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد – حديث رقم : ٢٥٣٠ .

يقول الشافعي : هم رجال ونحن رجال، وكيف آخذ برأي من حاججني فحججته .

ويقول الشوكاني : والحق أنه ليس بحجة، فقد أرسل الله تعالى للأمة نبيا واحدا معصوما، وجميع الأمة مأمورون بإتباعه على قدر واحد (١) .

*** ...*** ...***

هذه هي المصادر الشرعية المتفق عليها ، والمختلف فيها ، وبها تكون شريعة الإسلام ونظمه جميعا ، ولا يصح وصف نظام بالإسلام وهو مخالف لحكم شرعي أثبتته الأدلة الشرعية .

وأي استفادة بالنظم الأخرى في الهيئة، ومنهجية العمل لا شيء فيه بشرط عدم مخالفة حكم شرعي .

---

(١) أصول الفقه الإسلامي للدكتور / عبد الحي عبد العال ص٣١٨ .

الفصل الخامس

مقاصد النظم الإسلامية

مقاصد النظم الإسلامية

تهدف النظم في جملتها إلى وضع الأفراد، والجماعات، في خطط منظمة، ومناهج عملية محددة لتحقيق غايات مقصودة.

فالنظام الشيوعي يتخذ من أقوال الماديين وعلى رأسهم "ماركس" مصدرا لتطبيق الشيوعية، وتحقيق المقاصد التي نادي بها واضعو النظرية المادية .

وهكذا سائر الأنظمة مع تنوعها، وتعددها، فلكل منها غايات ومقاصد تظهر شيئا فشيئا لتصل في النهاية إلى الغايات الكبرى التي ينتجها النظام .

والإسلام لم يخرج عن هذا الإطار ، فمع إنه إلهي المنبع فهو بشري التطبيق، وقد أنزله الله تعالى لتحقيق المصلحة التامة للإنسان في كل عمل، لتحقيق السعادة والخير في الدنيا وفي الآخرة.

وتظهر هذه المقاصد في كل عمل إسلامي، وترتقي مع ارتقاء الأعمال حتى تصل إلى الغايات الكبرى، وتحقيق سعادة الدنيا والآخرة .

وقد جعل الله تعالى لكل عمل نية ، وربط بين ظاهر الإنسان وباطنه، ورتب النتائج على النوايا، فقال ﷺ : **(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)** (١) ، ولهذا صار لكل عمل مقصد وغاية، وهذا يجعل كل عمل في جملته نظاما جزئيا يندرج مع غيره في نظام كلي .

وفي هذا الفصل سنتناول مقاصد النظم الإسلامية للفرد في كل مرحلة من مراحل عمره، وللجماعة في مراحل حياتها، ومختلف أنشطتها ، كما سنتناول المقاصد العامة في الدنيا والآخرة .

وسوف يشتمل هذا الفصل على المباحث التالية : -

---

(١) صحيح البخاري - باب بدء الوحي / بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الشيخ، حديث : ١ .

المبحث الأول

المقاصد الجزئية العاجلة للنظم الإسلامية في الحياة الدنيا

المقاصد الجزئية هي المقاصد التي يراها الإنسان في كل مراحل عمره، وفي أيام حياته كلها .

وهذه المقاصد تتحقق لكل عناصر المجتمع المسلم، ولسائر الناس الذين يستظلون بمظلة الإسلام، ويعيشون نظامه، ومقاصده .

وأهم هذه المقاصد ما يلي :

ـ أولاً ـ

تحقيق حاجات الناس

لا يستطيع الإنسان أن يعيش وحده منعزلا عن الآخرين ، فهو في حاجة لغيره في غذائه، وكسائه، ولباسه، ومسكنه، وإقامته، وسفره، .... وغير ذلك، كما أن غيره محتاج إليه كذلك، ولذلك قالوا : " **الإنسان مدني بطبعه** ".

إن الله تعالى خلق الإنسان وركبه على صورة تحتاج إلى الغذاء، والكساء ، والسكن، والسفر، والعمل، والتعلم، والتداوي، ... وغير ذلك ، .... وهو لا يستطيع أن يفعل كل ما يحتاج إليه، ولابد له من زارع يزرع، وصانع يصنع، وتاجر يبيع، ومهندس يبني، وحائك يحيك، ومعلم يعلم، وطبيب يعالج، ... وبهذا لا يستطيع الفرد أن يحقق بذاته كل ما يحتاج إليه، ولابد له من الاستفادة بعمل غيره في سائر الحاجات التي يصنعها المتخصصون فيها

يقول الله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٣٢ .

وتدل الآية على أن الله تعالى خلق الناس متغايرين في إعمالهم، وطاقاتهم، ومهنهم ليستعمل بعضهم بعضا في مصالحهم، ويستخدموهم في مهنتهم، ويشغلونهم في حاجاتهم حتى يتعايشوا، ويترافدوا، ويصلوا إلى تحقيق الكفاية.

وقد قام العمران البشري على التعاون الاجتماعي الذي يقوم به الناس جميعا، وهو سر خطاب الله تعالى الموجه للجماعة، يقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)، ويقول ﷻ :﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (٢) ، ويقول ﷻ :﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

ويدل الواقع على ضرورة اجتماع الناس في مواجهة ضرورات الحياة في خطة تكاملية يقوم فيها كل فرد ، وكل هيئة بما تقدر عليه في حدود طاقاتها وتخصصها .

وكان لابد للناس من خطة منظمة منعا للتضارب والصراع، وتيسير أمور المعاش في هدوء، وهو ما جاء الإسلام به وشرعه .

وقد اهتمت الحضارات العديدة بوضع مناهج للعمل، فوجد الزراع، والعمال، والمهندسون، والأطباء، والتجار، ورجال الأعمال، ... وغيرهم في كافة جوانب العمران البشري،، وأدى الاهتمام بأمور المعاش إلى أن تضع كل حضارة نظاما يصون الأعمال الشاملة لكافة جوانب المعاش .

---

(١) سورة الجمعة الآية : ١٠ .

(٢) سورة الملك الآية : ١٥ .

(٣) سورة التوبة الآية : ١٠٥ .

وقد اعتنى الله تعالى بأمر الإنسان منذ وجوده على الأرض، فانزل ﷻ شريعته لآدم عليه السلام وبنيه، ليقيموا أعمالهم بشريعة الله تعالى، وقال ﷻ لآدم عليه السلام : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (١) .

وأخذت آيات الله تعالى تنزل على رسول الله ﷺ، ومنها قوله ﷻ :

- يقول الله تعالى على لسان هود عليه السلام : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٢)
- ويقول الله تعالى على لسان صالح عليه السلام : ﴿ * وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (٣) .
- ويقول الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام : ﴿ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (٤) .

وكان رسل الله – عليهم السلام – يبلغون رسالات الله تعالى إلى أقوامهم ، ويعرفونهم بالطريق المستقيم الذي يحقق المنهج الإلهي، وعنه يقول

---

(١) سورة طه الآيتين ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) سورة هود الآية : ٥٢ .

(٣) سورة هود الآية : ٦١ .

(٤) سورة هود الآية: ٨٤ .

الله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (١) .

وختم الله تعالى الرسالات برسالة محمد ﷺ ، فانزل الله تعالى شريعته المتضمنة لمنهجه، ونظمه، متميزة بتمامه، وكماله، وثباته .

وقد تضمنت النظم الإسلامية دعوة العباد إلى العمل كل في مجاله، مع الاستقامة على أحكام الله تعالى، وبهذا يعمل الناس ويتحرك الجميع في أطر متكاملة، وفي كافة المجالات الحياتية، وبذلك يشبع الفرد حاجاته، ويساهم في نهضة الأمة، وتقدم الجماعة.

ومنعا لأي خلل اجتماعي جاءت النظم الإسلامية بأصولها الثابتة التي لا تتغير أبدا ، فهي هي على الزمن كله كما أنزلها الله تعالى، حتى يسير الناس عليها، ويسعدون بها، ويتعاونون على القيام بكافة جوانبها لتحقيق حاجاتهم جميعا على الوجه الصحيح.

إن الإسلام يتعبد الناس بشريعة الله ﷻ ، ولو قام المسلم بواجبه لظهر الإتقان ، والدقة في كافة جوانب المعاش، يقول النبي ﷺ : (**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**) (٢) ، .... وعندئذ سيجد المكلف كل حاجاته من عمل أخيه، ونتاجه، وبذلك تتحقق الكفاية، وتوجد حاجات الناس

ـ ثانياً ـ
تحقيق الأمن والسلام

يتمنى الناس جميعا أن يعيشوا حياتهم متمتعين بالأمن الشامل في كل جانب، حيث الأمن في الطعام، والشراب، والمسكن، والحركة، والعمل،

---

(١) سورة المائدة الآية : ٤٨ .

(٢)المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني، كتاب البيوع، باب الصناع وكسبهم، حديث : ١٣٨٨

والتفكير، والبحث، والقرار، والإيمان، وبهذا الأمن يرضى الإنسان، ويطمئن، ويستفيد .

إن الإنسان لا يكفيه الأمن في جانب دون سواه، لأن طبيعة الإنسان مكونة من عناصر عدة ترابطت ، وتكاملت ، وأمدت فطرة الإنسان بكل ما تحتاجه من غير قصور أو تزيد ، وبكل دقة وعناية .

إن الإنسان مكون من بدن، وعقل، وروح تلاقت وامتزجت ، وكونت بأمر الله تعالى إنسانا ....

إن الإنسان ليس هو الجسم الذي نراه ونلمسه خاليا من الروح والعقل، وإنما هو ثلاثية متحدة، ولكل واحدة منها دورها في تحقيق الفطرة .

لقد لجأ العلماء الماديون إلى أحد جوانب الإنسان، واستغرقوا في دراسته، وإشباع حاجاته، وحسبوا أنهم بذلك صنعوا إنسانا آمنا مطمئنا ، إلا أن الواقع الذي يراه الناس ليس كذلك ، ... فكم نرى إنسانا أشبع بدنه، وملك أموالا، وأرضى غرائزه المادية ، وصار شيخا لذرية واسعة، أو سلطانا على جماعة كبيرة، نراه يعيش قلقا مضطربا خائفا ، وقد يقتل نفسه لأنه أهمل إشباع العقل والروح.

وكم نرى أناسا أهملوا أبدانهم وأرواحهم، وعاشوا يفكرون بعقولهم ، ويصلون بها إلى نظريات علمية ، وآراء فلسفية ، ومخترعات نافعة، ومع ذلك لا يشعرون بسعادة، ولا يرون الأمان ؟

وكم نرى من أناس أغرقوا حياتهم في التعبد، والتنسك، والزهد، والترفع عن الماديات والمعقولات ، وأهملوا المادة، ورأوها رجسا لابد من البعد عنه، ومع ذلك يعيشون صراعا بين الجسد والروح وينتابهم الكسل والكبت والعجز.

أما الإسلام فهو يعامل الإنسان بكل ما في فطرته ، ويشرع لها جميع حاجاتها، ويوجهها إلى ما يشبعها ويرضيها .

لقد خلق الله تعالى الإنسان من طين، وقال للملائكة: ﴿ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ (١) فوفر له المأكل والملبس، والمأوى، ويسر له العمل، وطلب المعاش، وتعمير الأرض، ... ووضع في هذا الجسد الطيني روح الله، وقال للملائكة :﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٢) ، وبذلك اتحدت الروح في الجسد، وتولد منهما عقل ينظر ويدبر، وفهم يحلل ويستنبط، ويقرر ، وبذلك نشأ الإنسان بفطرته ذات الأبعاد الثلاثة التي يتكون منها في اتحاد وتماسك ، وتداخل.

لم يصر المخلوق إنسانا إلا بعد تحقيق عناصر فطرته كلها، ولذلك شرع الله تعالى النظم الإسلامية لإشباع هذه العناصر في تكامل معجز لا يقدر عليه إلا الخالق الصانع، المشرع لما صنع، وهو الله ﷻ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (٣) ، والصانع دائما يعلم دقائق صنعته، ويعلم أسرارها وخفاياها، فإذا شرع لها أمرا، أو قدر لها حالا أو وضع لها منهجا، فهو إقناع لعقله، وإشباع لروحه، وغذاء لعواطفه في دقة الصانع المكين، يقول ﷻ : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ (٤)

---

(١) سورة ص الآية : ٧١ .

(٢) سورة ص الآية : ٧٢ .

(٣) سورة الملك الآية : ١٤ .

(٤) سورة ق الآية : ١٦ .

وقد انزل الله تعالى شريعة الإسلام شاملة منظمة، تصلح الإنسان في ذاته، ومع الجماعة، ويطبقها الإنسان في صورة نظم جزئية أو كلية .

يرى الإسلام أن جوانب الإنسان تعمل متعاونة، وقد يظهر بعضها أحيانا، إلا أن غيره لا ينفصل عنه، فاليد تعمل وتتحرك إلا إنها متصلة بالبدن كله، يوجهها العقل لإشباع البدن، واستقرار العقل ، وسكون الروح، والمهمة هي تنشيط المجتمع، وتنمية الحياة، ....

إن ساعة العبادة ليست هيام روح خالصة، وإنما هي حركة جسم، وحركة عقل، وانطلاق روح، ....

والصلاة تظهر هذه الحقيقة في أعمال بدنية، وتأملات عقلية، واتصال روحي بالله تعالى .

وأي وقت يخلد العقل فيه للنظر والتأمل لا ينقطع عن العمل البدني، وليس بعيدا عن سبحات الروح .

وسائر النظم الإسلامية تؤكد هذا الترابط في الإنسان، فالإنسان يحرث الأرض، ويبذر الحب، ويسقي الزرع، وينتظر الثمار من الرب، ويسمي الله إذا أكل أو شرب، ويزكي مما تخرجه الأرض ويساهم بماله في سبيل الله ﷻ

إن الإسلام لا يعالج نظاما مستقلا عن مجموع حاجات النفس البشرية، ولا ينادي به بعيدا عن بقية النظم، فليس في الإسلام نظام مادي لا صلة له بالروح، ولا نظم روحية بعيدة عن المادة .

فتشريعات الإسلام المادية من زواج وطلاق، وإرث وتعليم ، وإدارة، واقتصاد، وكسب، ونماء، وجهاد، وسعي تقوم على أساس العقيدة، وترتبط بتعاليم الله تعالى التي جاءت بها الشريعة، وتوجه إلى تحقيق العبودية الكاملة لله رب العالمين .

وتشريعات الإسلام الروحية لا تفصله عن التفكير العقلي في آيات الكون والحياة، ولا تبعده عن الاستفادة بالمكونات المادية في هذا الوجود المخلوق، فهو يستنشق هواءه، ويشرب ماءه، ويتحرك في جوانب الأرض، ويتصل بإخوانه من المؤمنين الصالحين .

والنصوص الشرعية تؤكد هذه الحقيقة، وهي توجه الإنسان، يقول ﷻ :

- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(١)
- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ﴾ (٢) .
- ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧ ﴾ (٣) .
- ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ (٤) .
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ (٥) .
- ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الملك الآية : ١٥ .

(٢) سورة محمد الآية : ٢ .

(٣) سورة محمد الآية : ١٧ .

(٤) سورة الذاريات الآيتين : ٥٧ ، ٥٨ .

(٥) سورة الانفطار الآيات من ٦ : ٨ .

(٦) سورة طه الآيات من ١٢٣ : ١٢٦ .

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي : **(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا .**

يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم .

يا عبادي كلكم جائع ، إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم .

يا عبادي كلكم عار ، إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم .

يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم .

يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي ، فتنفعوني .

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئا .

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ، ما نقص ذلك من ملكي شيئا .

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر .

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) (١) .

ويقول النبي ﷺ : **(لو أنكم توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا)** (٢) .

---

(١) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم – حديث : ٤٧٧٩ .

(٢) سنن ابن ماجه – كتاب الزهد، باب التوكل واليقين – حديث : ٤١٦١ .

إن الإنسان حين يطبق النظم الإسلامية ، وتعيش بها الجماعة المسلمة يتحقق له عمليا الأمن والسلامة والرضى، لأن المسلم سيقوم بعمله، ونشاطه في البيت وخارجه وفق تعاليم الله تعالى، مع استحضار التقوى والخشية في كل عمل وقول، ويرضى بقدر الله له، فقد سلم أمره لله تعالى ، وعاهده على الرضا بقضائه وقدره .

فمن أركان الإيمان (**أن يؤمن بالقدر خيره وشره**) ، وبذلك يأمن ويرضى، يقول الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١)

وعليه أن يصدق في الاتباع، ويخلص في الطاعة ، ويفكر فيما يقوم به، ويدع التدبير لله تعالى فهو العليم الخبير، وهو العزيز الحكيم .

والتسليم بقدر الله تعالى، والرضا بما نزل به إيمان وتقوى، لأن الإنسان محدد بحدود عدة تمنعه من اكتشاف الغيب بصورة مطلقة، ولذا كان الرضا بالقدر، والتسليم بما يكون، وعدم اليأس والقنوط قضية أساسية يجب الالتزام بها ، والإيمان بلوازمها ، .... فالإنسان محدود عاجز، والله محيط قوي، والإنسان لا يعلم غيبا، والله هو العليم الخبير .

إن النظم الإسلامية تحقق هذا الرضا، فالفرد فيها مؤمن، والجماعة معها مستقيمة، والحاكم منصف أمين، والقضاء عادل سوي، ومع هذه الجوانب تقوم النظم الإسلامية بدورها، ويعيش الإنسان راضيا، آمنا في سربه ، معافى في بدنه ، معه قوت يومه، ومكرم في إرادته، عزيز في حياته .

---

(١) سورة الحديد الآيتين : ٢٢ ، ٢٣ .

ـ ثالثاً ـ

يسر الأداء والعمل

خلق الله تعالى الإنسان ولم يتركه يعيش في الأرض عبثا، وإنما حدد له عمله، وشرع له الزواج والتناسل، ووضح دوره مع زوجه وولده، وكلفه بالتعاون مع الجماعة الكبيرة والصغيرة ، ومع الناس أجمعين .

وتحقق النظم الإسلامية للإنسان التكامل الذاتي ، والانخراط مع الأهل والمجتمع، وتدعوه إلى أن يكون إيجابيا في نشاطه وحركته .

وتحقق النظم الإنسانية للإنسان الأمن، والهدوء والرضى، وفي نفس الوقت تحثه على الإيجابية الإنسانية ليعمل ويسعى ، يقول الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ (١) ، وتدعوه إلى الصالح من الأعمال والأقوال، والتناصح خلال حياته في الدنيا ، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ (٢) .

وتوضح له الجزاء الحسن المترتب على العمل الصالح، يقول الله تعالى:

- ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝١٦٠ ﴾ (٣) .
- ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة العصر كاملة .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٦٠ .

(٤) سورة الليل الآيات من ٥ : ١١ .

- ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ (١) .
- ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ ﴾(٢)

ولم تكتف النظم الإسلامية بجانب حياتي معين، وإنما نظمت سائر الجوانب التي يحتاجها الفرد، وتحتاجها الجماعة، وعلى المكلف أن يقوم بالعبادات المشروعة المحددة، وبعد ذلك يختار من الأعمال ما يتفق مع طاقاته وفطرته في إطار الأعمال التي يحتاجها المجتمع كله بلا مشقة أو حرج، وبذلك ينهض المجتمع في كافة مستوياته، وفي جميع الأعمال التي يحتاجها، يقول الله تعالى : -

- ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٣)
- ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٤) .

وبهذا ينهض المجتمع، ويقوى بمنهج الله تعالى، ويستقيم على نظمه المشروعة، ويتعاون المكلفون في كافة الجوانب.

إن الإسلام يشرع لكل جانب، ويحقق الأمن للإنسان، ويدعوه إلى بذل طاقاته في أعمال تناسبها، وبذلك تعمر الأرض، ويتحقق الخير، ويستفيد كل مكلف من إخوانه، وتستفيد الأمة عملا جماعيا واسعا، وتتحقق خلافة الله في الأرض بمنهجه سبحانه وتعالى.

وقد أوجب الله تعالى العمل، وأمر الإنسان به، وفضل العاملين على

---

(١) سورة الزلزلة الآيتين : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الجن الآية : ١٦ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

(٤) سورة الحج الآية : ٧٨ .

الكسالى، والمجاهدين على القاعدين، يقول الله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ (١)

وبهذا تحقق النظم الإسلامية غاية أساسية في حياة المسلم، وهي التعبد بالسعي والعمل، والمساهمة في تحقيق الخير لنفسه، وأهله، وللمجتمع كله .

وقد جعل الله تعالى العمل عبادة بالنية، **وفي ذلك يقول النبي ﷺ :**

- عن أبي ذر رضي الله عنه **(أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم.**

قال ﷺ: " أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة .

قالوا: يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟

قال : " أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) (٢) .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **(قال رسول الله ﷺ : " كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، يعدل بين الاثنين**

---

(١) سورة النساء الآيتين : ٩٥ ، ٩٦ .

(٢)صحيح مسلم،كتاب الزكاة،باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف،حديث: ١٧٣٦

صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة) (١) .

إن الكيان البشري بأفراده أولا، وبمجموعه ثانياً ثروة عجيبة تملك من التأثير ما نراه في حياة اليوم، فقد وصلت البشرية بكيانها إلى القمر، وإلى الأجواء العليا، وإلى اختراع العجيب في كافة الجوانب، واكتشفوا العديد من الآيات الدالة على وجود الله تعالى، وإثبات قدرته، ... إلا أن البشرية قد انحرفت في مسارها، فوجهت هذه المكاسب إلى احتلال بلاد الغير، وإلى تحكم في مصائر الآخرين، وإلى اضطهاد للإنسان بسبب دينه، وفكره، وإلى معاداة الله تعالى في أرضه، وإلى كراهية للإسلام وصد الناس عنه، وهو الدين الحق ، ولولا حماية الله تعالى لدينه وحفظه له لتمكن أعداؤه منه، يقول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٢) .

وواجب الكيان البشري بأفراده ، وبمجموعه أن يقدروا ذواتهم، ويبذلوا طاقاتهم في كل عمل صالح مشروع، ويتدبروا في الآيات ليؤمنوا بالله، ويخلصوا في الطاعة والانقياد ...

ويمكن لكل إنسان عاقل أن يعبد الله تعالى ، ويستمد من ربه هداه، ويفكر في أسرار الكون، وقوانينه، ويعمل بجوارحه وعقله لترقية الحياة، ونصر دين الله ﷻ، فقد خلقه الله تعالى، وأعطاه الاستطاعة في جوارحه، وعقله، وروحه

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه – حديث : ٢٨٤٨

(٢) سورة الصف الآيتين : ٨ ، ٩ .

ليسعد بها في إطار منهج الله تعالى .

ومن الحقائق الثابتة عمليا أن تنشيط الإنسان لطاقات فطرته يؤدي إلى مضاعفة العمل، وكثرة الإنتاج، والوصول إلى أفكار وأعمال كانت مجهولة، لأن الروح تتمدد، وتلتقي مع الأرواح الأخرى ، والعقل يتأمل ويستنبط، والجوارح تعمل، وتبحث عن حلول للمشكلات التي تواجهها، وبسبب هذا تتوسع المعارف كل يوم ، ويوجد الجديد في كل مجال، وتتحقق التيسيرات العديدة في أداء العبادات، وتطبيق النظم بين الناس .

لم يبق الحج على ناقة وجمل، وإنما وجدت السيارات، والقطارات، والطائرات .

ولم يكلف الإنسان بالبحث عن الماء في الترع والبرك، وإنما صار الماء يأتيه حيث هو في أوعية وصنابير .

ولم يبق المسلمون يستعملون مقياس الظل مع الشمس لمعرفة الوقت، وإنما وجد الفلك والعلم، وظهرت الساعات المصنوعة.

إن الله تعالى خلق الإنسان وأودع في فطرته النمو والتوسع، فهو كالبئر يكثر ماؤه كلما ظهرت له عيون، وهذا هو الواقع الذي عاشت فيه الأمة الإسلامية الأولى، فلقد كانت قبل الإسلام أمة ضائعة منقسمة إلى قبائل عدة يسودها التنازع والاختلاف، وكانت تصرف طاقاتها في أعمال لا تفيد فطرة، ولا تنفع في شيء، فلما جاء الإسلام وأخرجها من جاهليتها وضلالاتها، وحول حياتها إلى مقتضيات تشبع الفطرة الفردية والجماعية، وأودع فيها الإيمان بالله تعالى ، فتحررت من عقالها، واستقامت على شريعة الله ونظمه، ونشطت في كل اتجاه، وانتشر الإسلام في ربوع الدنيا .

وقد وجد الإنسان المؤمن الذي يعبد الله، ويعمل بالمشروع، ويحرص على مصلحة الآخرين، ويطبق كل ما يكلف به من رسول الله ﷺ .

ووجدت الأمة التي أخرجها الإسلام للناس، تبني ولا تهدم، ترفع ولا تخفض، وتصنع الخير والسعادة في أي مكان وصلت إليه بعدما كان موطنا للضياع والفساد .

ونشط المسلمون في كل اتجاه مادي أو معنوي، فكان منهم العلماء والزهاد، والمجاهدون والفاتحون، وظهرت فيهم نظم الإسلام وتطبيقاته العملية

وعرفت الدنيا كلها أن المسلمين في الزمن الأول وحتى اليوم هم خير الناس الذين أوجدهم الله تعالى على الأرض لهداية الناس، ووضعهم على المنهج المستقيم .

وأثبت الواقع أن العلماء الأول هم العلماء، وفقهاؤهم هم الفقهاء ، وقادتهم هم القادة، ونظامهم هو النظام وحضارتهم هي الحضارة ، وصار للعلم التجريبي فقه وسبيل .

والإنسان المسلم عليه في كل وقت أن يستغل طاقاته الفطرية التي أعطاها الله إياها إلى أقصى مدى ممكن، وأن يقدر نعم الله عليه في ذاته، فلا يكفر بها أو بجزء منها .

إن الإنسان المسلم متميز بإسلامه الذي آمن به، فقد التزم بطاعة الله ﷻ في مظهره، ونشاطه، وعباداته، وخلقه، ومقاصده ليتسق مع دين الله تعالى الذي نظم له جوانبه كلها .

إن من الإيمان أن يستخدم المسلم طاقاته الروحية في الاتصال بالله تعالى ، والفناء في حبه وعباداته، واستمداد الطريق من هديه وقوته، لترتقي

نفسه من حضيض المعصية إلى سمو الطاعة ، والاتصال بالملاء الأعلى ، والانطلاق بهذه الروح الصافية إلى حب الناس، وحب إيصال الخير للجميع.

ومن الإيمان أن يستخدم الإنسان طاقاته العقلية في كشف أسرار الكون، ومعرفة قوانينه، والتعرف على سنن الله في الحياة، والاستفادة من ذلك في تقوية الروح، وحسن الطاعة .

ومن الإيمان استخدام الطاقة الحيوية ، وبذل الجهد المادي في عمارة الأرض، ومعرفة ما أودع الله تعالى فيها من أرزاق، ومداومة السعي والعمل، يقول النبي ﷺ : **(إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)** (١) .

وعلى هذا يظهر ما تحققه النظم الإسلامية في الحياة اليومية للإنسان الفرد والجماعة المسلمة حيث العمل، والسعي، والنشاط، وبذل كل جهد فيما يفيد وينفع .

ـ رابعاً ـ
المحافظة على القيم الإسلامية

القيم جمع مفرده قيمة ، وأصل الياء فيه الواو، لأن القيمة تعني المقدار المساوي لغيره، نقول " قومته" أي عرفت قدره ومنزلته .

والقيمة في الجملة مقياس معياري معنوي تقيمه الأنظمة المختلفة ، وتقيس به الأعمال والأقوال، وتدعو العاملين للوصول إليه.

وتتمايز الأنظمة عن بعضها بالقيم التي تتبناها ، وتعمل على وجودها في الحياة، حيث ينشر كل نظام قيما معينة نابعة من نظمه وفلسفته .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل – ومن مسند بني هاشم، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه – حديث : ١٢٧٣٠ .

فالرأسمالية مثلا تطلق العنان لرأس المال، ولا تقيده بقيد لتصل بالمال إلى نشر الحرية بين الناس .

وينادي ماركس بالشيوعية ويتخذها قيمة لمذهبه، ولذلك صادر المال، وقيد الزواج ليصل إلى القيمة التي دعا إليها ، وهو شيوع المال والمرأة بين الناس .

وتتأثر القيم بواضعها، وتتميز بما عنده من مزايا وصفات .

ولذلك كانت أهمية تعريف القيم، وضرورة دراستها، ومعرفة الفروق بين القيم الإسلامية التي أنزلها الله تعالى، والقيم التي وضعها البشر .

-١-
التعريف بالقيم

تفيد القيم معنى الثبات، ومنه قوله تعالى : ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ (١) ،وقوله ﷻ : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ (٢)، وقوله ﷻ : ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ (٣) ومعناه الاستقامة أو الاستقلال بالحجة والبرهان .

وفي لسان العرب جاء : القيم الاستقامة وهي اعتدال الشيء واستواؤه، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (٤) .

قال الزجاج : معناه أن القرآن يدعو للحالة التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله تعالى، وشهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان برسله، والعمل بطاعته،

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٦١ .

(٢) سورة التوبة الآية : ٣٦ .

(٣) سورة البينة الآية : ٥ .

(٤) سورة الإسراء الآية : ٩ .

.... وقوام الأمر بالكسر نظامه وعماده.

قال أبو عبيدة: هو قوام أهل بيته، أي الذي يقيم شأنهم من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ (١) أي جعل الله لكم أموالكم قياما، تقيمكم فتقومون بها قياما، أي جعلها الله تعالى قيمة الأشياء فيها تقوم أموركم (٢).

ومجمل ما جاء في اللغة أن القيمة تعني الاستقامة، والثمن، والأحكام السليمة، والاستقلال، والثبات (٣) .

وكل هذه المعاني تشير إلى أن القيمة معيار معنوي يعرف به مقدار أمور تتعلق بأفعال الناس مثل توضيح استقامتهم في السلوك، ومعرفة قيمة الجهد المبذول في العمل، والوصول للحكم السديد، والثبات على الموقف، والاستقلال، والبعد عن القيم المسترذلة .

والمعنى الاصطلاحي للقيم لا يبعد كثيرا عن المعنى اللغوي، **فبعض العلماء** يرى أن القيم عبارة عن "**مقاييس معيارية معنوية تقاس بها أعمال الجماعة في إطار الأخلاق التي تحققها البيئة في الفرد والجماعة** " .

وعلى هذا يعرفها هؤلاء بأنها " **معايير اجتماعية ذات صيغة انفعالية قوية وعامة، تتصل من بعيد أو من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة، ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية ، ويقيم منها موازين يبرر بها أفعاله ، ويتخذها هاديا ومرشدا ، وتنتشر هذه القيم في**

---

(١) سورة النساء الآية : ٥ .

(٢) لسان العرب مادة : " قوم" ج ٥ ص ٣٧٨٢ بتصرف يسير .

(٣) القيم الإسلامية والتربية للأستاذ / علي خليل مصطفى ص٢٢ .

حياة الأفراد ، فتحدد لكل فرد خلاته، وأصحابه، وأعداءه" (١) .

وعلى هذا التعريف فإن المعايير تكون من وضع الجماعة، وتكون عامة، وتعد مقياسا لعمل الفرد، وعمل الجماعة .

ومن العلماء من يذهب إلى أن القيمة تعني الاتجاهات الفردية في مجتمع ما، فعرفوا القيم **(بأنها اهتمامات ودوافع أو اتجاهات تقييميه)** (٢) ، فجعلوا الدوافع والاهتمام والتوجه قيمة، وتكون هذه القيمة حسنة أو سيئة، كما هي مقياس الأفراد في الجماعة يعرف به توجهها واهتماماتها .

ومن العلماء من يذهب إلى أن القيم " مجموعة من المعتقدات الفكرية أو الدينية التي يتقاسمها أفراد المجتمع ليعرفوا بها الحسن أو القبيح، ويعرفون القيم "**بأنها الأفكار الاعتقادية المتعلقة بفائدة أي شيء في المجتمع ، وقد تكون الفائدة صحة جسمية، أو توقدا في الذكاء، أو نشوة ولذة، أو بسطة في الرزق، أو حسن سمعة، أو غير ذلك من المنافع الشخصية** " (٣) .

وهكذا اختلف العلماء في تعريف القيم تبعا لتوجهاتهم الفكرية ، ودراساتهم التخصصية، ونلاحظ في جميعها ما يلي : -

أ- **تنبع القيم من المجتمع**، يصنعها الأفراد، ويتمسكون بها حتى تصبح ظواهر اجتماعية تسيطر على التوجه العام للجماعة وتصير تعبيرا عن المجتمع الموجودة فيه .

---

(١) علم النفس الاجتماعي للأستاذ / فؤاد البهي السيد ص٢٩٤ .

(٢) القيم الإسلامية والتربية ص٢٤ .

(٣) تعاطي الحشيش كمشكلة اجتماعية ، د / حسن الساعاتي . أعمال الحلقة الجنائية الثانية يناير ١٩٦٣م ص١٩ نقلا عن القيم الإسلامية ص٢٥ .

ب- تتحول هذه الظواهر أو هذه القيم إلى مقاييس تحدد قيمة اتجاهات الجماعة والأفراد، ويظهر بها هدفها العام، وتشير إلى الاعتقادات الموجودة في الناس سواء كانت حسنة أو سيئة .

ت- لا يعرف تاريخ هذه القيم، ولا تظهر بدايتها لأنها ظهرت في المجتمع نتيجة تراكمات عدة من الأعراف، والثقافات، والتقاليد، والأعمال، وسائر المؤثرات البيئية .

ث- لا تتصف القيم التي نبعت من الناس بصفة العموم، أو الصلاحية المطلقة، لأن ما كان خاصا بجماعة لا يصلح لغيرها، كما أن الصلاحية المطلقة تظهر بعد الوصول للنتائج وليس قبلها، وأيضا فإن واضع المعيار القيمي عقل بشري محدود بالزمان والمكان، وما يضعه يكون في ألإطار الذي يقدر عليه ، كما أن القصور يظهر في القيم البشرية لعجز العقل عن النظرة الشاملة الكلية للإنسان.

ج- إن القيم البشرية ترى أن عمل الناس في مجتمع ما هو غايتها، والرقي به هو مقصدها .

هذه الملاحظات عن القيم البشرية كما عرفها العلماء تدفعنا إلى البحث عن القيم الإسلامية التي تنتشر، وتحقق الرضا الفردي، والأمن الجماعي، وتشبع عناصر الإنسان في إطار شريعة الله تعالى .

ورأى العلماء والفقهاء أن للإسلام قيمه الخاصة به، وأن بعض هذه القيم قد يتفق مع أجزاء من القيم البشرية مثل القصاص، فقد قال الله تعالى عنه: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١) ، وكان العرب يقولون :

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٧٩ .

"القتل أنفى للقتل" ، ومثل الحياء ، فقد قال رسول الله ﷺ : **(الحياء لا يأتي إلا بخير)** (١) ، ويقول الفلاسفة : " الحياء خير كله"، ومع وجود فروق كثيرة بين التعبيرين ، إلا أن بينهما تشابها كبيرا، ولذلك اهتم العلماء المسلمون إلى وضع تعريف للقيم الإسلامية، فقالوا : " **إن القيم الإسلامية تعني الفضائل والمحاسن التي أوحى الله بها لرسوله ﷺ وجعلها منهج حياة الناس في نياتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وحالاتهم ليئول أمرهم في الدنيا إلى كل خير ، ويرجعوا إلى ربهم آمنين في جنات النعيم** ".

إن القيم الإسلامية المشار إليها واضحة في دين الله تعالى، نزل بها الوحي الإلهي الذي لا يحدد بمكان أو زمان، وصلاحه شامل للناس في كل مكان وزمان، ولذلك تستمر صلاحيتها، ويستمر سموها، وتساميها على سائر القيم البشرية، وتبقى مقياسا للرقي والصلاح ما بقيت الدنيا وما فيها .

إن القيم الإسلامية قد تلتقي في بعض أجزائها مع صور القيم البشرية، إلا أنها تختلف عنها كثيرا لأسباب عدة تتميز بها القيم الإسلامية، ...وأهمها:-

١- **القيم الإسلامية وحي إلهي نزل على رسول الله** ﷺ ليبلغها للناس ، ويضعهم فيها مؤمنين بها بعدما ينسلخون انسلاخا كليا عما كانوا فيه، ويصبغون حياتهم بصبغة الإسلام الحنيف .

٢- **القيم الإسلامية تحدد للإنسان قيمة فكره**، وسلوكه، فهي متجردة عن معايب البيئة، وسابقة عن وجود الإنسان في قدر الله تعالى لاتصافها بالأزلية والقدم .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب الحياء - حديث : ٥٧٧١ .

٣- **القيم الإسلامية تقدم الحلول لكافة مشكلات الفرد والجماعة،** وتحدد الطريق المستقيم الذي يؤدي للفوز والنجاح ، وتراعي طبيعة الإنسان فتصاحب عقله، ووجدانه، وانفعالاته، وتحرك كيانه كله ليرضى بالحقيقة، ويسكن إليها سعيدا بها، يشير إلى هذا قوله ﷻ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨ ﴾ (١)

٤- **القيم الإسلامية تختلف اختلافا كبيرا عن القيم البشرية،** فهي ليست عادة ، ولا عرفا، ولا ظاهرة اجتماعية، ولا اتجاها بشريا ، إنها النواة الأولى لصناعة الإنسان، وهي تعاليم الإسلام الجامعة لاتجاهات الخير، المتميزة بالسلاسة والوضوح، وهي معيار الخير في الحياة الدنيا .

٥- **إن القيم الإسلامية تحدد الأهداف العاجلة والآجلة للإنسان،** وتبين الوسائل المؤدية إليها ، وتتعامل مع الفرد والجماعة في إطار الواقع والطبيعة التي هو عليها ، وتيسر أمامه الاختيار الحر، وتضعه أمام المعايير القيمية ليرى نفسه بعمله.

٦- **القيم الإسلامية منضبطة بمصادرها الثابتة،** وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعهما سائر المصادر الإسلامية التي سبق الإشارة إليها .

---

(١) سورة الحجرات الآيتين : ٧ ، ٨ .

٧- **القيم الإسلامية عديدة**، ومتنوعة، وهي تناسب حاجات الإنسان كلها، فمنها القيم العقدية، والقيم الأخلاقية، والقيم العملية، والقيم المادية، والقيم الروحية، والقيم الجمالية ، ...

وهكذا ...

إنها تضم الإسلام كله بأصوله ، وفروعه، ونظمه .

وقد صنع الإسلام بهذه القيم أمة خيرة لم تر الإنسانية مثيلا لها، وكان لاستقامة المسلمين على هدي دين الله تعالى أن سادت القيم حياتهم الفردية والجماعية ....

واليوم ظهر في الأرض كثير من الخصوم المفسدين الذين عملوا على صد الناس عن الإسلام، وأرادوا إطفاء نور الله في الأرض، ونشطوا في نشر الجهل، وإزاحة النظم الإسلامية عن حياة المسلمين العملية، ونجحوا في مسعاهم إلى حد بعيد، فشاع الجهل بين المسلمين حتى صار جمهور المسلمين اليوم لا يعلم شيئا عن أحكام الإسلام في القضايا التي يحتاج إليها في حياته وعمله، ... وجملة معارفه تنحصر في الراقصات ، والمغنين، ولاعبي كرة القدم، وملكات الجمال في العالم كله .

إن خصوم الإسلام والمسلمين عملوا على نشر قيمهم الفاسدة مكان قيم الإسلام الصحيحة، ولم ينقلوا شيئا من عوامل نهضتهم المادية، فظهر الخبث، وانتشر الفساد، وكثرت الجنايات، وعم الكذب، وانتشر الفحش والحرام في أعمال الناس وأقوالهم، واستبدل المسلمون بقوانينهم الإسلامية القوانين التي وضعها البشر .

إننا نلجأ إلى القيم الإسلامية، ونعمل لإحيائها في حياتنا، راجين العودة الجادة إليها، فهي من الإسلام المنزل من عند الله تعالى، وعسى أن نعود

إلى تجربتنا الفذة، ونصير مرة أخرى أمة خيرة، تؤمن بالله، وتتمسك بمنهجه، وتسعد بشريعته ونظمه، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر، لتستحق معونة الله وحفظه .

وأساس هذا الأمل هو تطبيق النظم الإسلامية لإشاعة الأمن والطمأنينة في حياة الناس، وإشباع الفطرة البشرية في الفرد والجماعة بكل حلال مشروع، وإصلاح الحياة والأحياء بمنهج الله تعالى .

وحينئذ يسهل تطبيق الإسلام في الحياة الإنسانية، ويتحول المجتمع إلى عباد لله قانتين مخلصين، سعداء، يعبدون ربهم، ويؤمنون به إلها وأحدا، فقد حباهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وختم الرسل بمحمد ﷺ، وأعد الجنة لهم في الدار الآخرة .

إن الأمل في المسلمين أن يجعلوا حياتهم لله عبادة خالصة، فيصلون، ويصومون، ويزكون، ويحجون، ويدعون، ويذكرون ،... ويتمسكون بالأخلاق الكريمة العظيمة، ويعملون في الأرض، ويتعاونون على البر والتقوى، ويتعلمون، ويعلمون، ويتزوجون ويتناسلون ، ويتمتعون بمحاسن الدنيا، وجمال الوجود، وسعادة الآخرة .

هكذا يعيش المسلم الصادق في الدنيا بالإسلام ، ويطبق نظمه راضيا مطمئنا مؤملا في الخير الدائم في حياته، وبعد مماته .

إن تطبيق النظم الإسلامية ، وتمسك المسلمين بها يؤدي إلى انتشار القيم الإسلامية وتعمقها في أعمال المسلمين، وأقوالهم، وبذلك يشيع الخير، وتنتشر الفضائل، وتعود للأمة أمجادها، وفضائلها التي كانت معها في عصرها الزاهي يوم أن أخرجها الله تعالى للناس على يد رسول الله ﷺ .

ـ خامساً ـ
صيانة الحقوق وأداء الواجبات

من حقائق الإسلام أنه جعل لكل مخلوق حقا، وجعل على مكلف عاقل واجبا، فالإنسان المكلف له حقوق، وعليه واجبات تجاه نفسه، وتجاه سائر المخلوقات العاقلة، وغير العاقلة .

وهذا من روائع القدر المعجز في دين الله تعالى ، فكل عاقل يتصور الموجودات ، ويدرك حقيقتها، ويستفيد بدورها الذي هداها الله إليه، وحقها على الإنسان أن يحافظ عليها، ويرفق بها، ويستفيد بها في حدود المشروعية الدينية، فالجبال بها المعادن والكنوز، والبحر فيه اللآلئ، والمرجان، والحيتان، والوادي به الزرع، والأنعام، والحيوان، والهوام ....

والإنسان يستفيد بهذا وغيره، وعليه أن يحافظ على حقوقها، فينظم الحفر والتنجيم في الجبل، ويزرع الوادي، ويتعهده بالري والخصب، ويأكل لحم الأنعام، وعليه أن يتعهدها بالغذاء والسقي، والمأوى، ...، وسائر المخلوقات لا تقدر بذاتها على شيء من هذا، فقد سخرها الله للإنسان، وخلقها بلا عقل ولا إدراك فحقها على الإنسان ثابت، .... وليس عليها من الواجبات شيء، لأنها لا تعقل، ولا تدري كثيرا عن دورها ، وتعجز عن التفكير فيما مضى ، ولا فيما هو آت .

أن تطبيق النظم الإسلامية يصون كافة الحقوق للإنسان، ولسائر المخلوقات، ويجعل الإنسان يقوم بواجبه الذي أوجبه الله عليه لكل مخلوق وموجود .

وإن كان العالم الحديث يتباهى بوضعه ميثاق حقوق الإنسان التي تتضمن بدورها الواجبات، فإني أحب هنا أن أؤكد أن النظم الإسلامية ثابتة، ومقررة في دين الله تعالى منذ مجيء محمد ﷺ رسولا للناس أجمعين، داعيا لله بإذنه، وهاديا للصراط المستقيم، وفيها تشريع ثابت، وتطبيق عملي لحقوق الإنسان كلها، مع خلوصها من القصور والنقص الموجود في غيرها .

إن النظم الإسلامية تؤدي تلقائيا إلى صيانة الحقوق التي قدرها الله تعالى للإنسان منذ ظهوره على الأرض في إطار التكريم الإلهي له، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (١)، فقد اشتمل هذا التكريم على تحقيق المصالح الأساسية التي يحتاجها الإنسان، والتي تعود عليه بالنفع في عاجله وآجله، وحينما يتمتع إنسان ما بالمصلحة فعليه أن يساهم في تحقيقها لغيره في إطار الواجب عليه.

إن الرعاية الإلهية للإنسان ظهرت منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام ، فقد اختاره الله للخلافة في الأرض، وأنزل عليه الوحي ليقوم مع ذريته بتعمير الدنيا بشرع الله تعالى، ويصون حقوقه فيها، ويتمتع بكرم الله تعالى، فقد فضله على سائر المخلوقات، ووضع له المنهج الديني ليسير عليه، وقدر له النظم التي تأخذه إلى الصراط المستقيم .

وبقيت سنة الله في تكريم الناس كما أراد ﷻ، فأرسل للأمم كلها رسلا يدعونهم للحق، وينشرون فيهم العدل، ويوضحون لهم ما يجوز وما لا يجوز في إطار شرع الله تعالى المنزل، ونظمه العملية، وعنها يشير الله تعالى في

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٧٠ .

قوله ﷻ :

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ (١)
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣ ﴾ (٢) .
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩ ﴾ (٣) .

ومن المعلوم المقرر أن الحق الكلي يتكون من حقوق جزئية كثيرة، فيبدأ بحق بسيط، ثم يكبر، ويتسع شيئا فشيئا حتى يكون حقا كليا شاملا للحقوق البسيطة التي سبقته، فحق الطفل أن يرضع، ويطعم، ويربى، ويتعلم، ويكرم بعدم العدوان عليه، والمحافظة على صحته، ... وهكذا تستمر معه النظم الجزئية حتى تتحقق له الحياة الطيبة الكريمة، وينال حق الكرامة، والحرية والمساواة .

وفي هذا الإطار فإن الإنسان يصدق، ويصدق حتى يكون صديقا ، والمزكي يترقى إلى الإنفاق والتطوع، وصاحب الخلق الكريم يظهر خلقه أولا مع أهله، وأسرته ثم ينتشر في جماعته وفي غيرهم من الناس، يقول الله سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة النساء الآية : ١ .

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٩ .

- ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١)
- ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٢) .

ولهذا تدرجت الشريعة في بعض قضاياها المهمة، وصاحبت الإنسان في ترقيه مع الفضائل، حتى صارت الفضائل حقوقا ثابتة له في دين الله ﷻ

وحينما نبحث في الحقوق التي شرعها الله تعالى للإنسان، والتي تتحقق في الحياة العملية بتطبيق النظم الإسلامية فإننا نعني الحقوق الكلية والحقوق الجزئية التي تندرج في إطارها وأهم هذه الحقوق ما يلي:

---

(١) سورة فصلت الآية : ٣٤ .

(٢) سورة الرحمن الآية : ٦٠ .

-١-
حق الحياة

خلق الله الحياة الدنيا وما فيها في مقابلة الحياة الأخرى العالية، وقدر بينهما رباطا يؤلف بينهما، فجعل الدنيا للعمل والأداء، وجعل الآخرة للجزاء والعطاء، فقال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (١) ، وقدر سبحانه للدنيا قصر الأجل، وقلة المتاع، وحذر منها فقال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾(٢) وقال ﷻ : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ (٣) ، وقدر الله تعالى للإنسان أن يعيش في الدنيا، وكلفه فيها بمنهجه، وأرسل له الرسل مبشرين ومنذرين حتى لا تكون لهم حجة عند الحساب في الآخرة، ... ومكنه من كل شيء ليستخدمه بالحق، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (٤) .

ومتع الله تعالى الإنسان بحق الحياة في هذه الدنيا ، ليستفيد بخيراتها، وينميها بالنسل والذرية، والعمل والإنتاج، والكسب والسعي .

إن حق الحياة يعني حق النماء، والنقاء، والبقاء في حيوية وحركة، وسلم، وأمان، والتمتع بكل مخلوقات الله تعالى في إطار ما أحله الله تعالى ونظمه، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟

---

(١) سورة العنكبوت الآية : ٦٤ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٣٦ .

(٣) سورة النساء الآية : ٧٧ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٩ .

مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (١)، ويقول ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (٢)، إن هذا الحق لا يفرق بين الرجل والمرأة، ولا بين الصغير والكبير، ولا بين الحر والعبد، ولا بين العربي والأعجمي، فالحياة الطبيعية حق لجميع البشر في الإطار الشرعي الذي يحمي النفس من الاعتداء، ويمنع كل نفس من الظلم والعدوان

ومما شرعه الله تعالى لصيانة حق الحياة للإنسان أن مكنه منها، وهيأ له تملكها، والسيطرة عليها، والسعي فيها، وشرع له الزواج للتناسل والتكاثر في إطار الضوابط الشرعية مثل القدرة على الباءة، وتحقيق المودة والسكن، ورعاية الأبناء إلى أن يقوموا بشئون أنفسهم .

ومن لوازم حق الحياة ما شرعه الله تعالى للجنين في بطن أمه، وللطفل بعد مولده، وحين إرضاعه وتربيته، فقد أوجب على الوالدين ضرورة العناية بالجنين، والولد، ونظم لهما منهج رعاية الولد ، فقال تعالى : ﴿ * وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الملك الآية : ١٥ .

(٢) سورة الملك الآية : ٢ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٣٣ .

ومن لوازم حق الحياة تيسير الضرب في الأرض، ووجود الأعمال الملائمة للطاقات البشرية، يقول الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (١) ، ويقول ﷻ : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (٢) ، ويقول ﷻ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٣) ، والرجل والمرأة مأمورون بالسعي في الأرض، والاستفادة بهذا الحق، فقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٤) ، وبين الله تعالى للناس أنه سخر لهم أدوات السعي والعمل في جنبات الدنيا ، فقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٥) .

ومن لوازمه حماية الإنسان من أي عدوان، فقد شرع الله تعالى العقوبات الزاجرة، فقال تعالى : ﴿ * قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟

---

(١) سورة الملك الآية : ٢١ .

(٢) سورة هود الآية : ٦١ .

(٣) سورة الجمعة الآية : ١٠ .

(٤) سورة غافر الآية : ٤٠ .

(٥) سورة إبراهيم الآيات من : ٣٢ : ٣٤ .

بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (١) .

إن حق الحياة ثابت في الإسلام للإنسان مطلقا، ما لم يقم بفعل جرم يؤدي إلى حد القتل، وصان الإسلام حياة أهل الذمة ، فقد روى عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : **(من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما)** (٢) .

وقد شرع الله تعالى العقوبات الزاجرة يقيمها الحاكم على من يعتدى، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (٣) ، وقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (٤) .

هذه العقوبات من عوامل حفظ الحياة الأساسية، لأن القتل أنفى للقتل، ومن علم أنه إن قتل سيقتل لن يقدم على القتل، والحال كذلك في كل جريمة

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٥١ .

(٢)صحيح البخاري – كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم – حديث : ٣٠١١

(٣) سورة البقرة الآيتين : ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٤) سورة الإسراء الآية : ٣٣ .

لأن المعتدي إذا تأمل في العقوبة يترك العدوان، ويحافظ على حقوق غيره كما هو حريص على حقوق نفسه .

إن الإسلام يجعل الوالي مكلفا بإقامة العدل، وحفظ الأمن، ومعاقبة المعتدي، والتصدي لأي ظالم من داخل الأمة أو من خارجها، ورد المظالم لأصحابها .

والدعاة يذكرون ويبصرون بالحقوق، ويخوفون من المعاصي والعدوان.

ويكلف كل مسئول بمنع الفساد الذي يقع في إطار مسئوليته ماديا كان الإفساد أو معنويا .

يقول الله تعالى :

- ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ ﴾ (١)
- ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾ (٢) .

والفساد المنهي عنه يطلق على كل ضرر، فهو تخريب للعمران، وتعطيل للمصالح، ومنع للفائدة .

إن هذا الضرر يكون في التوجه الضال، والتربية القاصرة، والصناعات المؤذية، والسياسة القذرة، وإلغاء الحقوق، وقهر الإنسان، وحرمانه من متع الحياة ....

وهكذا تتضافر الجهود، وتنشط النظم في الأمة الإسلامية لصيانة حق الحياة لتتحقق به الحياة الكريمة لسائر الناس .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٦٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٥٦ .

-٢-
حق الكرامة

الكرامة تعني في اللغة التنزه عن النقص، وتحقيق الشرف، والمحافظة على إنسانية الإنسان، وصيانة حاجاته بيسر وسهولة، والمحافظة عليه وعلى آدميته من أي أذى حسي أو معنوي .

ويستحق الإنسان الكرامة بمجرد وجوده، لأن الكرامة تصاحب الحياة بصورة تلقائية، وتأخذ في النمو والتوسع كلما طال العمر .

ولقد قدر الله تعالى للإنسان هذا الحق، فقال تعالى : ﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (١) ، أي ميزناهم عن سائر المخلوقات، وأعطيناهم من النعم التي بها يعقلون، ويتعاملون، وجعلنا لهم الكون مسخرا مذللا.

ويتجلى حق الكرامة للإنسان في جوانب رئيسية ثلاثة هي : -

الجانب الأول : المحافظة على الصورة الآدمية التي قدرها الله للإنسان، وخلقه بها، وسواه عليها، وكونه من جسد مادي، وروح علوية سامية، واختار لها الجمال الخلقي، وميزها بالحسن والقبول، يقول الله تعالى عن هذه الصورة الكريمة :

- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٧٠ .

(٢) سورة المؤمنون الآيات من ١٢ : ١٤ .

- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (١) .
- ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ (٢)
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ (٣) .
- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٤) .

إن الله تعالى شرع لهذا البناء الإنساني الجميل ما يحافظ عليه ويصونه، فجعل لكل داء دواء، ودعا إلى التداوي، ونهى عن التعذيب، وإهانة الذات، وكلفه بما يطاق، ونجاه من الحرج والمشقة، وحذر من إيذائه .

ففي الحديث **(مر هشام بن حكيم بن حزام على أناس من الأنباط بالشام ، قد أقيموا في الشمس .**

فقال : ما شأنهم ؟

قالوا : حبسوا في الجزية .

فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) (٥) .

---

(١) سورة غافر الآية : ٦٤ .

(٢) سورة التغابن الآية : ٣ .

(٣) سورة الانفطار الآيات من ٦ : ٨ .

(٤) سورة التين الآية : ٤ .

(٥) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق - حديث : ٤٨٤٠

وعن أبي هريرة ﷺ **(أن النبي ﷺ قال : " للمملوك طعامه ، وكسوته ، ولا يكلف إلا ما يطيق ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ، ولا تعذبوا عباد الله خلقا أمثالكم)** (١)، وبهذا نهى النبي ﷺ عن التعذيب، ففي العقوبات المقررة كفاية .

إن الإسلام يحافظ على الإنسان وهو في بطن أمه ، فلا ترجم الزانية الحامل حتى تضع حملها، وترضعه، فلقد ثبت أن رسول الله ﷺ امتنع عن رجم الغامدية، ففي الحديث أن **(... الغامدية جاءت، فقالت : يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني ، وإنه ردها .**

فلما كان الغد ، قالت : يا رسول الله ، لم تردني ؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزا ، فوالله إني لحبلى .

قال ﷺ : " إما لا فاذهبي حتى تلدي " .

فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة ، قالت : هذا قد ولدته .

قال ﷺ : " اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه " .

فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يا نبي الله قد فطمته ، وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيقبل خالد بن الوليد بحجر ، فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها ، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها .

فقال ﷺ : " مهلا يا خالد ، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له " ، ثم أمر بها فصلى عليها ، ودفنت) (٢) .

---

(١) صحيح ابن حبان – كتاب العتق، باب صحبة المماليك – حديث : ٤٣٧٧ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى – حديث : ٣٢٩٤ .

إن الإسلام يحافظ على صورة الإنسانية الآدمية، ويدعو إلى صيانة جمالها من أي تقصير أو عدوان، ولذلك شرع الله تعالى خصال الفطرة، فقد روى أبي هريرة رضي الله عنه قال : (**سمعت النبي ﷺ يقول: الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب، وتقليم الأظفار ، ونتف الآباط**)(١) ، وروت السيدة عائشة رضي الله عنها ، قالت : (**قال رسول الله ﷺ** : " **عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء** " **قال زكريا : قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة)** (٢) .

وأجمع الفقهاء على ضرورة تجنب الوجه والرأس والمذاكير عند العقوبة إذا كانت دون القتل، لأن الوجه مجمع المحاسن، وبه المواجهة، وشرف الرأس من شرف الوجه، وضرب المذاكير يقطع النسل، ويؤدي إلى الموت، وهذا تكريم للإنسان حتى عند معاقبته، يقول النبي ﷺ : (**إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه)** (٣) .

الجانب الثاني : اعتماد طريقة الإقناع التام القائم على الدليل البين، والبرهان المتين البعيد عن أي إكراه، أو غموض، أو خفاء، وبذلك يختار المكلف ما يؤمن به من فكر أو قول، وله أن يذهب إلى الحال الذي يراه سواء أظهره للناس أو غيبه عنهم، والمهم رضاه عن الأمر الذي اختاره ظاهرا وباطنا .

إن الإقناع يعني تقدير العقل، واحترام إنسانية الإنسان، وإلغاء الاستبداد

---

(١) صحيح البخاري – كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار – حديث : ٥٥٥٩ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة – حديث : ٤١٠

(٣)مسند أحمد بن حنبل – ومن مسند بني هاشم، مسند أبي هريرة رضي الله عنه – حديث : ٧٢٣٤

والتسلط ، لأنه يعارض الكيان الإنساني معارضة كلية .

لقد حافظ الإسلام على الإنسان ، وتعامل مع قواه التي متعه الله بها، فخاطب العقل، وتحاور معه، وأقنعه بالآيات ، وجعله الطريق لإشباع البدن، وإرضاء الروح، وجذب الوجدان، وبذا يعيش الإنسان بعناصره قافلة واحدة تتحرك في الأرض إلى الله بفهم، ووعي، وإدراك .

ولا يرضى الإسلام من الناس أن يعبثوا بالحقائق الثابتة، ولا يشغلوا أنفسهم بالأفكار الهدامة التي تضر المجتمع وتوجهات الناس .

ومن عظمة الإسلام ما قدره الله تعالى فيه من أنه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾(١) ، وأنه ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ (٢) بعدما ﴿ تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ (٣) .

لقد جاء الإسلام للناس مفصلا ، وبينا، ومعجزا، وبالرغم من أنه إلهي المصدر فهو بشري الفهم والتطبيق، وما أشبهه بثوب أنيق أعد إعدادا دقيقا على قدر صاحبه وكأنه قد صنع له خاصة، ولا عجب في ذلك فهو دين الله الخالق، المقدر، الصانع الذي يعلم صنعته، وهو اللطيف الخبير ....

ولم يسق الإسلام الناس بالعصا، وإنما جذبهم بالحب، والحجة، والبرهان، ولم يغمض عيونهم، وإنما دعاهم إلى النظر، والتفحص، والاختيار، وحرم التقليد والتبعية، ووضع العقول في مقام القيادة والتوجيه، وفي هذا تكريم للكيان الإنساني كله .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٢٩ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

الجانب الثالث : احترام التعبير الذاتي للإنسان سواء كانت بالقول، أو بالفعل، أو بالإشارة، فهي أعراض نابعة من إرادته، والعرض تابع للجوهر، وتقدير أحدهما تقدير للآخر، والاعتداد بالتعبير يريح الإنسان، ويدفعه إلى المشاركة الجماعية، **وقد ذهب علماء التربية** إلى الاهتمام بكلمات الصغير عند نطقها أول مرة لما لها من آثر إيجابي في نفسه، وإلى الاهتمام بالحديث معه ليتعلم الصدق، والأمانة، ويتعود على التعاون مع الآخر .

وذهب علماء الاجتماع إلى أن التطور يتم بالمحاورة والنقاش، والعمليات الاجتماعية التي لابد لها من الحوار والتقابل .

وذهب علماء الإدارة إلى ضرورة الاستماع لآراء الناس، لأنه حقهم في المواطنة ، واختيار الشخصيات القادرة على القيام بالمهام في مختلف المؤسسات .

وذهب علماء السياسة إلى أن رأي الفرد أساس في إقامة الدولة القوية .

والاهتمام بالرأي بصورة عامة هو وسيلة نشر العلم والمعرفة، وهو الطريق الأمثل للتقدم والنهضة، ولذلك يقول الله تعالى :

- ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ (١)
- ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ﴾ (٢) .
- ﴿ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٨٣ .

(٢) سورة الزمر الآية : ١٨ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٨٥ .

ويقول النبي ﷺ: **(تسمعون ويسمع منكم، ويسمع ممن يسمع منكم)** (١)

إن الرأي دليل على ما في النفس، والاعتداد به اعتداد بصاحبه .

يقول ابن القيم: إن الله وضع الألفاظ بين عباده تعريفا ودلالة على ما في نفوسهم، فإذا أراد أحدهم من الأخر شيئا عرفه بمراده، وبين ما في نفسه بلفظه، ورتب على تلك الألفاظ أحكامها لأنها الإرادة الكامنة ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة قول أو فعل (٢) .

ولذلك اشترط جمهور الفقهاء ضرورة دلالة اللفظ على ما في النوايا، وتصويرا للحدث بدقة، ... يقول ابن تيمية : والتحقيق أن المتعاقدين إذا عرفا المقصود من العقد فإنه ينعقد بأي لفظ دل عليه، لأن الشارع لم يضع حدا معينا للعقود، بل ذكرها مطلقة بأي لفظ يدل عليها ، وبأي لسان ينطق به المتعاقدون (٣) .

واستثنى الشافعية والمالكية والحنابلة من العقود عقد النكاح، واشترطوا فيه الألفاظ الخاصة به لخطورته (٤)، ومنعا للألفاظ العامة التي تفيد دلالتها معنى النكاح وغيره .

ومن تكريم الإنسان عدم إذاعة معايبه، وتجنب غيبته، يقول النبي ﷺ: **(من سمع سمع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به)** (٥) ، وقد حرم الله ﷻ

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب العلم، ذكر الإخبار عن سماع المسلمين السنن خلف عن سلف – حديث رقم : ٦٢

(٢) أعلام الموقعين ج٣ ص ١٠٥، ١١٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٣٣ .

(٤) بداية المجتهد لابن رشد ج٢ ص٤ ، المغني لابن قدامة ج٣ ص٥٦١ .

(٥) صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة - حديث : ٦١٤٣

الغيبة ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (١) .

وهكذا يحرم الله تعالى إهانة الإنسان في غيبته، ويحرم الخوض في سيرته بما يسيء إليه، فجعل المغتاب آكلا للحم أخيه الإنسان، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : **(قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا- تعني قصيرة .**

فقال ﷺ : " لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته) (٢) ، ...

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ "**

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال ﷺ : " ذكرك أخاك بما يكره " .

قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟

قال ﷺ : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته) (٣).

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٢ .

(٢) سنن أبي داود - كتاب الأدب، باب في الغيبة - حديث : ٤٢٥٣

(٣) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة - حديث : ٤٧٩٥ .

-٣-
حق الحرية

الحرية في الإسلام تعني تمكن الإنسان من فعل ما يريد في حدود الضوابط الشرعية والإنسانية التي تضع الإنسان على طريق الإصلاح، وتبعده عن أسباب الضرر والفساد وهو راض مختار .

وتتسع الحرية المقصودة لتشمل كافة الأمور الحسية والمعنوية التي لها صلة بإدراك الإنسان وإرادته.

فقد خلق الله تعالى الناس أحرارا منذ ولدتهم أمهاتهم، وإن عرض لبعضهم عارض جعله رقيقا شرع الله تعالى له العديد من السبل التي تعيده إلى حريته، وتعيد له حقه في الحرية المقدرة للإنسان منذ مولده (١) .

وقد شرع الإسلام هذا الحق للإنسان في مختلف صوره الحسية، والمعنوية، فهو حر في اختيار علمه، وعمله، ومهنته، وتنقله، فقال ﷺ : **(طلب الحلال واجب على كل مسلم)** (٢) ، ولا يتم طلب الكسب إلا بالعمل الطيب، فعن سعيد بن عمير رضي الله عنه قال : **(سئل النبي ﷺ : أي الكسب أطيب ؟**

قال ﷺ : " عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور) (٣) ...

---

(١) يقع الإنسان في الرق بسبب الحروب، وعندما يبيعه أبوه لغيره، وقد انتشر الرق قبل الإسلام، وكانت له أسواق في العالم كله، فلما جاء الإسلام فتح باب تحرير الرقيق واسعا، فالجارية تتحرر إذا ولدت ولدا، والأرقاء يتحررون بالإسلام، وبالكفارات التي تحدث في الصوم ، والقتل، والظهار، وتبادل الأسرى، وضيق باب الرق إلى حد يقترب من إغلاقه .

(٢) المعجم الأوسط للطبراني - باب العين، من اسمه : مسعود - حديث : ٨٧٧٤ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة - كتاب البيوع والأقضية، في الكسب - حديث : ٢٢٥٩١ .

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (١)، وبذلك يستفيد بذاته، ويرفق بها، ويكفيها مؤنتها، ولا يتم ذلك إلا بمال يحصل عليه من عمل، أو إرث، أو هبة .

والأصل أن يختار الإنسان مهنته وعمله المناسب لتستقر الأوضاع، ويستمر العمل والإنتاج، يقول النبي ﷺ : **(اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن خير العمل أدومه ، وإن قل)** (٢) .

وللإنسان أن يرحل حيث يشاء، فالأرض كلها لله، وحرية الإنسان تساعده في السفر والتنقل، والسعي في طلب الرزق، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (٣) ، ويقول ﷺ : **(سافروا تصحوا وتغنموا)** (٤) .

وقد أباح الله تعالى للإنسان أن يسافر نجاة ببدنه، وطلبا لفوائد السفر ليرى آيات الله تعالى في كونه الواسع، وملكوته الكبير، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٥) أي اعتبروا أيها العقلاء بما في الأفاق من آيات خلق الله الأشياء، ... فهي حادثة في نفسها، دالة على وجود صانعها الفاعل

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٥ .

(٢) سنن ابن ماجه – كتاب الزهد، باب المداومة على العمل – حديث : ٤٢٣٧

(٣) سورة الملك الآية : ١٥ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي – كتاب النكاح، باب قول الله تعالى : وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم، حديث : ١٢٧٠٥

(٥) سورة العنكبوت الآية : ٢٠ .

المختار الذي يقول للشيء كن فيكون (١) .

وسياحة المسلم جهاد، لأن فيها مكايدة للشيطان، ونشر لدين الله تعالى

فعن أبي أمامة ﷺ **(أن رجلا ، قال : يا رسول الله ائذن لي في السياحة .**

قال ﷺ : " إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله) (٢) .

وكما شرع الإسلام حرية الإقامة والعمل ، والتنقل، والسفر ، وهي جوانب حسية شرع له الحرية في الجوانب العقلية والمعنوية التي يحتاج إليها في حياته، فأباح له حرية اختيار الدين الذي يتدين به، ويرتضيه لنفسه، لأن فطرة الدين موجودة مع كل إنسان يحتاج لإشباعها كما يحتاج الجائع إلى الطعام سواء كان الدين حقا أو باطلا .

والإسلام يرى ضرورة الحرية في اختيار الإنسان دينه، لأن الإيمان في حقيقته عملية نفسية معنوية لا يتصور معها إكراه أبدا .

إن من المستحيلات العقلية أن يؤمن إنسان ما بشيء رغم انفه، لأن النفس لا تؤمن إلا بما تصدق به، وأقصى ما يضعه الإكراه مع العقيدة أن يبدو المرء كأنه معتقد بينما هو عن الإيمان الصادق بعيد .

والإسلام لا يرضى بظاهر يخالف الباطن، لأن ذلك هو النفاق الذي يأباه الإسلام حيث يضع المنافق في منزلة أسوأ من الكافر ، ولا يرضى الإسلام بإكراه أو إجبار في مجال الاعتقاد، يقول الله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٤١ بتصرف يسير .

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب الجهاد، حديث : ٢٣٣٨

تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ (١) ، أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في الإسلام، لأن الإسلام بيّن واضح جلي يراعي الحق والمصلحة، ولا يحتاج أن يكره أحدا على الدخول فيه، ومن أعمى الله تعالى قلبه، وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا (٢) .

وما على المسلمين إلا توضيح دينهم، وبيان ما فيه من خير وهدى، ورد كيد أعدائه الذين يثيرون معه الشبه، وينشرون حوله الأكاذيب.

وقد ذكر العلماء سبب نزول الآية، فقد ذكر الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله :(﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ ، **قال : نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين ؛ كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما ، فقال للنبي ﷺ : " ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية ؟ فأنزل الله فيه ذلك)** (٣) .

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله :(﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾، **قال: كانت المرأة من الأنصار لا يكاد يعيش لها ولد ، فتحلف : لئن عاش لها ولد لتهودنه ، فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم ناس من أبناء الأنصار.**

فقالت الأنصار : يا رسول الله، أبناؤنا ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

(٢) تفسير بن كثير ج١ ص٣١٠ .

(٣)جامع البيان في تفسير القرآن للطبري – سورة البقرة، القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ ، حديث : ٥٣١٤

قال سعيد بن جبير: فمن شاء لحق بهم ، ومن شاء دخل في الإسلام)(١)

وربط الآية بسببها يوضح المعنى ويظهر وجه الاستدلال بها، ويثبت حرية الإنسان في اختيار دينه، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند جمهور الأصوليين .

ومن الآيات الدالة على هذه الحرية قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (٢) .

ومن الوقائع التي تؤكد ضرورة الحرية في العقيدة أن الرسل عليهم السلام جميعا اعتمدوا في دعوة الناس على الحجة والبرهان، حتى قال قوم نوح عليه السلام له ما حكاه الله تعالى في قوله : ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ (٣) .

وقال هود عليه السلام لقومه : ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ (٤) .

ويأمر الله تعالى محمدا ﷺ فيقول له : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٥) .

ومن المعلوم أن الجدل يقتضي المناقشة، وإبداء الرأي، والاستماع لحجة

---

(١) صحيح ابن حبان – كتاب الإيمان، باب التكليف – ذكر الإخبار عن الحالة التي من أجلها أنزل الله جل وعلا، حديث : ١٤٠

(٢) سورة يونس الآية : ٩٩ .

(٣) سورة هود الآية : ٣٢.

(٤) سورة الأعراف الآية : ٧١ .

(٥) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

كل فريق، والرد عليه بلا إكراه، أو ضغط، وتكون كما أمر الله تعالى بالحسن واللين، وهذا منتهى الحرية .

والحكمة دقة في الفهم والإقناع، وهذه قائمة على الحسن ابتداء وانتهاء بخلاف الموعظة والجدل، فقد يقومان على الحسن وعلى غيره، ولذلك قيدهما الله تعالى بالحسن لمراعاة كرامة الغير حين مناقشته، وعرض الدعوة عليه.

وصيانة لحرية العقيدة نرى الإسلام يمنع التقليد في الاعتقاد، يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤ ﴾ (١) .

وسبب عيب التقليد أنه يصادر حرية النظر، ويمنع حرية الاختيار، ويكره على الكفر، وذلك في حد ذاته عيب .

وكما عاب الإسلام التقليد في الكفر نراه يعيب من يقيم عقيدته على الظن حيث لا فائدة في ذلك ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦ ﴾ (٢) .

ولا يصح في الإسلام أن يهمل الإنسان عقله، ويجري وراء الآخر أيا كان مسار هذا الأخر، واتجاهه، يقول النبي ﷺ:**(لا تكونوا إمعة ، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا ")** (٣) .

---

(١) سورة المائدة الآية : ١٠٤ .

(٢) سورة يونس الآية : ٣٦ .

(٣) سنن الترمذي الجامع الصحيح – الذبائح، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ – باب ما جاء في الإحسان والعفو، حديث : ١٩٧٩

ولضرورة الحرية في العقيدة أهدر الإسلام إيمان الإلجاء، كما وضح من آيات القرآن الكريم، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ (١) .

فالإيمان حين الموت كالتوبة تماما عنده لا يقبلان، ولذلك عدت توبة هذا الوقت لا توبة، وعطف عليها الذين يموتون وهم كفار، لأن إيمانهم لا اعتبار به حيث جاء في وقت الإلجاء .

يقول الرازي : إن الإيمان في الوقت الذي يعاين المرء فيه نزول ملائكة الرحمة والعذاب لا ينفع، ففي ذلك الوقت يصير المرء مكرها على الإيمان ، ولذلك لا ينفع، إنما الإيمان ينفع وقت ما يملك الإنسان القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا (٢) .

ولهذا حين قال فرعون ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٣) معلنا إيمانه ثلاث مرات لم يقبل منه، لأنه كما يقول النسفي : أخطأ وقته، وكانت المرة الواحدة تكفي في حالة الاختيار، لكنه قال الثلاث في حالة الاضطرار حين أدركه الغرق وأيس من نفسه (٤) .

وكفر الإلجاء لا يعتبر هو الآخر، قال تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ (٥) ، ففي هذه الآية يبين

---

(١) سورة النساء الآية : ١٨ .

(٢) مفاتيح الغيب ج٧ ص ٣٥ .

(٣) سورة يونس الآية : ٩٠ .

(٤) تفسير النسفي ج٢ ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٥) سورة النحل الآية : ١٠٦ .

الله تعالى ضخامة جريمة الكفر بعد الإيمان، ثم استثنى من اكره على الكفر، لأنه ليس بكافر في الحقيقة، حيث ألجئ ظاهره عليه، وبقي قلبه مطمئنا بالإيمان .

هكذا يتعامل الإسلام مع حرية الاعتقاد إيجابا وسلبا، لأنه يحرص على حرية الإنسان أصلا .

وكل ما يقرره الإسلام مع الحرية الدينية هو صيانة العقيدة من العبث واللهو بها، واتخاذها ملهاة للمفسدين الضالين، ولذلك يحرم الإسلام الردة، ويعاقب المرتد بالقتل صيانة للمجتمع، وحفظا للدين من العبث .

إن الحرية في الإسلام مقيدة بالمشروعية التي تصون للناس الحياة، وتحميهم من العبث بقيمهم، وإنكار الحقائق الثابتة لديهم .

يقول الدكتور/ محمد وصفي: المشروعية الإسلامية تشرف على كل الأوضاع، ومع كل المراكز التشريعية وسائر التصرفات التي تقوم في الدولة المسلمة، فتكون الدولة كلها موصوفة بتلك المشروعية الإسلامية التي تنطبع بها الحياة الاجتماعية، والقانونية بأسرها في جميع تفاصيلها، والسبب في ذلك أن جميع الوسائل، والإمكانيات في النظم المذهبية تعتبر وظائف اجتماعية تتوجه إلى تحقيق الهدف الأعلى، الذي تتخذه الجماعة عقيدة دينية وإيمانا عاما لها .

وهذه الإحاطة الشاملة للمشروعية تجعل جميع الوسائل، والجهود، والإمكانيات، والأوضاع مقيدة بقيودها، محكومة بها، موصوفة بوصفها، متوجهة إليها، وبذلك تكون التصرفات العامة من قوانين وأوامر ، وغيرها وما نشأ عنها من الحريات والملكية، والعقود تسير في الخط الذي يوصل إلى

الهدف العام، وتعمل كلها لخدمة الأصول العليا التي يقررها الإيمان، وتكون موصوفة به، ومحكوكة بأحكامه.

وهذا الأمر ملحوظ ومراعى في جميع النظم الإسلامية، سواء الدستورية أو الإدارية ، أو الدولية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية ، وكذا في العلاقات الفردية من عقود وغيرها، والحريات والملكية، والعقود.

إن العقد بصورة عامة في النظام الإسلامي هو عهد مع الله تعالى يجب تنفيذه مع الطرف الآخر، وليس التراضي عليه إلا دخولا في تنظيم قانوني شامل معروف، هو النظام الإسلامي المقرر للنهوض بالمقاصد الشرعية العامة، والخاصة التي يعتبر هذا العقد – نوعيا – وسيلة لها .

وبذلك فإن النواهي الشرعية ، والأوامر الدينية وخاصة ما تقرر منها بنص في الكتاب والسنة، أو قامت على أصل من الأصول الدينية الشرعية أو على مقصد من المقاصد الشرعية المعتبرة، هذه النواهي والأوامر تشكل قيودا يجب مراعاتها في جميع أنواع العلاقات سواء كانت دولية أو داخلية من أي نوع، فالاعتبار المذهبي محترم في أي علاقة كمشروعية عليا (١) .

وتقييد الحرية بالمشروعية يبعدها عن الحريات التي نراها في النظم الأخرى، حيث أن النظم الوضعية تقر حرية الفرد ولو كان مفسدا، وتقر حرية الناس ولو كانت عدوانية، وتجعل الدين لهوا ولعبا حتى وصل الأمر إلى عبادة الدودة، وتأليه الأعضاء التناسلية، واتخاذ الشيطان إلها، كل ذلك في عبث يتمكن به اللاعبون من التنقل بين الأديان المختلفة بحرية مطلقة، ولذلك صار واجبا الالتزام بالإطار العام الذي يوجه أعمال الناس نحو الغاية

---

(١) مصنفة النظم الإسلامية ص١٧٧ – ١٧٩ .

المقصودة، والهدف الصحيح .

ومن الحريات المعنوية الضرورية للإنسان حرية الرأي والفكر .

وقد رأينا أن الإسلام يقيم الإيمان والاعتقاد(وهي أهم وسائل الدين على الإطلاق) على حرية الإرادة والاختيار، ولذا كان من باب أولى إعطاء الناس حرية الرأي والفكر في سائر الأحوال والأقوال .

والإسلام حين يأمر بالنصح، ويدعو إلى ضرورة المشاورة يؤكد ضرورة الفكر الحر وإبداء الرأي النزيه، لأن النصح والمشاورة لا يتمان إلا بالحرية .

وحرية الفكر تنتج حرية الرأي، والنقد، والنصح، وذلك واضح من مبدإ الإسلام في تكوين شخصية المسلم الذاتية، التي تعتمد على القوة في الصدق، والصراحة في النصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهر بالحق، وإرشاد الضال، والقيام بالدعوة، .... إلخ.

إن الحرية الحقيقية تجعل الإنسان يؤمن بدينه، ويلازم الولاء لأمته، ويشعر بالمسئولية تجاه من صان له حريته، وكرامته.

إن هذه الصفات الذاتية للإنسان المسلم لا تتضح، ولا تتكون إلا في إطار نظام يضمن حرية الرأي، والتفكير، وهو النظام الإسلامي .

إن الاستبداد في أي عصر يكمم الأفواه، ويمنع كلمة الحق، ويصادر حرية الرأي، ويحرم الوطن من بنيه، ويفرغ القلوب من الحب والإخلاص، ويقتل روح الولاء التي يجب أن تربط الإنسان بوطنه وأمته .

لقد دعا الإسلام إلى حرية الرأي، والفكر، وطبقها السلف الصالح في نظامهم ، وحياتهم في إطارها المشروع، ومن المعلوم أن الحرية في الإسلام لا تتجزأ، ولا يصح إهمالها أبدا، والإقرار بها ردع لمن يدعي مناهضة

الإسلام للحرية، وقهره للناس، ... ويكفي للرد على الأدعياء ما ذكرت من أمثلة، ... وغيرها كثير، .... ولكن الغرض مرض، والشافي هو الله تعالى .

لقد أباح الله تعالى للناس الاختلاف في الفروع (١) ، وجعله جزءا من حريتهم الفكرية والكلامية، فلقد أقام الفقهاء وأصحاب المذاهب في هذا المجال صرحا لهذه الحرية، يشهد له ما نراه في اختلاف المذاهب الفقهية، والمحاورات العديدة في أتباع المذهب الواحد حتى قدموا في ذلك زادا وفيرا ، وتراثا واسعا في كافة العلوم الإسلامية .

لقد أخذ المسلمون حقهم في الحرية، وجعلوه طريقا للبناء والرقي، .... ولم يفسدوه بالفوضى والعبث .

إن قيمة الحرية قيمة بناء تحتاج لحكمة عاقلة، واستقامة دقيقة حتى لا تكون سببا للضرر والضياع .

---

(١) الأصول واحدة لا يدخلها الاختلاف، والمناقشات حولها كانت في الأدلة والبراهين، ولذلك لا يجوز الاختلاف فيها ، فالله واحد لا شريك له، ومحمد رسول الله ﷺ ، وحقائق الإيمان ثابتة فلا اختلاف فيها، .... .

ـ ٤ ـ
حق المساواة والعدل

من القضايا الأساسية التي يحققها تطبيق النظم الإسلامية إقرار المساواة بين الناس في حدود الطاقات والملكات التي يتمتعون بها بحيث يتساوى الجميع في الحقوق العامة، ويتميز كل إنسان بما يتصف به من مزايا فردية خصه الله تعالى بها .

وأساس هذا الحق قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ (١) .

وقوله ﷺ : **(يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر ، إلا بالتقوى)** (٢) ، ومعنى ذلك أن تكليف الناس ابتداء مرتبط بأصل إنسانيتهم بلا عصبية، ولا عنصرية، لأن البشر جميعا أمام الله تعالى سواء، يرجعون إلى أبيهم آدم عليه السلام ، ويتجهون لخالقهم الواحد وهو الله ﷻ .

ومن خصائص مشروعية المساواة في الإسلام أنها تتعامل مع الناس وفق استعداد كل منهم، لأن تصور مساواة مطلقة بين الناس أمر لا يصح شرعا، ولا يجوز عقلا .

لقد خلق الله الناس متفاوتين في قدراتهم العقلية، والنفسية، البدينة، وغيرها، ... ولذلك كانت المساواة بين الناس متوازنة مع هذا الاختلاف، إذ لا يصح مساواة العالم بالجاهل في التكليف بالمسئولية العامة ، ولا يجوز أن يتساوى القوي بالضعيف في الأجرة ، والعمل ، ولا تستوي المرأة مع الرجل وبينهما

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٢)مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ حديث : ٢٢٨٦٤

فروق عديدة، ولا يستوي القاعدون مع المجاهدون في الأجر والثواب، ولذلك كانت المساواة بين الناس نسبية وبخاصة في النواحي التي يحدث معها التفاوت في الخلقة، والتعقل، والنشاط .

أما الأمور المرتبطة بإنسانية الإنسان فإن المساواة فيها أمر ضروري، والتمسك بها حقيقة شرعية.

لقد راعى الإسلام هذه الحقائق بدقة ، فساوى بين الناس في حق الحياة، وحق التملك، وحق العمل، وحق التعلم، وحق السفر والإقامة، .... وغيرها، ولذلك كانت عقوبة العدوان على النفس واحدة، يقول الله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١) .

ويقول ﷻ : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (٢)

ومن المعلوم أن القصاص يعني التساوي بين العقوبة والجريمة تحقيقا للعدل، وصيانة للحياة.

والإسلام يحكم في الجوانب المتفاوتة بضرورة مراعاة الفروق الفردية بشرط أن تخلو المعاملات من الاستعلاء والاستغلال، والعدوان، وبذلك يشعر الإنسان أيا كان موقعه أنه أخذ حقه من غيره، وأعطى لغيره ما هو له، وأنه مسئول عن كل ما يكلف به ، وكل ما يقوم به ، لأنه في وسعه وطاقته .

وفي إطار مراعاة الإسلام لهذه الفروق نرى أنه كلف الرجال بأمور لم

---

(١) سورة المائدة الآية : ٤٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٧٩ .

يكلف بها النساء، وأعطى للرجال حق القوامة، وجعل بأيديهم عقدة النكاح، ... كما كلف الأغنياء بالعطاء، وكلف الفقراء بالأخذ، .... وكل هذه الفوارق بسبب الفروق الفردية العادية التي توجد بين الناس لا بسبب تمييز عنصري، أو عصبية طائفية .

وساوى الإسلام بين الناس في العقوبة، لأنه ربط العقوبة بالجريمة بغض النظر إلى مرتكبها ، لأن الجميع أمام شرع الله سواء .

ولذلك غضب رسول الله ﷺ من أسامة رضي الله عنه حين حاول أن يشفع لامرأة شريفة من بني مخزوم وعمل على إنقاذها من إقامة الحد عليها بعدما سرقت

يروي مسلم عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، **(أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح .**

فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟

فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ، حب رسول الله ﷺ .

فأتي بها رسول الله ﷺ، فكلمه فيها أسامة بن زيد .

فتلون وجه رسول الله ﷺ، فقال : " أتشفع في حد من حدود الله ؟

فقال له أسامة : استغفر لي يا رسول الله .

فلما كان العشي ، قام رسول الله ﷺ، فاختطب ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : " أما بعد ، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني والذي نفسي بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " ، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت ، فقطعت يدها) (١) ، هكذا بلا تفرقة بين

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره - حديث : ٣٢٨٣ .

قريب وغريب، أو كبير وصغير، أو وزير وخفير، فبين رسول الله ﷺ ضرورة الالتزام مع الناس بالحكم الشرعي، وعدم تأثره بشخصية من يرتبط به، وأهمية تطبيقه على الجميع .

وتتحقق المساواة في إطار العدل التام الذي أمر الله تعالى به، فقال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ ﴾ (١) ، فهو أمر للناس جميعا بأن يعدلوا ، ويحسنوا صلة القرابة ، ونهي عن الفحشاء والمنكر والعدوان .

ويقول ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ (٢) . **ففي الآية** ينادي الله تعالى المؤمنين بصفتهم، فيقول ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إحياء لحمية الإيمان في قلوبهم ليسارعوا إلى العدل والاستقامة، وكأن الله تعالى يقول لهم : إن مقتضى إيمانكم الاستقامة، فكونوا مبالغين في الاستقامة، باذلين جهدكم فيها لله تعالى، وهي إنما تكون بالنظر في حقوق الله، وحقوق خلقه، وتتم بالأخذ بها عمليا في سائر الأقوال، والأفعال، فانظروا، وكونوا ﴿ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ أي أقيموا العدل ولا تتركوه لمحبة أحد، ولا لعداوة أحد ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ ﴾ أي لا يحملنكم شدة بغض وعداوة ﴿ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ﴾ في حقهم، وتجوروا عليهم، بل ﴿ ٱعۡدِلُواْ ﴾ لأن العدل أساس التقوى، وحياة الإيمان، فإنا لا نأمركم به من حيث ما فيه من توفية حقوق الأعداء، بل من

---

(١) سورة النحل الآية : ٩٠ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٨ .

حيث ما فيه من توفية حقوقكم في الاستقامة، وحظكم في التقوى والإيمان(١)

وفي هذا تنبيه عظيم، ولفتة رائعة، لأن العدل إذا كان واجبا مع الكفار الذين هم أعداء الله ، والمتصفون بهذه الصفة من السوء، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياء الله ﷻ وأحباؤه ؟ !!

وقد أمر الله تعالى بالعدل في القول أيضا، يقول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (٢)، وبهذا يكون العدل قيمة ثابتة لذاتها، لا تتأثر بقريب أو غريب، ولا تتغير لعدو أو حبيب .

وهذا الأمر نتوجه به إلى كثير من الذين يتولون السلطات العامة ، أو من لهم صلة بهم، وبخاصة في زماننا الذي كثرت فيه المحسوبية، وامتلأ بالمجاملات، وضياع الحقوق، وأصبح المال والوجاهة والسلطة أساس نيل المأمول .

***.. ***

إن تطبيق النظم الإسلامية كما هو في شريعة الله تعالى يحقق في الواقع الحقوق المذكورة بأمر الله تعالى ، حيث يقوم كل إنسان بواجبه، ويمتهن مهنة وعملا، وينتشر العدل، ويتقدم الاقتصاد، ويشرف الوالي على الإدارة والنظام، ويبيت الجند والرقباء بين الناس، ويتماسك الأفراد في تعاون تام، ويقوم كل فرد بمسئوليته، ويتحول المجتمع إلى خلية نحل تتعدد فيها المهام، ويقوم كل بما وكل إليه، وتتحقق النتائج المرجوة من عسل مصفى، وشفاء نقي، وفي ذلك آيات للمؤمنين العاملين .

---

(١) محاسن التأويل ٦ / ١٩٠٠ – ١٩٠١ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٥٢ .

المبحث الثاني
الغايات الكبرى
لتطبيق النظم الإسلامية في الدنيا

الإسلام منهج كامل للأحياء والحياة، ونظمه هي الوسائل التي توصل الناس إلى الغايات المنشودة .

وقد رأينا كيفية تحقيق النظم الإسلامية للمقاصد العاجلة، فهي تحافظ للناس على حق الحياة، وتصون كافة الحقوق الثابتة لهم منذ خلقهم الله تعالى، وعلى رأسها الكرامة، والحرية، والمساواة في إطار العدل، ومراعاة أحوال جميع الناس كل على قدر استعداده وحاجته، وسأوضح هذه المقاصد أكثر عند الدراسة التفصيلية لكل نظام .

والالتزام بالنظم الإسلامية ، وتطبيقها بصورة كاملة يؤدي إلى تحقيق مقاصد كلية في الدنيا والآخرة، فهي تؤدي في الدنيا إلى إخراج الأمة الخيرة، البعيدة عن صفات التخلف، والتي تحفظ لكل فرد حقوقه، وتدفعه إلى القيام بواجباته، وتجد النظام الإسلامي مطبقا بدقة في كل مجال، وكل واقع يعيشه الناس .

إن تعاون الولاة والجمهور والخاصة والعامة في تطبيق النظم الإسلامية يؤدي إلى قوة الأمة، وعظمتها بين الأمم الأخرى، ويحقق لها الاحترام والتقدير في العالم كله، فلا تعتدي دولة على حدودها، ولا تستولي على خيراتها، ولا تصد أحدا عن الإسلام، ولا تمنع الدعوة من الوصول لجميع الناس .

وواقع الأمة اليوم هزيل، فقد صارت عالة على الآخرين، وهانت على الأمم القوية، وصارت لا تملك إرادتها، وتعجز عن استخراج خيرات بلدها،

وصناعة دوائها، وقد أذلها الضعف، فهانت على نفسها، وعلى غيرها، وسبب ذلك بعدها عن شريعة الله تعالى ، وإهمالها للنظم الإسلامية .

فمع النظم الإسلامية يعيش المكلف وهو آمن، ويصدق في عمله مع نفسه، ومع الله تعالى، ويحيطه مجتمع يصون حقوقه، ويحمي حياته، ويقدره كإنسان عزيز كريم .

ومع النظم الإسلامية لن تجد حاكما مستبدا يحكم، أو قاضيا يجور، أو شاهدا يكذب، أو كسولا لا يعمل، أو مجرما يفلت من العقاب .

ومع النظم الإسلامية يسود العلم حياة الناس، ويحب المسلم أخاه، ويتولى أمور الناس ولاة أمناء، وينشط كل فرد فيما يوكل إليه من العمل ، ويتعامل كل مكلف بإخلاص، وإحسان وكأن الله تعالى يراه ويراقبه، فيخشاه، ويطيعه، ويتقيه .

إن أحكام الشريعة الإسلامية شاملة لكل نشاط يقوم به الكائن الحي، وقد صيغت في نظم محددة تسهل معرفتها، ويتيسر العمل بها ، وهي في جملتها تقدم الإسلام كله .

ويجب أن تكون النظم الإسلامية مقاس إسلامية المجتمع، فبمقدار التزام المجتمع بهذه النظم يكون الحكم عليه بأنه مسلم .

وقد يقال : إن مجتمع المسلمين اليوم ليس هو المجتمع الذي يرضى أفراده، ولا يعلي جماعته، لأنه بعد كثيرا عن شريعة الله ومنهجه، ولم يطبق إلا نذرا يسيرا من النظم الإسلامية، وقد تأثر بغبش المعاصي، وخلا من التدين الصادق، فالمصلي يدخل في صلاته وهو مشغول بدنياه، ويتعامل مع إخوانه بأخلاق رديئة، فيها الغش والكذب والخيانة، والكراهية، لا يصدق في قول، ولا يكمل عملا، ولا يحفظ أمرا وكل إليه .

والعاقل الصادق مع نفسه يدرك هذا الحال، ويرى بعد المسلمين عن إسلامهم، فهم يتعاملون بالربا،... ويتحاكمون بغير شرع الله تعالى، ويملأون بيوتهم باللهو واللعب، وأصبح الدين غريبا بينهم، يقلدون غير المؤمنين ، ويفرحون بالتبعية لهم، ولا يوجد بينهم عدل، وضاع الحق بينهم، وهم للكفر أقرب منهم للإسلام، وهؤلاء لا أثر للنظم الإسلامية فيهم، لأنهم لا يطبقونها، والمعدوم لا أثر له .

والمفاسد في المجتمعات الإسلامية كثيرة، وهي غير خافية على أي عاقل لبيب منصف، ولهذا لا تمثل المجتمعات الإسلامية اليوم الإسلام بكماله وتمامه، ولا تتمسك بنظم الإسلام إلا في قضايا النكاح، والطلاق، والميراث، وعباداتهم شكلية لا تنفعل بها أرواحهم وعقولهم، ولا أثر لها في أخلاقهم، ومعاملاتهم، **لهذا لا أثر للنظم الإسلامية في حياة المسلمين** .

وهنا نشير إلى أن المسلمين يوم أن طبقوا نظم الإسلام بدقة، والتزموا بمنهج الله تعالى، صاروا قوة غالبة غيرت طبيعة الناس، وحولتهم إلى عبيد لله وحده، يقدمون حياتهم وجوارحهم لله تعالى في صدق، وإخلاص، وحب، وسجلوا بذلك تجربة عملية تشهد لأثر الإسلام في الناس منهجيا، وعمليا، وتنظيميا، وهي تجربة الأمة الإسلامية في عصرها الأول، يوم أن قادها رسول الله ﷺ ، وخلفاؤه الراشدون بالحق إلى الحق، فقد تميزوا بالخلوص في الدين، والصدق في الإيمان، وانزلوا رسول الله ﷺ فيهم منزلة القائد العظيم، فأطاعوه واتقوا الله تعالى كما أمرهم ﷺ ، وحافظوا على الطاعات، وحفظوا الوحي المنزل، وعملوا به، ولم يبحثوا عن غيره من الشرق أو من الغرب، ولم يترددوا في الطاعة إن جاءهم أمر أو نهي .

إن التجربة الأولى للأمة الإسلامية يجب أن تعود بكافة عناصرها لنرى النظم الإسلامية مطبقة في حياة الأفراد والجماعات، ونشاهد التزام الجميع بمنهج الله ﷻ ، وتحكيم شرع الله تعالى في كل موجود .

إنهم الأمة التي قال الله تعالى عنها: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (١)، **ولقد تميزوا بمزايا عدة منها : -**

أ- **التزم أفراد هذا الجيل بطاعة الله تعالى، ورسوله** ﷺ ، وكانوا كلما علموا أمرا أو نهيا التزموا به على الفور مهما كلفهم ذلك من مشقة وعنت لما نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٢) قالوا على الفور: اجتنباه يا ربنا، وألقوا دنانهم المملوءة على الأرض، ورموا الكئوس التي رفعوها إلى أفواههم بما فيها من خمر .

ولما نزل أمر تحويل القبلة وهم في الصلاة تحولوا وهم فيها، فأكدوا في أعمالهم انه لا خيار لهم مع حكم الله القاطع كما قال الله عنهم : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٣) .

ب- **ألقوا مواريثهم القديمة**، وما أتاهم من الفرس والروم خلف ظهورهم، ولم يلتفتوا إليها البتة، وعلموا بصورة مطلقة أن الحكم لله ﷻ وحده، وأنه لا يماثله حكم مخلوق أبدا، ولم يرتضوا بما بقى من جاهليتهم، ولم ينتظروا في بيوتهم حتى يأتيهم حكم الله ﷻ ، وإنما كانوا يأتون النبي ﷺ ليسمعوا منه الجديد ، ويسألوه عن الجديد ، وكانوا يتناوبون في الاستماع

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٩٠

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٣٦.

لرسول الله ﷺ حتى لا يفوتهم شيء .

ت- أنهم ﷺ تأكدوا من تمام ، وكمال أحكام الإسلام ، فالتزموا بها وهم راضون سعداء، ولم يحدث فيهم أن قارنوا بين أحكام الإسلام وأحكام الفرس والروم لإيمانهم المسبق بأن حكم الله تعالى أعلى وأعظم .

ث-أنهم ﷺ لم يحاولوا الخلط في نظم حياتهم، ويأخذوا بعضها من الإسلام ، وبعضها مما كان عند الفرس أو الروم، لأنهم آمنوا – بحق- أن الباطل يفسد الصحيح، والخبيث يضر الطيب، وتيقنوا أن الإسلام دين كمله الله تعالى، وأتمه ولا يحتاج الناس معه إلا إلى الصدق، والإخلاص، والعمل كما أمرهم الله تعالى في قوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (١)

ج- أسلموا بقلوبهم، وأعمالهم، وأحوالهم، وتيقنوا أن الله تعالى أحياهم بدينه، وأصلحهم بشريعته، وأعلاهم بالإيمان على سائر الناس، واهتموا بنشر الإسلام في العالم كله، آملين في جنات النعيم .

لقد ظهرت آثار النظم الإسلامية في هذه التجربة، فثبت صدقها، ومن المعلوم أن من يثبت صدقه يمكن إعادته بصورته لينتج ما أنتجه في المرة الأولى .

ولسوف تبقى الأمة الإسلامية في هوتها السحيقة، وضعفها الذليل، وتبعيتها المنكسرة لأعدائها ما دامت بعيدة عن الإسلام، تاركة لشريعته، **ونظمه**﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البينة الآية : ٥ .

(٢) سورة الشعراء الآية : ٢٢٧ .

المبحث الثالث
الغايات الكبرى
لتطبيق النظم الإسلامية في الآخرة

النظم الإسلامية هي الإسلام في صورته العملية ، ولذا كان الالتزام بها في الأقوال والأفعال برهان على صدق الإيمان ، ويعد المتمسك بها مسلما صادقا في عقيدته وسلوكه وخلقه، وفقه الله ، وأكرمه بالسعادة في الآخرة ، ونأمل له ما قاله الله تعالى .

إن دخول الجنة برحمة الله تعالى ، وهو سبحانه وتعالى يدخل من يريد الجنة برحمته، وإحسانه، ويدخل من يشاء النار بعدله وقدرته، ومع إيماننا بأن الأمر في الآخرة مفوض لإرادة الله تعالى فإننا نأمل في وعد الله تعالى لعباده الصالحين الذين عاشوا في الدنيا بشرعه خاشعين قانتين مؤملين في وعد الله ﷻ الذي بشر به المؤمنين الصالحين، يقول الله تعالى : –

- ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ (١)
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ ﴾ (٢) .
- ﴿ * قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٧٧ .

بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ (١) .

- ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢) .
- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٣) .
- ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ (٤) .
- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ (٥) .
- ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٦) .
- ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾(٧) .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٥ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٣ .

(٣) سورة النساء الآية : ١٢٢ .

(٤) سورة النساء الآية : ١٧٣ .

(٥) سورة المائدة الآية : ٩ .

(٦) سورة المائدة الآية : ٥٦ .

(٧) سورة يونس الآيتين : ٣٥ ، ٣٦ .

- ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (١) .
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ (٢)
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ (٣) .
- ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٤) .

وتقدم السنة المشرفة صورا عديدة لسعادة الصالحين في الآخرة وهم في جنات النعيم ، ومنها : -

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : **(سئل رسول الله ﷺ عن الجنة ، كيف هي ؟**

قال ﷺ : " من يدخل الجنة يحيا لا يموت ، وينعم حتى لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه " .

قيل : يا رسول الله ، كيف بناؤها ؟

قال ﷺ : لبنة من فضة، ولبنة من ذهب ، ملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران) (٥) .

---

(١) سورة الحجر الآيات من ٤٥ : ٤٨ .

(٢) سورة الكهف الآيتين ٣٠ ، ٣١ .

(٣) سورة مريم الآية : ٩٦ .

(٤) سورة الزخرف الآية : ٧٢ .

(٥)المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب الفتوح، باب صفة الجنة - حديث : ٤٧١٢

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (... **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله ، فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة – أراه – فوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة**) (١) .

إن التزام المسلم بمنهج الله تعالى، واستقامته على شرع الإسلام يوصله إلى المقامات العالية في الآخرة حيث السعادة الحقيقية، والمتاع العظيم عند الله تعالى.

يصور ابن القيم هذا النعيم بما رواه عن انس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ ، أنهم قالوا : (... وكيف يقدر قدر دار غرسها الله تعالى بيده، وجعلها مقرا لأحبابه، وملأها من رحمته، وكرامته، ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب، وآفة، ونقص، ...

فإن سألت عن أرضها ، وتربتها فهي المسك، والزعفران.

وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن .

وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأزفر .

وإن سألت عن حصائها فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب .

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وسقاها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب .

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، حديث : ٢٦٥٥

وإن سألت عن ثمرها فأمثال التلال الين من الزبد، وأحلى من العسل .

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى .

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون .

وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم، والزنجبيل، والكافور .

وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير .

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام .

وأن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها.

وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها .

وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه، وسرره، وقصوره ، وبساتينه مسيرة ألف عام .

وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا من تلك الخيام .

وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية ، تجري من تحتها الأنهار.

وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار .

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب.

وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب.

وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها الشبخانات، وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب، فمالها من فروج ولا ظلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر .

وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر.

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين ، وأعلى منها خطاب رب العالمين .

وغن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء ، تسير بهم حيث شاءوا من الجنان .

وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملأى بالتيجان.

وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون ....

وينادي المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه.

فيقولون: ما هو ؟ ... ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار؟ **!!!**

فبينما هم كذلك إذ يسطع لهم نور أشرقت له الجنة، فيرفعون رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله، وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم ، وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم .

فيردون بقولهم: (اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام)، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم،ويقول يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم

يروني، فهذا يوم المزيد ؟

فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضينا فارض عنا .

فيقول ﷻ يا أهل الجنة : إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني .

فيجتمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى أنه ليقول لبعضهم : يا فلان أتذكر يوم أن فعلت كذا وكذا ، ... يذكره ببعض غدراته في الدنيا ، فيقول يا رب ألم تغفر لي ؟

فيقول ﷻ: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه .

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الله الكريم في الدار الآخرة .

ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥ ﴾ (١) (٢)

إن العقلاء هم الذين يسعون إلى ثواب الآخرة حيث النعيم التام، والسعادة الخالدة في طاعة الله تعالى، والالتزام بشريعته ونظمه.

والنصوص كثيرة، وكلها تؤكد أمل المؤمنين الصادقين، وهو ما نرجوه لمن يلتزم بشرع الله تعالى ، ويطبق نظم الإسلام ، ويحيا بمنهج الله تعالى .

---

(١) سورة القيامة الآيات من ٢٢ : ٢٥ .

(٢)حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص١٩٨ : ص ٢٠٣ ، (طبعة الأستاذ محمود حسن ربيع)

الفصل السادس

خصائص النظم الإسلامية

خصائص النظم الإسلامية

تتمايز النظم عن بعضها بخصائصها، وأوصافها، ومكوناتها لأن هذا التميز ينعكس على حقيقتها، .... وبالضرورة تختص النظم الإسلامية بمزايا خاصة لا توجد في غيرها ، ووصفها بالإسلامية يؤكد ذلك ويوضحه، كما أن أي نظام يوصف بمصدره، ويكون خاصا به.

إن أحكام النظم الإسلامية هي أحكام الإسلام بكافة أركانه وعناصره العقائدية، والتشريعية، والاجتماعية، والأخلاقية، وغير ذلك، ... وهي جميعا تتصف بالكمال والتمام، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

ووصف النظم بالربانية، أو الإلهية تعني أنها منزلة من عند الله تعالى وحيا إلى رسول الله ﷺ، وهذا يدل على كمالها وتمامها، وصلاحيتها لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، ويؤكد ضرورة العمل بها، والتمسك بتطبيقها في حياة الأفراد والجماعات في الأمة المسلمة، لأنهم اسلموا لله، واتبعوا دينه، وهذا يعني بالضرورة الالتزام بمنهجه، وإقامة حياتهم على نظمه وشريعته، **ويثبت هذا الوصف** لسائر النظم الإسلامية كافة خصائص الشريعة الإسلامية، ويؤكد صلاحيتها لكل زمان ومكان، ولسائر الناس.

ومن البدهي بعد ذلك أن تندرج سائر النظم تحت راية الربانية وتتمتع بدلالاتها على الكمال والتمام .

وكان ثبوت الربانية للنظم الإسلامية كافيا في بيان كل خصائصها، إلا أن المنهجية البحثية تقتضي التفصيل جريا على عادة العلماء ، وتثبيتا

---

(١) سورة المائدة الآية : ٣ .

لأصالة النظم الإسلامية أمام النظم الوضعية العديدة.

إن القائلين بالنظم الوضعية يفصلون، ويوضحون، ويدعون أن نظامهم بلغ المدى في الدقة والفائدة، ويحيطونه بالدعاية الواسعة، والبريق اللامع، وأصدروا حوله الدراسات والأبحاث حتى ظن العامة أن له قيمة وشأنا، وقد استفاد مؤلفو النظم العقلية بوضعهم المادي المتقدم، وتخلف المسلمين أمامهم، وتجاهلوا أن سبب هذا هو إهمال المسلمين لنظم دينهم .

ولهذا أرى ضرورة الشرح والتفصيل في النظم الإسلامية ، وإظهار خصائصها، وتبيين مزاياها التي تقصر سائر النظم الوضعية أمامها، وتوضيح ضرورة التمسك بها، ودعوة المسلمين إليها ، ليعود لهم مجدهم مرة أخرى .

إن عظمة النظم الإسلامية ترجع إلى أنها من عند الله تعالى ، وكل مزاياها تعود لهذا المنبع العظيم .

وسوف أبدأ – بإذن الله تعالى – بالخاصية الجامعة لجميع خصائص النظم الإسلامية وهي " الربانية" ، وسأتابع – بإذن الله تعالى – إيراد بقية الخصائص، مع التأكد المسبق بأن المنهجية العلمية هي التي عددت الخصائص، والأصل الثابت، أنها خصائص كيان واحد تتعدد صفاته، وهو واحد في ذاته، وذلك فيما يلي :

الخاصية الأولى
الربانية

تتصف النظم الإسلامية جميعا بأنها " ربانية " نظرا لمصدرها، وتأثيرها في الإنسان، فهي بكل أنواعها نزلت من عند الله تعالى، وتلقاها رسول الله ﷺ من ربه ﷻ ، وبلغها للناس، وأمرهم بالعمل بها، وليس للنظم الإسلامية مصدر غير الله تعالى، ولا يصح معها ذلك .

إن الله ﷻ رحم الإنسان بإنزال هذه النظم، ولم يتركه يهيم في بيداء الجهل والقصور ، وهداه لدينه القويم، ورفعه بهديه العظيم ، يقول الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١) .

إن البشر جميعا وأولهم رسل الله تعالى ملتزمون بتلقي نظم الله ﷻ، وتطبيقها كما هي، والحرص على عدم خلط منهج الوحي بأي فكر بشري، أو فلسفة وضعية، ففي تعاليم الله الكفاية لكل أمر، والحكم الصحيح لكل حال

إن الله تعالى هو مرسل الرسول، ومنزل الكتاب، والمنظم للكون كله، وهو المصدر الوحيد لمنهجه ونظمه، يقول الله تعالى :

- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٧ .

(٢) سورة الشورى الآيتين : ٥٢ ، ٥٣ .

- ﴿ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ (١) .
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ (٢) .

والمكلف العاقل يعيش مع النظم الإسلامية سعيدا بها، مطمئنا إليها لأنها جاءت من قبل ربه الذي آمن به ، ومن لوازم الإيمان الطاعة ، والانقياد، والاستسلام لله تعالى ، لأن الله ﷻ هو الذي خلق كل شيء وهو الذي خلق الإنسان، فهو العليم به، والخبير بما ينفعه، وليس أمام قدرة الله مجهول قط، ولذلك فشرعه تام كامل، يراعي مصلحة الإنسان الظاهرة والخفية، فينمي بدنه، ويرضي عقله، ويشبع روحه وعواطفه ، وعلى الإنسان بعد ذلك أن يعيش مع النظم الإسلامية كما نزلت، لا ينشئها، ولا يضيف إليها ، وإنما عليه أن يتلقاها كما نزلت ، ويفهمها على وجهها الصحيح ، ويتكيف معها، ويطبق جزئياتها في حياته العملية .

وسبب عظمة النظم الإسلامية ربانيتها، فقد أنزلها الله تعالى للناس، وجعلها ﷻ ملائمة لعقل الإنسان ومدركاته وحاجاته، فهي لا تتصادم مع العقل السوي، ولا تبتعد عن المصلحة في كافة حالاتها، .... ومع أن التعاليم الربانية أعلى من فكر الإنسان، وأوسع من دوائر الزمان إلا أنها مفهومة المعنى، واضحة الدلالة، يدركها العقل ، ويقبلها التطبيق بلا مشقة

---

(١) سورة المائدة الآية : ٦٧ .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٩ .

ولا عنت، وجهل الإنسان ببعض أسرارها جزء من المجهولات التي تحيط به، مثل الروح، وتفاعل عناصر النواة، وعلاقة العقل بالأعصاب .

إن الإنسان مخلوق حادث، محدود الإدراك في إطار رسالته التي خلقه الله تعالى لها، وهي العبادة والخلافة ولذلك رحمه الله فأنزل له النظم التي يفهمها ويعقلها ، وإن عجز عن الإتيان بمثلها ، وإدراك أسرارها .

إن الله ﷻ يخاطب العقل بما يفهمه، ويكلفه بما يقدر عليه، ويغيب عنه مالا يمكنه إدراكه، ولا يضره عدم معرفته .

والإنسان المسلم يسلم بهذه الحقائق، وعليه أن يتعامل معها، ويكتفي بآثارها .

وقد أتاح الله تعالى للإنسان مجالا للنظر، والتأمل ، والتفكر، ليرضى ويستريح، ويعلم أن ما شرعه الله تعالى له يكفيه .

ومن لوازم ربانية النظم أن يحرص الإنسان عليها ، ويقبل عليها في خشوع وتقوى ، فهي أوامر ربه العظيم ، تصنع النجاح، وتحقق الخير، وتنشر السعادة للناس أجمعين، وتهدي للتي هي أقوم ، إنها الإسلام في جملتها، ومن التزم بها فقد أطاع الله ﷻ، ومن تركها فقد ترك الإسلام .

إن الإسلام لم ينزل للناس إلا ليكون منهج الحياة، ويصير الصراط المستقيم فمن استقام على منهجه ونظمه فقد هدي للحق، وصار مسلما، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يعلن ذلك للناس ليتخذوه قدوة وأسوة، فقال ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٦١ .

والنظم الإسلامية هي الدين، فكيف يجوز لمسلم أن يتركها، ويفضل غيرها عليها ؟

ومن لوازم ربانية النظم أنها تصنع من الناس عبادا ربانيين يملأهم اليقين بهذه النظم، ويعلمون أنهم بها يعبدون الله بعقولهم، وجوارحهم، وأرواحهم، ويتخذونها جزءا من عقيدتهم، وأساسا رئيسيا في إسلامهم ، ويستحيل على المسلم أن يحارب الله ، أو يهمل دينه ، أو يختار غير منهج الله ونظمه .

إن مظلة التقوى تظلل المسلمين العاملين، وتظهر موقف المسلم تجاه دين الله تعالى فعلا أو تركا، وقد أمر الله بها ، فقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ (١) ، وبين سبحانه وتعالى أنها مقياس إسلام المسلم ، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (٢) ، والناس جميعا أمام هذا المقياس سواء ، قال ﷺ : **(يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى)** (٣) ، والمتقون هم أحرص الناس على طاعة الله تعالى، والاستقامة على نظمه ومنهجه .

ومن لوازم ربانية النظم أن المسلم ينوي بها القرب من الله تعالى رجاء نيل الأجر والمثوبة ، وهذا يحتاج بالضرورة إلى العلم بالنظم، والقيام بها لقوله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٣)مسند أحمد بن حنبل – مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ ،حديث : ٢٢٨٦٤

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ (١) ، والعلم بكيفيتها الشرعية ، وآدابها المرعية في الإسلام ... ولذا كان العلم بأحكام الإسلام واجبا على الكفاية ، والعلم بالنظم التي يحتاج إليها المسلم واجبا عينيا لابد منه لكل من يحتاج إليه .

وهكذا تتضح آثار الربانية في عقيدة المسلم، وأساسها الإيمان بالله تعالى ، وبكل ما جاء الوحي به ، وفروعها العمل والتطبيق، وثمرتها تحقيق التدين التام في حياة المسلم ليلقى الله تعالى وقد رضى عنه .

في إطار النصوص الشرعية يعلم المسلم مصيره في الآخرة، ويرى الجزاء الحسن الذي سيقابله عند الله تعالى إن استقام على منهج الله ونظمه، لأن هذه الاستقامة هي أساس الحساب والجزاء يوم القيامة ....

ودور الدعاة مع هذه الخاصية هو بيان كمال الدين، وتمامه من خلال ربط الأحكام الفقهية المستنبطة من الأدلة الشرعية بالمصلحة الحقيقية للفرد والجماعة ...

وعليهم بيان أن الأحكام الشرعية عند التطبيق تمثل نظما كلية أو جزئية، فلكل عبادة نظام في شرع الله تعالى، ولكل عمل من أعمال الإنسان نظام مستنبط من فقه الإسلام يسير عليه .

وعليهم العمل لربط المسلمين بالإسلام، وتذكيرهم بالصراط المستقيم الذي شرعه الله تعالى .

وعليهم بيان لوازم الربانية، ليقوموا بالواجب عليهم مع النظم، ودين الله تعالى.

---

(١) سورة محمد الآية : ١٩ .

الخاصية الثانية
الثبات والتطور

هذه الخاصية تعني ثبات النظم الإسلامية على النحو الذي نزلت به، فهي لا تتغير، ولا تتطور، ولا تقبل فكرا بشريا في تصوراتها الكلية والجزئية .... وهذا لا يعني منع التغيير في صور تطبيقها، وتجميد حركة الحياة معها، وإنكار تطور الأعراض، لأن الله تعالى شرع النظم الإسلامية مع نزول القرآن الكريم ، والسنة النبوية، ووضعها أمام العباد في إطار ثابت تتحرك خلاله الأعمال، وتدور حول محو ثابت، فهي ثابتة في تصوراتها الذاتية وقيمها الأساسية، وتتغير مع تغير واقع الحياة، وحركة الناس، وصور التطبيق، فالحركة البشرية ، والتطبيق العملي يتغير بتغير الزمان ، والمكان، والناس، إلا أن الخطوط الرئيسية والمنهج العام للنظم ثابت لا يتغير .

ومثال ذلك أداء الصلاة ، فقد يصليها البعض جالسا، والبعض الآخر واقفا، ولكنها مع تغير صورتها عند التطبيق تحافظ على ذاتيتها كعبادة لله تعالى لها خصائصها وأحكامها .

والكائنات كلها ثابتة الماهية ، ولكنها تتخذ أشكالا متغايرة في إطار الواقع الحركي والواقع الحياتي.

فالإنسان يتمتع بالإنسانية بروح الله المبثوثة فيه، وتبقى إنسانيته ثابتة مع تغير أطور حياته أثناء انتقاله من الطفولة إلى اليفاعة، إلى الشباب ، .... وهكذا إلى الموت .

ولبيان هذا الثبات في النظم الإسلامية نورد ما نعلمه عن حقيقة الغاية التي خلق الله لها الإنسان والكون كله، فقد خلق الله تعالى الإنسان للعبادة

والخلافة، يقول ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) ، وقال ﷻ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٢)، وتظهر العبادة في صور شتى، وتوجد في كل نشاط يقوم به الإنسان في كافة شئون الحياة ، وهذه الشئون متجددة، ومتنوعة، وصورها غير ثابتة ، إلا أنها مع هذا التغيير تتجه إلى الله دائما ، وتتحاكم إلى منهج الله تعالى، ولا تخرج عن الإطار العام .

والمحور الأساسي للنظام هو عبادة الله تعالى .

وأيضا فإن الإنسان مستخلف في الأرض، فهو يزرع الأرض، ويصنع السيارة، ويبيع ويشتري، ويرسل الأقمار الصناعية ، ... وهذه الأعمال وغيرها صور متغايرة ، إلا أنها تدور حول الخلافة الثابتة .

والإيمان بثبات النظم ركن أساسي في الإسلام، لأنها هي الإسلام، والقول بعدم ثبات حقيقة النظم يؤدي إلى القول بعدم الحاجة إلى الإسلام .

كما أن القول بعدم ثبات النظم الإسلامية مع انقطاع الوحي وانتهاء الرسالات يؤدي إلى الحاجة إلى نظم بشرية،وهذا لا يمكن القول به .

ويؤكد التطبيق العملي للنظم الإسلامية ثباتها، واستمراريتها في حياة المسلمين أكثر من أربعة عشر قرنا، ... وما أسقطها عن واقع الحياة إلا أعداء الإسلام والمسلمين ، .... وما اغني فعلهم شيئا ، فقد ظهر فساد أعمالهم، ولم يستقر لهم نظام ، وما صلح بنظامهم شيء .

إن النظم الإسلامية ثابتة في مصادرها، وستبقى كذلك إلى يوم القيامة، يطبقها من يريدها بشروطها، وأحكامها .

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٣٠ .

وإذا نظرنا إلى النظم البشرية نجدها لا تثبت على حال، وتتغير دائما تغيرا كليا، ويعيب أصحابها عليها إن طال العمل بها مدة من الزمان، ونراها بين الناس مختلفة، فلكل جماعة نظام، ولكل أمة منهج وطريق .

إن ثبات النظم الإسلامية يصون الحياة الإنسانية، ويحقق لها ما يلي :

١- استمرار طاعة الله تعالى والتمسك بنظمه وشريعته .

٢- وضوح التوافق بين الناس في العمل المتنوع المرتبط بمحور ثابت .

٣- التنسيق بين حركة البشر وحركة النظام الكوني العام، فخالقهما واحد ونظامهما يؤدي لغاية واحدة .

٤- توحيد الأمة على منهج الله تعالى ، وجمعها على كينونة واحدة مع اختلاف الزمان والمكان .

إن المسلم يشعر في كل وقت بقيمة هذا الثبات، وفوائده، فما زال المسلمون يسعدون بفكرة الإخاء الديني، وإيجاد الفرد الصالح، وصناعة الأمة الخيرة، ووضع كل حال في مكانه الصحيح.

ومسئولية الدعاة أن يؤكدوا للمدعوين ثبات الحقائق الدينية، ويبينوا لهم أن الثوابت الدينية باقية على صورتها التي شرعت بها، أما المتغيرات فإن التغيير يكون في مظهرها، أما حقيقتها فهي ثابتة كما شرعت في إطار القواعد العامة ، والأسس الكلية .

الخاصية الثالثة
الشمول والاتساع

تعني هذه الخاصية أن النظم الإسلامية شاملة لكل جانب من جوانب الحياة والأحياء، وشاملة لجزئيات كل أمر تنظمه، وتتسع أحكامها لتشمل كل أفراد هذا الأمر وجزئياته، وسبب ذلك أنه نظام منزل من عند الله تعالى خالق الكون كله بكياناته، وذراته، وأفراده، وشخوصه على نحو واضح معروف .

ونلحظ أن شمول النظم الإسلامية تتخذ صورة أفقية وصورة رأسية، فهي تتسع لكل موجود، وتشمل الأحكام المنظمة لكل مخلوق، ففيها نظم نزول الماء، وحركة الشمس، والقمر، ومنهج الاستفادة بمخلوقات الله تعالى الحية والجامدة ، حتى صار مؤكدا وجود نظام لكل كائن مخلوق ندرك بعضه بعقولنا ، ويخبرنا الوحي ببعضه الآخر ، والله تعالى عليم بالإنسان وحاجاته، ورغباته، ولذا شرع النظم التي يسير عليها الإنسان، ويحقق بها منهج الله تعالى، فهو سبحانه العليم بالنظم التي شرعها، وهو سبحانه الذي خلق الإنسان، وهو الأعلم بما يصلحه .

وتتعمق النظم الإسلامية رأسيا في الأمر الواحد، فتوضح نظام كل جزئية يتكون منها هذا الأمر، **ومثال ذلك** ما نراه في نظام الإسلام في صناعة الإنسان ، إذ يبدأ بتهيئة محضنه الذي يوجد فيه، ويستمر معه في حياته بعد مولده، إلى أن يلقى الله تعالى ، ... كما يشرع لتركته بعد موته، ومن خلال هذ النظام العام نجد نظما عدة تحدد منهج تعليمه، ومنهج دعوته، وإيمانه، وطريقة حياته، ومعاملاته مع غيره .

إن الإسلام يوضح للإنسان كيف يبيع، وكيف يشتري، وكيف يأكل، وكيف يشرب، وكيف يتزوج، وكيف يسافر ، وكيف يعمل، وكيف يدخل الخلاء، وكيف يخرج منه، .... ويعرفه بالحلال المشروع ، ويأمره به، وينهاه عن المنكر والحرام ، ويحذره منه .

وقد بينت المذاهب الفقهية نظام الإسلام في الإلهيات والعبادات، والمعاملات والأخلاق، ....

إن استعراض صفات المؤمنين في القرآن الكريم توضح أن المؤمن له عقيدته الثابتة، وعباداته التكليفية المشروعة، وأخلاقه الكريمة الحسنة .

يتحدث الدكتور/ عماد الدين خليل عن شمول النظم الإسلامية ، فيقول: "شمولية الإسلام تتضح من وضعه نظما لكافة الأنشطة، والامتداد الشامل لكافة مناحي الحياة، والتوغل في نسيج الأحياء، والوجود، ومتابعة كل ما يهم الإنسان ويهتم به (١) .

وهذا المنهج الإسلامي في شموله يضع للمسلم نظما عدة لسائر أمور الحياة والأحياء، فيعرف بنظام الإيمان والاعتقاد، ويملأ العقل بالرضى، والاقتناع، ويشد الروح إلى الله تعالى ، ويجمع عناصر الإنسان كلها في كيان واحد تتعاون أجزاؤه، وتنسجم غرائزه مع أفكاره، وعواطفه ليخضع بكليته لله رب العاملين، خضوعا مكونا من العلم بالله ﷻ، والتصديق بكل ما يليق به ﷻ ، ومعتمدا على يقين العقل، وسعادة الروح، ونشاط الجوارح، إحياء لما كان عليه ﷺ وهو يقول : **(يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها)** (٢) ،

---

(١) مؤشرات حول الحضارة ص ٦٠ .

(٢) سنن أبي داود - كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة - حديث : ٤٣٥٤ .

وحين يقول ﷺ : (**وجعلت قرة عيني في الصلاة**) (١) .

وتوضح النظم الإسلامية أركان العقيدة، وتقدم البراهين في صور قصصية عجيبة من خلال مواقف الرسل مع أقوامهم .

ولابد من الإيمان بشمول النظم الإسلامية لكل موجود في الوجود ، واستمراريتها لكل زمان ومكان إلى يوم لقيامة ، فقد انقطع الوحي، وثبت الدين بثبوت مصادره، وصار هذا الشمول جزءا من الإيمان بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، ... ولا عجب في شمول النظم الإسلامية، لأنها منزلة من الله تعالى، وقد شملت قدرته ﷻ الوجود كله فقد خلقه، ودبر شئونه وهيمن عليه، ونظمه في قضائه وقدره .

يقول الله تعالى موضحا آثار قدرته ﷻ في الكون الرائع، والخلق المنظم، وقد جعلها براهين الإيمان حيث توضح القدرة الإلهية وبيان عنايتها بالإنسان وتمكينه من كون جميل منظم له رسالة وغاية، كما قدر الله تعالى : -

- ﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ

---

(١) مستخرج أبي عوانة - مبتدأ كتاب النكاح وما يشاكله، باب ذكر حض النبي ﷺ على تزويج الأبكار - حديث : ٣٢٥٦

ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩ ﴾ (١) .

إن الله تعالى خلق كل شيء ونظمه، ورعاه، ووهبه للإنسان ليستفيد، ويشكر ربه على هذا النظام الكوني الكبير .

إن الآيات تشير إلى نظم الزراعة، والفلك، والخلق، والمطر، وتقدمها للناس ليعلموا، ويفقهوا، ويؤمنوا، ... ويقول الله تعالى :

- ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾(٢) .

إن المجاهيل في الكون عديدة، ولا يعلم حقيقتها إلا صانعها، وهو الله رب العالمين، ولذا كان تشريعه للوجود شاملا لكيانه وجزئياته، ومستمرا على الزمن كله .

وتظهر هذه الخاصية حين نقارن النظم الإسلامية بغيرها، إذ نجد لكل جماعة نظاما خاصا بها تقوم بتغييره بين الحين والحين حين تكتشف قصوره حتى أنهم يعيبون القانون إن استمر مدة طويلة .

إن النظم الإسلامية تتميز عن غيرها بالشمول، والسعة، والدقة، والعمق، والأصالة، والبقاء في كل عصر ومصر .

والمؤمنون حين يوقنون بشمول الإسلام لكل حياتهم لا يحيدون عنه أبدا،ولا يصح منهم ذلك ، لأن فيه كل ما يحتاجون إليه، وفيه كل ما يريح بالهم، ويصلح حياتهم، ويحقق سعادتهم، ويضعهم في بوتقة العبودية

---

(١) سورة الأنعام الآيات من ٩٥ : ٩٩ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٥٤ .

الخاشعة لله ، المؤمنة به، الراضية بما أعطى وبذلك يعيشون في الأرض أمة واحدة، تتلقى من الله ، وتطبق منهجه، وتعمل على حسن الرجوع إليه، ولا يتصور من الناس غير هذا اليقين، لأن غير الله لا يفعل شيئا، ولا يجلب نفعا .

إن النظم الإسلامية في شمولها تظهر في حياة المسلمين أفرادا وجماعات ظهورا جليا في كل أعمالهم الخالية من أي شرك أو مخالفة.

والهدف الكلي للنظم الإسلامية تحقيق العبودية الخاشعة في المكلفين عن طريق عبادة الله تعالى بعمومها وشمولها لكل جهد بشري يتجه فيه الإنسان لله رب العالمين .

إن العبادات المشروعة المحددة تأتي في الوحي ومعها المنهج الإلهي الشامل لكل نشاط وعمل، للإشارة إلى أن كل عمل بشري يجب أن يكون عبادة بالتوجه به إلى الله تعالى الذي أمر به، وربطه بنية القصد فيما قضى الله سبحانه به .

يقول الأستاذ محمد أسد: " إن العبادة في الإسلام ليست محصورة في أعمال الخشوع الخالص كالصلاة، والصيام مثلا ، ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية، وإذا كانت الغاية من حياتنا على العموم عبادة الله ، فالواجب أن ننظر إلى هذه الحياة في مجموع مظاهرها كلها على أنها تبعة شاملة ، متعددة النواحي، وأن نأتيها بوعي على أساس أن كل عمل فيها يؤلف جزءا من المنهج الكلي العام كما أبدعه الله تعالى .

إن موقف الإسلام من هذا الشمول لا مرية فيه، وهو ظاهر في منهج الإسلام، ونظامه الشامل الواسع .

إن هذا الشمول يؤكد للإنسان الحقائق التالية : -

١- أن عبادة الله تكون في كل نظم الحياة تفصيلية أو كلية .

٢- ضرورة توحد حياتنا الروحية مع حياتنا المادية، وتوجهاتنا العقلية، وسائر أعمالنا حتى يستقيم حال الإنسان ، ويبتعد عن الخلل والاضطراب(١) .

إن الإسلام يتضمن المنهج الوحيد الذي ينظم علاقة الإنسان بالخالق، وفي نفس الوقت ينظم للإنسان حياته الخاصة، وعلاقته بأهله وأقاربه، وعلاقته بالناس وبالكون من حوله في شمول عجيب مرتبط بالغاية المقصودة

إن الدعاة إلى الله تعالى يمكنهم أن يبينوا للمدعوين الفوائد العامة المترتبة على الالتزام بالنظم الإسلامية في شمولها، وأهم هذه الفوائد : -

أولاً : تعريف الناس بربهم تعريفا دقيقا شاملا لذاته، وصفاته، وأفعاله، وكماله، وجلاله، وتعريفهم بأثر القدرة الإلهية في الكون، وفي الناس، وفي جميع العوالم والأمم الحية حيث الدلالة على الصانع الواحد، القادر الحكيم ، كما يقول الله تعالى : -

- ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ (٢)

---

(١) الإسلام في مفترق الطرق ، ترجمة الدكتور / عمر فروخ ص ٢١ ، ٢٣ بتصرف .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٥ .

- ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١) .
- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٢) .

والآيات واضحة الدلالة على أن الله تعالى متصف بكل كمال يليق بذاته، فهو الحي القيوم، مالك الملك، والأمر كله بيده، وأن قدرته سبحانه وتعالى عمت الوجود كله، فخلق كل شيء وهداه لما خلق له، ... كما تدل الآيات على الترابط العجيب ين مكونات الكون وحاجات الإنسان في شمول تام، خال من التضارب والاختلاف، فالسماء مرفوعة بغير عمد، والشمس والقمر لا يغيبان، والكون كله يتحرك بأمر الله تعالى، وفيه الآيات والبراهين لأصحاب العقول والأفهام .

ثانياً : تعريف الناس بالحياة وما فيها من مخلوقات، وبالأحياء وما معهم من آيات، وبالكون وما فيه من عجائب وبراهين، وبيان أن ذلك عطاء من الله تعالى يقدره، ويحكمه، ويسخره وفق علمه وإرادته .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) سورة الرعد الآيات من ٢ : ٤ .

ثالثاً : ربط النشاط الإنساني كله بجهة واحدة، منها يأخذ، ولها يعمل، وإليها يعود، هذه الجهة هي الله تعالى، يتجه الإنسان إليه في رجاء وخشوع، والتزام قولا وعملا، وتصورا، واستجابة ، .... وبهذا تتحقق الوحدة الإيمانية ، وتوجد الأمة الصالحة .

رابعاً : تحقيق الراحة النفسية، والطمأنينة العقلية أثناء العمل والسلوك، لأن تماسك القاعدة، واتحاد الأعمال، وخلوص التوجه لله الواحد الأحد يحقق الأمن والهدوء، ويعصم الإنسان من الخضوع لغير الله تعالى، في كافة شئون الموجودات، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾(١) .

خامساً : التعلق الدائم برضى الله تعالى ورضوانه، لأن الاستقامة على المنهج الإلهي يحقق الآمال، والمنى، ويرضى القلب والروح، وما يقضي الله به هو الحق، والحق أحق أن يتبع، وإن غاب عن عقول الناس ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ (٢) ، ونلحظ في أساليب الرسل – عليهم السلام– أنهم كانوا يدعون أقوامهم ، ويؤملونهم في تحقيق الأمل إن استقاموا وأطاعوا .

والمسلمون اليوم هم سبب الضعف والهوان الذي هم فيه، فقد تركوا نظم الإسلام ، واستبدلوا بها غيرها، .... والأمل أن يعودوا إلى الله تعالى .

---

(١) سورة محمد الآية : ١٧ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢١٦ .

الخاصية الرابعة
التوازن والتكامل

الإنسان مركب من عناصر عدة متباينة في حقيقتها، وحاجاتها، وأملها،... ولا تسلم حياة الإنسان إلا بإشباع هذه العناصر جميعا، ووضعها في اتجاه واحد ترضى به، وتسعى إليه، ولن يتحقق لها هذا الحال إلا بالمنهج الذي قدره الله لها، فهو العليم بها، والخبير بأحوالها، وتقلباتها، وقد جعل الله نظمه في صناعة الإنسان متوازنة في تكامل، وتعاون، وانسجام، فشرع للعنصر المادي ما يشبعه ويكفيه، وشرع للروح ما يسعدها ويسرها، وشرع للوجدان ما يطمئنه ويرضيه .

إن الكيان الإنساني في جملته يعيش أمورا متعارضة مثل الخوف والأمن، والطمع والرهبة والأنس، والفزع والطمأنينة، ويجد في النظم الإسلامية الطريق المستقيم الذي يربطه بالله ﷻ، ويشبع عناصره، ويحدد له المنهج المستقيم الذي يرضيه، ويقويه، ويدفعه إلى البعد عن التعارض الموجود بين العاطفة والضمير، وبذلك يمشي الإنسان ثابت الخطو، موصول الأمل، حذرا من المزالق، مبتعدا عن المخاطر باتباع ما أمر الله به ، وترك ما نهى عنه، متيقنا بمعية الله تعالى وهو يطيعه .

إن التوازن في المنهج الإسلامي يعتبر الوحي مصدر الدين كله ، ومع ذلك لا يلغي العقل، ولا يلغي المؤثرات البيئية ، ويضع الضوابط التي تضع العقل في موضعه مع النظم، ويسمح للمؤثرات الكونية أن تفعل بشرط الالتزام بالوحي المنزل ، وضوابطه العامة .

ومن التوازن في النظام الإسلامي ربطه المخلوقات كلها في كيان كبير يكمل بعضه بعضا، وينسق بينها، ويوحد مقاصدها وأهدافها، لدرجة تسمح

للعقل أن يتخذ من آيات الكون دليلا وبرهانا، وموطنا للكسب ، والعمل، ومتكأ يوصله بالله تعالى، وبذلك تتناسق الكائنات بلا تعارض بينها، فقد خلق الله تعالى -﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ ﴾ (١) .

والتوازن يحقق استمرارية الكون، وتكامل المخلوقات ، وقيام كل مخلوق بدوره الذي هداه الله إليه، فهو كلبنة صغيرة توضع في مكانها لتصنع مع أخواتها بيتا جميلا متناسقا ، بلا عيب ولا خلل، ... فالماء يسير من منبعه إلى مصبه، والهواء يجري في كل مكان، ويسبح الطير، ويتكاثر السمك، وينبت الزرع، وتتوالد الأنعام، .... وغير ذلك لتتكامل الموجودات في كيان واحد، يعمل بلا توقف، ولا تضارب، ذلك تقدير العزيز العليم .

إن النظر في المخلوقات الموجودة على كثرتها يظهر أثر الموجد الواحد في المخلوقات، ويشاهد العجب المعجز في تكامل المخلوقات، وتوازنها الحركي وهي تقوم بعملها الذي قدره الله لها .

يقول الله تعالى : -

- ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى

---

(١) سورة الرحمن الآيات من ٥ : ٧ .

لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١) .

- ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢) .

- ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ (٣) .

والآيات واضحة الدلالة في إثبات التوازن الدقيق بين السماء والأرض، والماء والزرع، وبين الليل والنهار، وبين الشمس والقمر، وفي هذه التوازنات آيات لقوم يعقلون .

وما في الناس من قصور وقع بسبب بعدهم عن منهج الله تعالى، وعدم تطبيق النظم الإسلامية، وقد أدى هذا الحال إلى الاضطراب ، والتنافر، والحيرة، والهوى، ومثل الناس كمثل مريض ذهب لطبيب ماهر ، فعلم داءه، وحدد دواءه ، فأهمل المريض أخذ الدواء على النحو الذي حدده الطبيب، وكانت النتيجة استمرار المرض والعجز، ....

والواجب أن يلوم المريض نفسه، فهو الذي أهمل وضيع، وهو الذي ترك طريق الشفاء ، والأمل .

---

(١) سورة يس الآيات من ٣٣ : ٤٠ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢ .

(٣) سورة ق الآيات من ٦ : ١١ .

الخاصية الخامسة
الإيجابية العملية

خلق الله الإنسان، ومكنه من الأرض، وسخر له الكون كله، وأمره بالسعي والعمل، ووعده بالجزاء الحسن ، والآثار الطيبة .

وقد اتصفت النظم الإسلامية بالإيجابية لأنها تجعل الإنسان عبدا لله الخالق يعيش مع الوحي، ويفهمه، ويعمل بمقتضاه، ويعلم أن الله معه بالعلم والمعونة، والنصرة، والتوفيق .

وتتحق الإيجابية في النظم الإسلامية في إنشاء إنسان يتفاعل مع ما آمن به، ويستقيم على منهج ربه، ويجعل من ذاته شخصا يؤمن بالله تعالى المتصف بكل كمال يليق به ﷻ ، ويتعامل معه في كل حال وآن، فهو إله حي موجود، عليم، قادر، فعال لما يريد، ، ويقف أمام حقائق الكون والوجود، فقد أوجد الله الخلق جميعا كما قدره وأراده منذ الأزل ، وهدى كل مخلوق لما خلق له .

يعيش المسلم مع هذه الحقائق، فيؤمن بربه، موقنا بكل ما جاء في القرآن الكريم .

يعرف القرآن الكريم الإنسان بالله تعالى ، ويقدم للعقل السليم براهين وجوده وقدرته، فيقول الله تعالى :

- ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٥٤ .

- ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ۝١١ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۝١٢ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ۝١٣ ﴾ (١) .
- ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧ ﴾ (٢) .

وينطلق المسلم أمام هذه الحقائق إلى العالم الذي يعيشه، ويتأمله وهو يتفاعل معه، فيرى الله في ذاته المركبة من عناصر تعمل بتلقائية مدهشة، يراه في طعامه، وشرابه، وأجهزته العقلية، والعضلية، وأعمال الرئة والقلب، والأوردة والشرايين، وكيفية إخراج الفضلات بطريقة عادية ، ... ويرى الله تعالى في الكون القريب والبعيد ، حيث يرى الشمس والقمر، والماء، والهواء، والأنعام، والطير، والبهائم ، والسباع، والحشرات، والهوام، وكيف تعيش، وكيف تعمل لخدمته، وإعانته بلا جهد ولا عمل .

يرى الإنسان أسرار خلق الوجود، ويؤمن بالله الذي أوجده، وسواه، وأمره أن يستمر في عمله إلى أجل يعلمه الله تعالى .

---

(١) سورة الرعد الآيات من ٨ : ١٣ .

(٢) سورة المجادلة الآية : ٧ .

يرى المسلم ربه في نفسه، وعناصره، ويجد نفسه عبدا مطيعا لربه، فهو صاحب الفضل، وهو العليم الخبير، وهو معه في كل لحظة، وهو على كل شيء قدير.

هذه الإيجابية في النظم الإسلامية تحدد للمسلم طريقه الذي يلتزم به مع ربه الذي يراه، ويسجل عليه كل عمله، ويمده بالعون والنصرة، فيخلص في طاعته لربه، فهو خالقه، ورازقه، ومالك أمره كله .

لقد عاش المسلمون الأول بهذا الفهم الحقيقي للإيمان، فصاروا صورة عملية في تطبيق النظم المتصلة بالإيمان ، والعبادة، والأخلاق، وأصبحوا صورة إسلامية للمسلم الحقيقي في قوله، وعمله، وقوة إيمانه، وخلوص عمله، وبهذا المسلم خرجت خير أمة للناس في أرض الله تعالى .

صنعت هذه الإيجابية أمة مسلمة جادة، متحركة، عاشت حياتها، وعملت بمنهج الله تعالى ، وأطاعت أوامره ، ونهيه، وصنع الله تعالى بهم أمة صالحة، مستقيمة، تعمر الأرض، وتنشر الأمن، وتحقق السعادة .

لقد تحرك المسلمون في الأرض، ونشروا الإسلام، وأروا الدنيا ما يفعله النظام الإسلامي للإنسان من خير، والمدى الذي وضعه الله ﷻ للناس، وحولوا الإيمان إلى عمل دقيق، وسلوك حسن .

إن الإيجابية في النظم الإسلامية تحقق في الإنسان – فردا أو جماعة – الآثار التالية : –

أولاً: القيام بلوازم إيمانه، وضرورات شهاداته بأن الله هو مالك الملك، وله منهجه، ومن لوازم شهادة التوحيد القيام بحقها في نفسه ومع الناس .

ثانياً : حب الخير للناس، فهو يعبد الله فيهم، وهو مع جميعهم ملتزم بطاعة الله تعالى ، والجميع إخوة متعاونون .

ثالثاً: الاشتراك في المسئولية العامة في المجتمع الإنساني، وعليه أن يدعوهم إلى الحق، وينقذهم من الضلال، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم، ويكون أسوة لهم .

رابعاً: العمل الدءوب لتحقيق منهج الله تعالى في حياة الناس، وتطبيق النظم الإسلامية المنبثقة من المنهج الإلهي الشامل .

خامساً: المساهمة الضرورية العملية لإيجاد المثالية الإسلامية الواقعية في جوانب الدنيا ليتحقق وجود الإسلام في حياة الناس، وليخلص الإيمان بالله الواحد الأحد في الأرض، ويسعد الناس برضى الله تعالى .

إن إيجابية النظم الإسلامية تجعل المسلم قوة فاعلة تفيد نفسها، وتعمل لخدمة المجتمع كله في كل المجالات، فقد خلق الله تعالى الناس، وسخر لهم ما خلق في السماء من بروج، وأفلاك، وما في الأرض من زرع وثمر، وأوجد الليل والنهار، والشمس والقمر، والبحر واليابسة، وأنزل المطر، وجعل الجبال أوتادا، وأمر الناس أن يتفاعلوا مع هذا الخلق، ويستفيدوا به، ويشكروا الله تعالى بأعمالهم وألسنتهم، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

ولهذا يأمر الله تعالى المسلمين بالنصح، والتعاون، والعمل الجاد في كل وقت، يقول الله تعالى : -

- ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (٢)
- ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

وبهذا التصور تتحقق الإيجابية في المجتمع المسلم وهو يتوجه إلى الله تعالى بالطاعة، وللناس بالدعوة والعمل .

ودور الدعاة مع هذه الخاصية بيان ما يلي :-

١-**الإيمان التام بالله تعالى** ، وبكل ما يليق به من كمال، ومعرفة فضائله ونعمه على الإنسان الذي خلقه، وسواه، وجعله خليفته في الأرض ، ومن المهم بيان تميز الإله الذي يؤمن به المسلم عن الإله الذي صوره الفلاسفة، ووصفته المذاهب والأديان السابقة .

٢- **ضرورة تفاعل المسلمين الدائم بمنهج الله تعالى،** لأن هذا المنهج أنزله الله تعالى للناس ليسيروا على هديه، ويلتزموا بما جاء فيه، وبذلك يعيش المسلم مع الله في كل أعماله ، وأقواله، وسائر أحواله .

٣- **مسئولية الإنسان عن غيره من الناس،** وعليه أن يقوم بواجبه معهم كما جاءت به النظم الإسلامية .

---

(١) سورة النحل الآيات من ١٠ : ١٦ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٠٥ .

(٣) سورة العنكبوت الآية : ٦٩ .

الخاصية السادسة
التوازن والإشباع

خلق الله تعالى الإنسان مكونا من عدد من العناصر :

ففيه الجسد المادي، ومطالبه هي إشباع غرائزه المادية من مطعم، ومشرب، ومنكح، وأعمال مشتركة مع الناس.

وفيه العقل المدرك، وبه يفكر، ويتصور، ويعرف، ويعلم، و يقرر .

وفيه روحه التي وضعها الله ﷻ في الكيان المادي ، ونفخ فيه الحياة.

وقد نزلت النظم الإسلامية لإشباع عناصر التكوين الإنساني كلها في إطار المشروعية الإسلامية التي تتعامل مع الإنسان على أساس انه كيان واحد لا تنفصل عناصره عن بعضها .

فالجانب المادي لا ينفصل عن العقل والتفكير، .... والعقل يعمل لتوجيه الجوارح للعمل، والروح تتحرك مع العقل والبدن في تكامل يؤكد وحدة الإنسان ، ... وقد يتجه الخطاب الإلهي لأحد عناصر الإنسان ، إلا أنه يوجهه لمنهج لا يلغي العناصر الأخرى.

وسمى العلماء إشباع كافة عناصر الإنسان بالتوازن، والفطرة، لأن الإسلام يشبع كافة العناصر، ويتعامل مع رغباتها التي خلقها الله عليها، ويربط الإنسان بكليته بالله رب العالمين، فهو إذ يأكل، ويشرب، ويعمل، وينكح فهو باسم الله.

وهو يقوي روحه بالصلة بالله.

ويقوي عقله بالنظر في آلاء الله، ومعرفة حدود الإيمان، وواجباته مع الإنسان .

وكافة النظم الإسلامية لا يقدمها الإسلام إلا في ثوب يشمل الجسد ، والعقل، والروح، فهي إصلاح شامل للإنسان كله .

إن الإسلام يوازن في منهجه بين حاجات الجسم، ومطالب العقل، ورغبات الروح، وبذلك يحقق الانسجام بين الماديات والمعنويات، وبين الواقع والأمل، وبين الإيمان بالمشاهد والغيب، وهذا ما يعنيه وصف الأمة المسلمة بالوسطية، يقول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١) .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : الوسط هنا بمعنى الأخير ، والأجود، ولما جعل الله تعالى هذه الأمة أمة وسطا خصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وأوضح الطرق (٢) .

يقول الدكتور/ عماد خليل عن التوازن في الإسلام: يعد التوازن ملمحا رئيسيا في النظم الإسلامية، ... فهو توازن في كافة الاتجاهات، وعلى كل الجهات، .... ووسطية الإسلام ليست موقعا جغرافيا، أو مكانا محددا، ولكنها موقف عقدي، ورؤية لموقع الإنسان في الكون والعالم ، ...

إن هذه الوسطية تعطي الإنسان القدرة على أن يجمع المتعارضين في نسق واحد لتحقيق غايات واحدة، إنها تنسق بين الظاهر والباطن، والحضور والغياب، والقدر والاختيار، والوحدة والتنوع، والفردية والجماعية، ورؤية العقل، ومنهج الوحي، والفناء والخلود (٣) .

إن الإسلام يحقق للإنسان التوازن الشامل لعناصره كلها ، فيبيح له كل

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

(٢) تفسير بن كثير ج١ ص١٩٠ .

(٣) مؤشرات حول الحضارة الإسلامية ص٦٤ .

حـــلال طيـــب، يقـــول الله تعـــالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (١) .

ويـدعوه إلـى التفكيـر والتأمـل والاعتبـار، يقـول ﷻ : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢) ، ويقـــول ﷻ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٣) ، ويسمو بروحه إلى أفاق قيمية عالية ، ويحثه على كسب خيري الدنيا والآخرة ، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٤) .

ولتحقيق هذا التوازن في حياة الإنسان نجد الإسلام يحث المسلمين على إشباع عناصرهم بما أحله الله لهم، فقد ورد **(أن النبي ﷺ آخى بعد الهجرة بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة – أي غير متزينة .**

فقال لها : ما شأنك ؟

قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٥٧ .

(٢) سورة الذاريات الآية : ٢١ .

(٣) سورة فصلت الآية : ٥٣ .

(٤) سورة القصص الآية : ٧٧ .

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما .

فقال : كل .

قال أبو الدرداء : فإني صائم .

قال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل .

فأكل .

فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم .

قال : نم ، فنام .

ثم ذهب يقوم فقال : نم .

فلما كان من آخر الليل قال : سلمان قم الآن ، فصليا .

فقال له سلمان : إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه .

فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له .

فقال النبي ﷺ : " صدق سلمان) (١) .

ويقيم الإسلام أمنه على نظمه التي عالجت سائر جوانب الحياة، وبينت ما فيها من جائز ومشروع، ومن حراك وممنوع، وجعلت الفرد عاملا إيجابيا في الجماعة، وجعلت الجماعة وعاءا يحوي سائر أفرادها، وخصت الرجل بالقوامة، وضمنت للمرأة الكرامة والمساواة في حدود حاجتها وطاقتها، وحافظت على كل مخلوق، وحددت الحقوق والواجبات ، وجعلت لكل شيء قدرا .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع - حديث : ١٨٨١ .

الخاصية السابعة
المثالية الواقعية

تتميز النظم الإسلامية بأنها تعيش مع الواقع الحياتي عامة، ومع الواقع الإنساني خاصة ، وترسم لهذا الواقع طريق النجاة والسعادة.

ومن واقعية هذه النظم أنها لا ترى الإنسان معصوما من الخطإ، وإنما تعامله على حقيقته، ففيه النفس المطمئنة، وفيه النفس الأمارة بالسوء، وفيه النفس اللوامة، ولذلك تدعوه إلى الصراط المستقيم ، وتحذره من شطحات الهوى، وإغراءات الشياطين، وتفتح له أبواب التوبة ، وتجره إلى الخير إن بعد عنه، وتعرفه بأن الحسنة بعشر أمثالها وأكثر، والسيئة بمثلها ولا تزيد .

ومن واقعية النظم أنها تشرع لسائر الناس، وتضع لكل ما يناسبه، فالظالم المعتدي له عقوبته، والمؤمن الصالح له الجزاء الأوفى .

ومن واقعية النظم أنها ترضي العقل، وتشبع الروح، وتقيم الجسد على نسق واحد ، وفي وقت واحد، يقول الله تعالى :

- ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ (١)
- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾ (٢) .
- ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (٣) .

ومن واقعيتها أنها تشرع للناس، وتبين الأحكام العملية لأعمالهم، وحاجاتهم،

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٥٢ .

(٢) سورة الجمعة الآية : ١٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٧ .

ولا تسبح في الخيال بعيدا عنهم.

والبعيد الذي تشير إليه أحيانا تقدمه دليلا وبرهانا على وجود الله تعالى، وقدرته، وتربطه بمصلحة الإنسان،وحاجاته، مثل قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١) ، ويقول ﷻ : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٢) .

إن النظم الإسلامية تتعامل مع الإنسان على أنه مخلوق له مواصفاته، ورسالته، فهو خليفة الله ﷻ ، وحوله الشياطين ، ومعه دين الله تعالى فهو يستقيم ويهتدي، أو يضل ويغوي، وتترك له اختياره ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (٣) .

وهو إنسان جامع للخير والشر، خلقه الله في كبد، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (٤)، فليس هو ملك لا يعصى الله أبدا، وليس هو شيطان لا يستقيم أبدا، إنه بشر ، والنظم الإسلامية تشرع له على أساس خلقته، فتشرع له في عسره ويسره، وإقباله وإدباره، واستقامته واعوجاجه، وتفرده واجتماعاته، ولا تترك النظم شيئا من جوانبه البشرية التي خلقه الله تعالى بها إلا وتضع له النظام الذي يسير عليه، يقول ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ

---

(١) سورة النازعات الآيات من ٢٧ : ٣٣ .

(٢) سورة الغاشية الآيات من ١٧ : ٢٠ .

(٣) سورة الكهف الآية : ٢٩ .

(٤) سورة الإنسان الآية : ٣ .

﴿ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

إن الإسلام يضرب للناس مثلا من أنفسهم ، ليتعلموا أن كثيرا من شئون الحياة الدنيا غيب عن عقولهم وإدراكهم ليؤمنوا بإخلاص، ويستقيموا بصدق، ويستسلموا لقدر الله المعجز، وإرادته الشاملة، ومن هذه الأمثلة حالة الاحتضار عند الموت التي يمر بها كل إنسان ، ويدركها كل الناس، وعنها يقول ﷻ: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾(٢) ، والآيات تشير إلى حالة واقعية يسلم بها كل إنسان ، حيث يراها رأي العين، ويشاهدها في أهله وأقربائه حين يرى محتضرا يجود بروحه، وجماعته حوله ينظرون إليه، ويعجزون عن تأخير موته عن لحظته الموقوتة وهم لا يعلمون عنها شيئا .

- ألا يدفع هذا الحال في هذا الوقت إلى الاعتراف بالعجز، والحاجة إلى معونة الله تعالى ورحمته ؟
- ألا يدل هذا الحال على ضرورة الإيمان بالله تعالى موجد الوجود، والهادي إلى سواء السبيل ؟
- ألا تدل هذه الحالة على واقعية الإسلام وهو يخاطب الناس ؟

ومن واقعية النظم الإسلامية أنها تتعامل مع الإنسان على أساس طاقاته، وملكاته، وإمكانياته الذهنية والجسدية ، فلا تكلفه بعلم الغيب، فهو لله وحده، ولا تطلب منه عمل ما يعجز عنه ولا يطيقه، فتشرع له الصلاة

---

(١) سورة ق الآية : ١٦ .

(٢) سورة الواقعة الآيات من ٨٣ : ٨٧ .

خمسا موزعة على اليوم والليلة، وتأمره بالصيام شهرا في العام، وتجعل الاستطاعة شرطا لوجوب الزكاة والحج، وتشرع له الرخص مع العزائم، وتيسر له سائر التكاليف الشرعية ، وترفع الحرج عنه، وتقدم له الإسلام في أقوال وأعمال وأخلاق تحقق الإنسانية في الإنسان ، وتؤلف القلوب والعقول في كافة المناشط الإنسانية ، وتحقق المصالح للبلاد والعباد .

ومن واقعية النظم الإسلامية ما وضعته من تشريعات تناسب من شرعت لهم، فهي تشرع للخليفة ما يجب عليه، وللقاضي ما يقوم به، وللرجل، والمرأة، والصغير، والكبير ما يناسب كلا منهم، .... وهكذا سائر الخلق .

الخاصية الثامنة
الوضوح والسهولة

تتميز النظم الإسلامية بالوضوح والجلاء، والسهولة في الفهم، والبيان، وتلك هي خاصية الإسلام كله، فقد استقبله المسلمون الأول، وعلموا أحكامه بسهولة ويسر، وفهموا دلالاته بدقة كاملة، وسبب ذلك أن الإسلام نزل مناسبا لقدراتهم، ومتفقا مع مصلحتهم، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (١) ، وصدق في القرآن الكريم وعد الله ﷻ إذ قال ﷻ : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢)، وقد مكن الله تعالى لهذا القرآن في قلوب العباد، فحفظوه في صدورهم، وحفظه الملايين في عالم الناس بنصه المنزل، وتلاوته المتلقاه، وقراءاته المتواترة، .... يقول النبي ﷺ : **(قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)** (٣).

ولتحقيق هذا الوضوح نزل القرآن الكريم بلغة العرب، لأنه نزل فيهم أولا، فحفظوه، وفهموه، ونقلوه إلى غيرهم من الناس بلغتهم التي كانوا عليها.

وحتى يزداد وضوح المصادر الإسلامية، وبيان النظم المستمدة منها، وخوفا من انتشار العجمة بين المسلمين ، وضع الإسلام نظام المعرفة والتعلم ، فقال تعالى : ﴿ * وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ ، وهؤلاء النفر يقومون بتعليم الناس ما خفي عنهم من نظم

---

(١) سورة القمر الآية : ١٧ .

(٢) سورة القيامة الآية : ١٧ .

(٣) سنن ابن ماجه – المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين – حديث : ٤٣ .

الإسلام ، وشريعته.

إن كل ما جاء الإسلام به واضح الدلالة، سهل التطبيق، .... وبشيء من بيان هذه الخاصية ننظر إلى عقيدة التوحيد فنراها في غاية الوضوح، فالله واحد لا شريك له، خلق فسوى، وقدر فهدى،... وملك الملك، وحكم الوجود، وسخره، وجعله في إطار علمه الدائم، وقدرته المسيطرة، وهو على كل شيء قدير، ...

هذه الجوانب في صفات الله ﷻ سهلة الإدراك، واضحة المعالم، لأن الإنسان يراها في نفسه، وينظر إليها العقل في سبحاته، وتلمسها الروح في حركتها وتساميها، ... وهي ناطقة أمام الإنسان في كل شيء ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾ (١) ، ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢ ﴾ (٢) .

وصدق من قال :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه القادر

ويقدم الإسلام براهينه من المسلمات التي يسلم بها الإنسان ويعقلها، وحين يحتاج الإنسان إلى دليل فإنه يأتيه من عالمه الذي يلمسه، ويراه .

لما اعترض الإنسان على البعث وقال: ﴿ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ (٣)

---

(١) سورة يس الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الرحمن الآيات من ٧ : ١٢ .

(٣)سورة يس الآية : ٧٨ .

أتاه الدليل من الله تعالى بأمره رسول الله ﷺ ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ (١) .

ويستمر الوضوح في كافة نظم الإسلام حتى تراها في كافة ما فرضه الإسلام وشرعه، يقول رسول الله ﷺ : **(إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه ، وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)** (٢) .

ويوضح الإسلام أحكام النكاح، والفراق، وأحكام البيع والشراء، وأحكام كافة المعاملات ، ومعاملة اليتامى والضعفاء، ورعاية حقوق أهل الذمة، .... وينهي الإسلام عن الربا، وقتل النفس بغير حق، والقذف ، والسب ، واللعن، وشهادة الزور.

وقد تغيب بعض الأحكام عن بعض الناس، .... وهنا يضع الله تعالى قاعدة عامة للناس جميعا ، فيقول تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٣) ، وبهذا يكون الإسلام واضحا ، جليا بسهولة فهمه، ومعرفة

---

(١) سورة يس الآيات من ٧٨ : ٨١ .

(٢)صحيح مسلم – كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات – حديث : ٣٠٨١

(٣) سورة النحل الآية : ٤٣ .

أحكامه، أو بتفهم النفر الذين تخصصوا في تفقهه، والعلم به، لينذروا غيرهم بما علموا وفهموا، ويكونوا موطن السؤال والفتوى .

وقد يجد المسلم في المسألة الواحدة عدة آراء، .... ومثال ذلك عندما سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال ؟...

فأجاب مرة : بأنه(**الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله**) (١) .

ومرة ثانية قال : (**الصلاة لوقتها**) (٢)

ومرة ثالثة قال : (**تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**) (٣) .

وليس معنى تعدد الإجابة وجود خفاء فيها، أو تردد في الأفضل منها، وإنما يرجع تعدد الإجابة إلى مراعاة حال السائل، وتوجيهه إلى الأفضل المناسب له، وليس القول بأحدها إنكار لغيره، فلكل إجابة واقع يناسبها ، ويستدعيها .

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، فلم يشك أحدهم من غموض فيه، أو خفاء لمعانيه، وعارضه من عارضه لرغبته في الكفر، واستغراقه في الهوى، لما قال لهم رسول الله ﷺ : **(أيها الناس** ، " **قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا**) (٤) ، أبووا قولها ، لأنهم علموا ما يستلزمه القول من أعمال

---

(١) مستخرج أبي عوانة – مبتدأ كتاب الجهاد، بيان ثواب المجاهد في سبيل الله – حديث : ٥٩٣٣ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال – حديث : ١٤٨ .

(٣) صحيح البخاري – كتاب الإيمان، باب : إطعام الطعام من الإسلام – حديث : ١٢ .

(٤) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني – كتاب السيرة والمغازي، باب ما آذى المشركون به النبي ﷺ وثباته – حديث : ٤٣١٩ .

وأقوال، .... ودل إيباؤهم على فهمهم الواضح لشهادة التوحيد ، وإدراكهم لمعانيها .

إن الإسلام واضح جلي، ولذلك استجاب العقلاء لدعوته ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾(١)

وعلى الدعاة مع هذا الوضوح أن يقدموا للناس الإسلام بوضوحه، وعظمته بلا تقعر في الحديث، وبلا سطحية في التحليل ، فقد جعلهم الله تعالى من النفر الذين تخصصوا في فهم الإسلام ، والعلم به، وعليهم أن يقوموا بالواجب ، ويعدوا له العدة بالبحث، والقراءة، والدراسة، ... فإذا دعوا إلى موضوع ما وجب عليهم الإلمام بجوانبه، وإتقان أحكامه ومراميه.

واليوم تشكو المنابر إلى الله تعالى قصور من يخطب الناس عليها ، فقد غفلوا عن رسالتهم، ولم يستعدوا لدورهم، ولذلك خلت خطب الجمعة غالبا من التأثير في الناس .

ونشكو نحن ممن يشرفون على ا لمساجد، وممن يعمرون المساجد ، فتحولت أعمالهم إلى مظاهر حركية خالية من تفاعل الروح، وقبول العقل لما يحدث.

إني أتوجه مخلصا إلى كل مسلم ، وأرجوه أن يجعل الإسلام ديدنه، وحياته، وعمله، وأمله ليعود المجد والفوز والعلا كما كان ، وكما هو الأمل .

ولم أر في حياة الناس عيبا كنقص القادرين على الكمال

وأسأل الله تعالى أن يوفق البلاد والعباد لما يحب ويرضى.

---

(١) سورة النور الآية : ٥١ .

الخاصية التاسعة
العموم والدوام

تتميز النظم الإسلامية بالعموم كما تتميز بالشمول ، والفرق بينهما **أن الشمول** يعني الاتساع الأفقي والرأسي في فترة زمنية معينة ، أو في جانب تشريعي خاص ، .... **أما العموم** فهو أوسع دائرة من الشمول ، لأنه يعني عموم الأزمنة والأمكنة الممتدة إلى يوم القيامة .

وعموم النظم الإسلامية يظهر في المقومات التالية : -

المقوم الأول : العالمية :

ومعنى العالمية في الإسلام أن الإسلام نزل من عند الله تعالى للناس جميعا في مشارق الأرض ومغاربها، ولذلك فالعالم كله عالم الدعوة ، ومن دخل في الإسلام فهو عالم الإجابة ، وقد أوجب الله تعالى على عالم الإجابة دعوة الناس إلى الله تعالى ، فقال ﷻ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (١) ، فقد أمر الله تعالى أمة الإجابة لتكون أمة الدعوة إلى الله تعالى، لإيصال الدعوة للعالم كله ، يقول ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (٢)، ويقول ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٣) ، ويقول ﷻ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٤) ، ... ويقول النبي ﷺ **(أعطيت**

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٤ .

(٢) سورة المؤمنون الآية : ١٠٧ .

(٣) سورة سبأ الآية : ٢٨ .

(٤) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة) (١) .

وقد قام النبي ﷺ بهذا الواجب فدعا إلى الله تعالى القاصي والداني، وقال للناس في أول خطبة خطبها عند الجهر بالدعوة **(إن الله بعثني إلى الخلق عامة، وبعثني إليكم خاصة، وأمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين)**(٢) وعلم الناس نظام الدعوة إلى الله تعالى بكافة صور الاتصال ، وبالكلمة المنطوقة ، والرسالة المسجلة، واستقبال الوفود، وتحقيق الحرية ، ومحاربة الصادين عن سبيل الله تعالى .

وقد تحققت العالمية للنظم الإسلامية من خلال المصادر الدينية التي جاء الوحي بها على صورتين :

الصورة الأولى : نصوص محكمة ثابتة تبين الأحكام على نحو تحققها في الأعمال الثابتة ، ومثالها مايتعلق بالتوحيد ، واليوم الآخر، والعبادات المحددة ، والنكاح، والميراث، حيث نجد النصوص ثابتة ، ومتجهة إلى جميع الخلق بلا تغيير ما ، وأداؤها على صورتها ممكن للناسي أجمعين .

والصورة الثانية: تبدو في مبادئ كلية ، وقواعد عامة، تشرع للقضية ، وتترك صور التطبيق لاجتهاد العلماء في كل مصر ، وبهاتين الصورتين يتجه الإسلام للعالم كله .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ : " جعلت لي، حديث : ٤٢٩ .

(٢) مسند الشاميين للطبراني – ما انتهى إلينا من مسند بشر بن العلاء ، حديث : ٩٠٣ .

وهذه العالمية تقتضي عدة أمور:

الأمر الأول : نسخ الأديان السابقة ، فقد انتهى دورها فيمن أتت إليهم ، وأصبح الإسلام هو دين العالم، فقد بشرت به الأديان السابقة التي انتهى وجودها، وصار أصحابها على زيوف قائمة على التحريف والتبديل .

الأمر الثاني : إبطال كل صوت ديني يعارض الصوت الإسلامي ، ولا عبرة لآراء الفلاسفة ، وشطحات العقل، وما جاء الإسلام به يكفي في كل عمل ، وكل مجال .

الأمر الثالث : قيام المسلمين بواجب الدعوة إلى الله تعالى في العالم كله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدل بالتي هي أحسن .

المقوم الثاني : ختم الرسالات :

وذلك يعني أن الإسلام في عالميته سيستمر في أرض الله تعالى إلى يوم القيامة، فقد أنزله الله تعالى للناس بعد بلوغ الإنسان أقصى مراحل الرشد العقلي بعدما كان قاصرا عاجزا مع الديانات السابقة التي أتته في مراحل سابقة مناسبة له ، وقد ثبت هذا المقوم بقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (١) .

وتحققت مصالح العباد جميعا في رسالة الإسلام ، ونظمه، ولم تعد البشرية في حاجة إلى دين جديد آخر، وسبب ذلك أن دين الله تعالى واحد من آدم عليه السلام إلى دين محمد ﷺ ، وكان يتنزل على قدر حاجات الناس، واستطاعتهم، فلما كانت البشرية على بداوتها الأولى كان الرسول يأتي لقومه خاصة، فقد جاء الرسل جميعا لأقوامهم يدعونهم بثوابت الدين ومتغيراته،

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٤٠ .

وكثرت الرسالات في بني إسرائيل ، فلما وصلت البشرية إلى الرقي العقلي ، والفهم الكلي العام جاء الإسلام مكملا للرسالات السابقة، وخاتما لها ، يقول النبي ﷺ: **(مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)**(١)

والمنطق العقلي يؤيد ختم الإسلام للرسالات السابقة ، لأن دين الله واحد، وإنما كانت تأتي رسالة جديدة إذا جهل الناس الرسالة السابقة ، أو تأتي لأمة لم يأتها رسول قبل ذلك ، أو تصير الرسالة السابقة غير صالحة للزمن الحاضر ، .... وقد تحقق هذا الحال قبل مجيء الإسلام ، فقد جهل الناس الحق، وصارت الأديان ضربا من الأكاذيب والادعاءات المردودة ، وخلا العالم من رسالة إلاهية صحيحة ، ولم تصر الدعوات السابقة صالحة للزمن الذي ظهر فيه الإسلام .

وقد حقق الله تعالى للإنسانية أملها في ظهور دين يختم الأديان السابقة ، فجاء الإسلام خاتما لسائر الرسالات .

وقد حفظ الله تعالى الإسلام، وكمله، وأتمه، وقدر له البقاء في الناس ، ونجاه من أي عامل يفسده، ويبطله.

فقد حفظ الله تعالى الإسلام بحفظ مصادره، وقدر له الصلاحية الدائمة إلى يوم القيامة، وأمر باستمرار الدعوة إليه في العالم كله، وبكل لغات العالم ، ولذلك فلا دين بعد الإسلام ، ولا دين مع وجود الإسلام وثبوته ، ولا نبي بعد محمد ﷺ .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم - حديث : ٣٣٦٣ .

ولتأكيد أن الله تعالى ختم الأديان بالإسلام جعل معجزته الكبرى خالدة، وباقية مع الناس ، وهي القرآن الكريم، الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١) ، وقدر الله تعالى للقرآن الكريم الثبوت والحفظ والتلاوة الدائمة، ... وسخر العلماء لحفظه، واستخراج الأحكام منه، وربط الناس به ، يتعلمون منه الأحكام والتشريع ، والنظم، ويعلمونها لغيرهم، حتى إننا نرى اليوم جامعات، ومجامع، وعلماء، للمحافظة على القرآن الكريم ونشره في العالمين .

وقد علم الناس أن الإيمان الكامل قائم على طاعة الله تعالى فيما نزل الوحي به ، حيث القرآن الكريم ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢)، ويقول ﷻ :﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (٣) .

المقوم الثالث : الكمال والتمام :

يقول الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٤) ، وقد تحقق هذا الكمال للناس في دين الله تعالى حين استقاموا على هديه، والتزموا بمنهج الله الذي نزل لإصلاحهم ، وإحيائهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

وهذا التمام والكمال كامن في شريعة الله تعالى ، موجود معها في عالميتها ، وقد أثبت نجاعته في التجربة الأولى ، وصار واجبا على جميع

---

(١) سورة فصلت الآية : ٤٢ .

(٢) سورة الأحقاف الآية : ٣٠ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٣ .

المؤمنين التمسك بنظمه، والتزام صراط الله المستقيم .

وقد بينت خلال الخصائص السابقة كمال الإسلام وتمامه، وبهذه المقومات يظهر عموم الإسلام، وصلاحية نظمه لسائر الناس في كل زمان ومكان .

ويحقق هذا العموم للدعاة مجالا واسعا في الحركة، والدعوة، فهم يدعون لدين كامل متميز، جاء متمما للرسالات السابقة ، مصلحا ما فسد منها، ومكملا لما لم تأت به ، وناسخا لما لم تعد فيه للناس حاجة، وهو بذلك الجزء الأخير لدين الله تعالى، فكل رسول يأتي يصدق من سبقه، ويمهد لمن سيأتي من بعده، إلا محمدا ﷺ فإنه صدق بمن قبله، وهيمن عليه، وأتم الدين، يقول الله تعالى : ﴿ * إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ ﴾ (١)، ويقول ﷻ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾ (٢)

ويمكن للدعاة الاستفادة بكل وسائل العصر لنشر كلمة الله تعالى في العالم كله ، وبيان الوحدة الدينية الموجودة في دين الإسلام الذي انزله الله تعالى للناس أجمعين .

---

(١) سورة النساء الآية : ١٦٣ .

(٢) سورة الشورى الآية : ١٣ .

ودعـاة العصـر عليهم مسئولية كبرى، وهـي دفـع الشبه والزيـوف التـي يثيرها الخصوم ضد النظم الإسلامية ، وبيان سبقها وأصالتها عن غيرها من النظم على اختلاف نوعها وواضعها .

ويمكن للدعاة وصف الوضع المزري التي وصلت إليه الأمة الإسلامية فـي انتكاسـتها المعاصـرة ، فقد رضـيت بغيـر الإسـلام حكمـا، وبغيـر الـنظم الإسلامية نظما، وصارت تعيش في الأرض ضلالا وفسادا .

****

تلـك هـي أهـم خصـائص الـنظم الإسـلامية ، وهـي فـي نفس الأمـر خصائص الإسلام ، وخصائص الشريعة ، وخصائص المنهج الإلهي للناس، فكل هذه المسميات لكائن واحد يظهر في صور متعددة .

وأوجه النظر إلى أن سائر النظم تدعي التميز والصلاحية ، ولكن الذي يثبـت هـو الشـمول والاسـتمرار ، والحقيقـة تظهـر دائمـا فـي الجـوهر ، أمـا الأعراض فإنها تزول وتنتهي وتختفي ، ولذلك بقيت النظم الإسلامية ثابتة، وعامـة، وخالـدة بجوهرها وأعراضـها ، وهذا أمر نؤكده، ونتمنـى لـه الوضـوح والفهم

والله الموفق .

الفصل الختامي

النظم الإسلامية
بين العلماء والدعاة

صلة النظم الإسلامية بالعلوم

اهتم العلماء المسلمون بدراسة النظم الإسلامية حتى صارت علما له أهميته بين سائر العلوم.

فقد اتخذت النظم من تعاليم الإسلام القواعد والأسس التي تنظم أعمال الفرد والجماعات في أطر محددة، تصلح الحياة، وتحقق مصالح البلاد والعباد، وتحقق مقاصد جليلة .

ومع صيرورة النظم الإسلامية علما فإنها بقيت متصلة بموطنها الذي انبثقت منه، وظلت محافظة على سائر العلوم الإسلامية ، وامتدت إلى سائر العلوم الإنسانية التي توصل إليها العقل البشري .

إنها تتصل بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، فهما المصدران الرئيسيان لسائر العلوم الإسلامية ، ولابد لمن يعلم أو يتعلم أن يرجع إلى تفسير آيات الكتاب العزيز، والأحاديث النبوية المقبولة، ويقف على مدلولاتها ليأخذ منها ما يجوز وما لا يجوز، وأن يأخذ النص الذي نزل في المسألة التي يبحث فيها، ويضعها في إطار عملي مستفيدا بأعمال السلف الصالح، ومجتهدي الأمة، ولابد له أن يستفيد بالآيات والأحاديث التي نزلت في الأمر الذي يريده

ومع علوم القرآن الكريم، وعلوم السنة النبوية تكون حاجة الباحث إلى علوم أصول الفقه، والفقه، والقواعد الفقهية ليستخرج بواسطة هذه العلوم الحكم الشرعي لكل المسائل التي يبحث فيها، ومن المعلوم أن مصادر النظم الإسلامية هي مصادر الإسلام، وقد استوفاها العلماء المسلمون توضيحا وشرحا.

وللنظم صلة بعلم التاريخ الذي يروي أحداث الماضي، ووقائع الزمان لتكون مصدر توجيه للعلماء، يعرفون به طبائع الناس، وطرق توجيههم،

ودعوتهم إلى دين الله تعالى، ولابد للباحث في النظم الإسلامية أن يرجع إلى أحداث الماضي القريب والبعيد، وينظر في النظم التي كانت فيها ليعرف حقيقتها، ومدى الاستفادة العملية منها، وكيف تعامل المصلحون معها لإصلاح الفساد، وهداية الناس إلى الصراط المستقيم .

وتعد العلوم الإنسانية الحديثة مجالا للبحث في النظم الإسلامية، وبخاصة في الجوانب التي لا يعارضها الإسلام .

فعلم الاجتماع يدرس العمليات الاجتماعية، والظواهر الاجتماعية، وحركة السكان، ويبين كيفية الترقي والسمو بها، وهذا يفيد دارس النظم حين يبين موقف النظام الإسلامي من الواقع الاجتماعي السائد، ومحاولة الهيمنة الإسلامية على حركته وتوجهاته .

والباحث في النظم الإسلامية يستفيد بعلم النفس بمختلف فروعه، لأنه يساهم في تربية الفرد والجماعة، كما يستفيد بمختلف العلوم المعاصرة ، لأنه يتعامل مع الواقع، ويعمل على صبغ نظمه بصبغة الإسلام الحنيف، ولذلك يحتاج إلى معرفة النظم المقابلة عند الجماعات الأخرى ليكشف عوارها ، ويدعو أتباعها إلى النظم الإسلامية لإنقاذهم من الأخطار التي هم فيها، وكذلك يحتاج باحث النظم إلى معرفة لغات الآخرين ليعلم ما هم عليه، ويخاطبهم بلغتهم.

إن البحث في النظم الإسلامية خوض في كافة المعارف التي تفيد الإنسان، وعلى رأسها التعاليم الإسلامية .

والأمل هو الاهتمام بهذه المعارف عند البحث في النظم الإسلامية لأنها الطريق الوحيد لمعرفة النظم، وإظهار حقيقتها ، وتوضيح كيفية إبرازها في حياة الناس بعيدا عن معايب وأخطاء النظم الأخرى، ولذلك يظهر

العلماء والفقهاء مع النظم الإسلامية، وعليهم أن يدرسوا الأسس العلمية لكل نظام، ويبينوا مشروعيتها الدينية، ويصوغوها بلغة سهلة، ... ويقدموها للجمهور والعامة ليعملوا بها .

وبعد ذلك يأتي دور الدعاة في توجيه الناس بما وضحه العلماء والفقهاء، وهم أولى بالاهتمام من غيرهم، لأن عليهم عرض النظم الإسلامية على المدعوين ليستقيموا عليها في حياتهم الشخصية، ويطبقوها في شئونهم العامة والعالمية ، وعليهم إقناع الناس بالإسلام ونظمه، ورد الأباطيل والمطاعن التي ينشرها الخصوم حول الجوانب المختلفة للإسلام .

إن الدعاة سيقابلون أفكارا تنكر النظم الإسلامية في جملتها، ويستشهدون بما عليه المسلمون اليوم من ضياع وتخلف، وسيقابلون أناسا يدعون أن الإسلام خاص بالعرب، وأنه سبب تخلف العرب، وسيلقون من ينكر النظام السياسي بدعوى أن الإسلام دين لا دولة فيه .

وكل ذي عقل يرى هذا الهجوم الشرس على الإسلام وعلى المسلمين من أعداء الإسلام ، وقد تسلحوا بالقوة المادية ، والمكر السياسي، وساعدهم هوان الأمة، وضعفها، وعجز علمائها ودعاتها ، وانبهار كثير من المسلمين بقوة الأعداء، وبما وصلوا إليه حتى رضوا لحياتهم مناهج غير إسلامية ، ورضوا الحكم بالقوانين الوضعية .

وهنا

يتضاعف العبء على الدعاة، فهم اليوم حراس الإسلام ، ورافعو لوائه، والمدافعين عنه، وهم المكلفون بنشر الحقيقة للناس .

والدفاع عن الإسلام يحتاج إلى العلم به، والبرهنة على صدقه وصلاحيته للناس أجمعين على الزمن كله، وهذا الأمر يحتم على الدعاة أن

يتقنوا كافة المعارف التي تمكنهم من أداء الواجب عليهم إتقانا لعملهم، وإرضاء لله تعالى، وحماية لدين الله الحنيف.

لقد امتلأت حياة الناس بالأعمال التي لا يقرها الإسلام ، وهي ظاهرة لا خفاء فيها ، فنظام الأسرة مضطرب، ملئ بالفساد والعوج، ومناهج التربية لا تخرج عالما ولا مسلما، والسلوك الاجتماعي في الطرقات، والحانات، والمنشورات ملئ بالخروج عن تعاليم الإسلام، ودور الدعاة لا وجود له مع الناس .

ولن يصلح هذا الحال إلا صدق الدعاة، وإخلاص المؤمنين ، وقيام كل مسلم بواجبه الديني منفردا، والتزام الجماعة بما يرضي الله ورسوله، والتزام الأمة بالإيمان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر .

إن طريق الدعوة اليوم هو الأمل، وهو الممكن ، والواجب على الدعاة أن يخلصوا لله تعالى، ويتقنوا عملهم بالعلم والمعرفة ، ويتركوا السطحية العلمية ، فإنها لا تفيد وسط الصراع المحموم .

والمؤسف أن كثيرا من الدعاة فرطوا في هذا الجانب، واكتفوا ببعض العلم دون أجمعه، وحولوا خطبة الجمعة إلى كلمات بلا هدف ولا غاية ... ورضي الناس بقضاء وقت مع الخطيب بلا وعي ولا إدراك .

وهنا أطالب علماء الأزهر، والقائمين على أمر الأمة أن يتداركوا هذا الحال، وينقذوا الأمة من المصير البائس، ويعودوا بالإسلام والمسلمين إلى العهد الذي ورثوه عن رسول الله ﷺ .

......***

وبعد

فقد انتهيت بحمد الله وحسن توفيقه من كتابة المدخل بفصوله السابقة بقدر ما فتح الله تعالى علي به ، ... وإني آمل أن يكون مدخلا لسائر النظم الإسلامية ، ومقدمة لكل منها ، ليكون تدوين أي نظام بعد ذلك مبنيا على هذا المدخل منعا لتكراره .

وأسأل الله تعالى العون والتوفيق لكل مسلم ، ولكل محب للخير والأمن والسلام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة الأولى : أسباب كتابة هذه الموسوعة	٩
المقدمة الثانية : أهمية المدخل لدراسة النظم الإسلامية	٢٢
الفصل الأول : مفهوم النظم الإسلامية وبيان أهميتها	٣٣
المبحث الأول : المفهوم اللغوي والاصطلاحي للنظم	٣٤
أولاً: المفهوم اللغوي للنظم	٣٤
ثانياً : المفهوم الاصطلاحي للنظم بصورة عامة	٣٧
ثالثاً : المفهوم الاصطلاحي للنظام الإسلامي	٣٩
المبحث الثاني : أهمية النظم الإسلامية	٤٨
الفصل الثاني : تنوع النظم الإسلامية	٥٧
الفصل الثالث : الدعائم الأساسية للنظم الإسلامية	٧١
المبحث الأول : الدعامة الأولى للنظم الإسلامية: عقيدة التوحيد	٧٢
المبحث الثاني: الدعامة الثانية : وجود إنسان مؤمن	٨٢
المبحث الثالث : الدعامة الثالثة : وضوح المنهج الإيماني	٨٧
الفصل الرابع : مصادر النظم الإسلامية	٩٥
المبحث الأول: الحكم الشرعي	٩٦
المبحث الثاني: المصادر الدينية لأحكام النظم الإسلامية	١٠١
المطلب الأول : المصادر المجمع عليها	١٠١
المصدر الأول : القرآن الكريم	١٠١
١- تعريف القرآن الكريم	١٠١
٢ - ثبوت القرآن الكريم	١٠٣
٣ - حجية القرآن الكريم	١٠٦

٤- أهم النظم الموجودة في القرآن الكريم	١١٠
٥- منهج القرآن الكريم في بيان أحكام النظم الإسلامية ...	١١٢
المصدر الثاني : السنة النبوية	١١٧
١- حجية السنة النبوية في إثبات الأحكام	١١٩
٢- ثبوت السنة ودلالتها على الأحكام	١٢٣
٣- أوجه بيان السنة للقرآن الكريم	١٢٤
المصدر الثالث : الإجماع	١٢٨
١- حجية الإجماع	١٢٩
٢- أنواع الإجماع	١٣١
٣- ترتيب الإجماع بين الأدلة الشرعية	١٣١
٤- إمكانية الإجماع	١٣٣
المصدر الرابع : القياس	١٣٥
المطلب الثاني : المصادر الغير مجمع عليها	١٣٧
١- الأصل	١٣٧
٢- الاستصحاب	١٣٨
٣- الاستقراء	١٣٨
٤- المصالح المرسلة	١٣٨
٥- العرف	١٤٠
٦- الاستحسان	١٤١
٧- سد الذرائع	١٤٢
٨- شرع من قبلنا	١٤٢
٩- قول الصحابي	١٤٤
الفصل الخامس : مقاصد النظم الإسلامية	١٤٩
المبحث الأول : المقاصد الجزئية العاجلة للنظم الإسلامية في الحياة الدنيا	١٥٠

أولاً : تحقيق حاجات الناس	١٥٠
ثانياً: تحقيق الأمن والسلام	١٥٣
ثالثاً: يسر الأداء و العمل	١٦٠
رابعاً : المحافظة على القيم الإسلامية	١٦٦
خامساً : صيانة الحقوق وأداء الواجبات	١٧٥
١ – حق الحياة	١٧٩
٢– حق الكرامة	١٨٤
٤– حق الحرية	١٩٢
٥– حق المساواة والعدل	٢٠٣
المبحث الثاني : الغايات الكبرى لتطبيق النظم الإسلامية في الدنيا .	٢٠٨
المبحث الثالث: الغايات الكبرى لتحقيق النظم الإسلامية في الآخرة .	٢١٣
الفصل السادس : خصائص النظم الإسلامية	٢٢٣
الخاصية الأولى : الربانية	٢٢٥
الخاصية الثانية : الثبات والتطور	٢٣٠
الخاصية الثالثة : الشمول والاتساع	٢٣٣
الخاصية الرابعة : التوازن والتكامل	٢٤١
الخاصية الخامسة : الإيجابية العملية	٢٤٤٤
الخاصية السادسة : التوازن والإشباع	٢٤٩
الخاصية السابعة : المثالية الواقعية	٢٥٣
الخاصية الثامنة : الوضوح والسهولة	٢٥٧
الخاصية التاسعة: العموم والدوام	٢٦٢
الفصل الختامي : النظم الإسلامية بين العلماء والدعاة	٢٧١
الفهارس	٢٧٩

تم بحمد الله وحسن توفيقه

كتب مطبوعة للمؤلف

الكتب المطبوعة للمؤلف

١- دعوة الرسل إلى الله تعالى .
٢- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي .
٣- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني .
٤- القول الدقيق في سيرة وعصر الصديق ﷺ .
٥- نظم الدرر في سيرة وعصر عمر ﷺ .
٦- حُسن البيان في سيرة وعصر عثمان ﷺ .
٧- القول الجلي في سيرة وعصر علي ﷺ .
٨- موسوعة في الأديان والنحل (دراسة موسوعية للأديان والمذاهب).
٩- الدعوة الإسلامية – أصولها ووسائلها من القرآن الكريم .
١٠- الدعوة الإسلامية في العصر الحديث .
١١- قواعد علم الخطابة وفقه الجمعة والعيدين .
١٢- الخطابة العملية .
١٣- النظام السياسي في الإسلام .
١٤- النظام الاقتصادي في الإسلام .
١٥- النظام الاجتماعي في الشريعة الإسلامية .
١٦- أصول الدعوة الإسلامية .
١٧- عوامل النجاح من خلال تجربة حية ، ونماذج رائدة .
١٨- الرسالة الغراء في تربية الأبناء .
١٩- خيال الروح في زمن الصبا(ديوان شعري كُتب قبل ستين عاما) .
٢٠- الإعلام في القرآن الكريم (الجانب النظري) .
٢١- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الأول .
٢٢- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الثاني .

٢٣- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الثالث .
٢٤- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الرابع .
٢٥- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الخامس .
٢٦- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد السادس .
٢٧ – ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد السابع .
٢٨- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الثامن .
٢٩- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد التاسع .
٣٠- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد العاشر .
٣١ – ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الحادي عشر .
٣٢- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الثاني عشر .
٣٣- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الثالث عشر .
٣٤- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الرابع عشر .
٣٥- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان – الجزء الأول .
٣٦- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان – الجزء الثاني
٣٧ – ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء الثالث.
٣٨ – ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان – الجزء الرابع
٣٩- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء الخامس
٤٠- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء السادس
٤١- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء السابع
٤٢- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء الثامن
٤٢- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء التاسع
٤٣- المدخل لدراسة النظم – الكتاب الأول في موسوعة النظم الإسلامية-

والله ولي التوفيق